المنظمة العربية للترجمة

كلود هاجيج

بنية الألسُن

ترجمة

أحمد حاجي صَفَر

توزيع: مركز درسات الوحدة العربية

بنية الألسُن



لجنة اللسانيات والمعاجم

بسام بركة (منسقاً)

إسماعيل عمايرة

حسن حمزة

سامي عطرجي

عبد القادر الفاسي الفهري

صالح الماجري



المنظمة العربية للترجمة

كلود هاجيج

بنية الألسُن

ترجمة

أحمد حاجي صَفَر

مراجعة

ألين زلوعا



الفهرسة أثناء النشر - إعداد المنظمة العربية للترجمة
هاجيج، كلود
بنية الألسن / كلود هاجيج؛ ترجمة أحمد حاجي صَفَر؛ مراجعة ألين زلوعا.
238 ص. - (لسانيات ومعاجم)
بيبليوغرافيا: 231 - 233
يشتمل على فهرس.
ISBN 978-614-434-081-3
1. اللغة، علم. 2. الأنثروبولوجيا. أ. العنوان. ب. صَفَر، أحمد حاجي (مترجم). ج. زلوعا، ألين (مراجع). د. السلسلة.
410

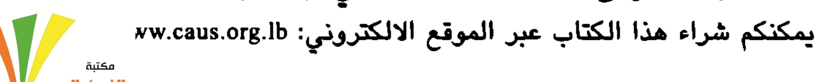
"الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات تتبناها المنظمة العربية للترجمة"

Hagège, Claude
La structure des langues

المنظمة العربية للترجمة
بناية "بيت النهضة"، شارع البصرة، ص. ب: 5996-113
الحمراء - بيروت 2090 1103 - لبنان
هاتف: 753031 - 753024 (9611) / فاكس: 753032 (9611)
e-mail: info@aot.org.lb - Web Site: http://www.aot.org.lb

توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية
بناية "بيت النهضة"، شارع البصرة، ص. ب: 6001 - 113
الحمراء - بيروت 2407 2034 - لبنان
تلفون: 750084 - 750085 - 750086 (9611)
برقياً: "مرعربي" - بيروت / فاكس: 750088 (9611)
e-mail: info@caus.org.lb - Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى: بيروت، كانون الثاني (يناير) 2016





المحتويات




مكتبة
الفكر الجديد

مقدمة المُترجِم

عندما عُرِض عليّ هذا الكتاب لنقله إلى اللسان العربي، كنتُ أعي تماماً مدى صعوبة نقل كتابٍ مُكثّفٍ من جهة، ومطبوع بطابع أسلوب واضِعه كلود هاجيج الذي يُشكِل نصّه، حتى على القارئ الفرنسي نفسه، مِن جهة أخرى. ولأنّ الدراسات التصنيفية في اللسان العربي قليلة، ولأنّ الحاجة المتنامية إلى تعرّف الآخر واكتشافه صارت من ضرورات الوجود الإنسانيّ نفسه؛ خضتُ هذا المُعتَرَك، والأمل يحدوني ألّا تقف صعوبة المصطلح التقني اللساني وصعوبة نقله عائقاً دون وصوله إلى أوسع شريحة من القرّاء العرب، أو القارئين بالعربية.

كنتُ في أثناء إعدادي لرسالة الدكتوراة بإشراف الأستاذ الدكتور حسن حمزة، الذي لا أملُّ شكره، قد وقفت على دراسة جوزيف غرينبيرغ التي خطَّ فيها خطوطاً عريضة للدراسة التصنيفية، وتابعه مَنْ بَعده في تعميقها وتفصيلها؛ إلّا أنّ عدم إتيانه على ذكر



اللسان العربي، وهو اللسان الأمثل بين الألسن السامية، أقلقني، وتعمّقت لديّ القناعة في ضرورة إفشاء هذا العلم في المراكز البحثية والجامعية العربية، بل وضرورة تقديم خصائص اللسان العربي إلى الباحثين الآخرين، غربيين أو شرقيين، بطريقةٍ تتماشى مع الدراسات التصنيفية، مما سيسُهم في إغناء الدراسات اللسانية العربية نفسها.

التصنيفية لا تعني مجرَّد وضع الألسن في جداول من خلال خصائصها الداخلية والخارجية، كما لا تعني محاولة المفاضلة بين الألسن على أساسٍ عرقيٍّ أو دينيٍّ أو حتى لسانيّ، إنّها علمٌ يمتح من علوم أخرى، مثل علم الاجتماع والفلسفة وغيرها، ويُعمِل أدواتٍ ليست حِكراً عليه، مثل الإحصاء والتحليل الصواتي، ليصل إلى وضع أُطُرٍ نظرية تساعد على فهم الفكر الإنسانيّ من خلال اللسان. فمفهوم الجهات ومفهوم الأحجام ومفهوم التركيب نفسه، وغيرها من المفاهيم، ما هي إلا التمثيل اللساني للفكر الذي يقوله هذا اللسان أو ذاك. ولعلّنا إذا أدركنا خصائص الألسن بشكل حقيقي وعلمي، نستطيع أن ندرك القواسم الحقيقية المشتركة بين أبناء آدم الذين لم يتجاوز عددهم الحدّ الذي يجبرهم على الاقتتال للحفاظ على وجودهم.

إنّ عدد الألسن المسبورة في خلال هذا الكتاب هائلٌ، قياساً إلى غيره من الدراسات التصنيفية. والقضايا التي يتناولها أحياناً تدعو إلى تغيير وجهة نظر القارئ المختصّ في كثير من المسائل والآراء، كان يحسبُها من البدهيّات. إلّا أنّ كثرة الأرقام من جهة، وضعف التعليق والشرح من جهة أخرى، قد يجعل النصّ يستغلق على بعض القرّاء، ولذا وجب التنبيه إلى أنّ ما هو معروض هنا هو خلاصة مكثّفة



لدراسات جامعية وبحثية، استخلصها هاجيج من مسيرة طويلة غنية متنوعة في مناحي اللسانيات.

***

اجتهادات مؤلف الكتاب الاصطلاحية لا تخفى على الدارسين، وعودته إلى الجذور اللاتينية في صياغة بعض المصطلحات تدعونا إلى التساؤل عن ضرورة إقامة دراسات تصنيفية مفاهيمية واصطلاحية قد تسهّل عملية نقل المعرفة اللسانية خاصةً، والعلوم عامّةً، من لسانٍ إلى آخر. كما تدعونا إلى التفكير جدّياً بضرورة وضع معجم لاتيني عربي تقني، وخاصةً في ضوء هذا الازدهار اللساني الذي بات الإنسان ومحيطه وكل ما يتعلق بهما جزءاً لا يتجزّأ منه.

لا يكمن عوارُ الاصطلاح اللساني المُترجَم في عدم مطابقته التامّة للمصطلح المُنطلَق، بل في عدم تمثيله الدقيق للفكرة والمفهوم المنطلَقين، عند صبِّهما في اللسان الهَدف. إنّ مفهوم بنية القول، مثلاً، لا يختلف من لسانٍ إلى آخرَ، من حيث ضرورة وجود رُكنين، أحدهما هو ما نقول عنه شيئاً والآخر هو ما نقولُه، وتجمع بينهما قضية. إلّا أنّ الذي يختلف حقاً هو نظرةُ كلّ حضارةٍ إلى كل مكوِّن على حِدة، ومِن ثَمَّ نظرتُها إليهما معاً في إطار القول. فما الموضوع والمحمول، والمُسند إليه والمُسنَد، والفاعل والفعل، والمبتدأ والخبر، والمُخبّر عنه والخَبر، وغيرها مما لم نطلع عليه في حضارات أخرى، إلا التمثيل اللساني للعنصرين المركّبين وللعلاقة بينهما.



على أنّا حين نضع مُصطلحاً لسانيّاً عربيّاً معروفاً كالمفعول به في مقابل آخر فرنسيٍّ مثل complément، فإنّ ذلك لا يعني البتّة أنّا نقلنا التصوّر اللاتيني بأمانةٍ أو أنّا طابقنا مطابقة أمينةً بين مصطلحين متطابقين مفهوميّاً؛ لأنّ التصور اللاتيني لهذا المفعول بأنه تتمّة، والتصور العربي له بأنّه فضلة، يضعهما، بالأحرى، في حقل المتناقضات، لا المتطابقات.

لكنّ قضية الخلاف الاصطلاحي لا تقف عند المصطلح المُترجم، إنّها قائمةٌ ماثلةٌ دائماً في كل لسان، وفي كل آن. مُصطَلح (اللسان) الذي هو أدقّ وأكثر تمثيلاً لفكرة الأداة التي يستخدمها قومٌ ما للتواصل فيما بينهم، ولها منظومةٌ ثابتةٌ محدّدةٌ، هُجِر لصالح مصطلح (اللغة)، في حين أنّ الفارق بينهما بيِّنٌ جليٌّ. وإذا كانت القدرة الفطرية على الفهم والقول مشترَكةً بين الناس جميعاً، فإنّ اللسان هو المطبوع بالطابع القوميّ، وهو التمثيل المنظومي (الصوتي-الصرفي-النحوي-المُعجمي) للقدرة اللسانية المشتركة، فاللسانُ عربيٌّ أو فرنسيٌّ أو إنجليزيٌّ، أمّا اللغة فهي إحدى تنويعات هذا اللسان، وشكلٌ من أشكاله، فاللغة قطريّة أو مغربية أو لبنانية أو أميركية أو أسترالية (لدى حديثنا في هاتين الأخيرتَين عن الإنجليزي، لا عن ألسن السكان المحليين الأصلية)، وقد ورد (اللسان) في أحد عشر موضعاً في القرآن الكريم للدِّلالة على هذا المفهوم الصحيح الذي ذكرناه آنفاً، في حين أنّ اللغة لم يرِد ذكرها فيه البتّة. أمّا القول فهو التنفيذ الفرديّ للسان، وهذا مما لا خلاف فيه.

إلا أنّ مُفرزات التطور الفكري، فالفكر يتطوّر أيضاً، ألقت



بين يَدي المُترجمين العرب مصطلح énoncé الذي، حالُه مثل حال بعض ملازماته، لم يقع اتّفاقٌ على ترجمته، فهو القول والعبارة والجملة والملفوظ... إلخ، وكُلّها تبحث عن مُكافئ يعني التمام في الإبلاغ والبيان في الكلام والاكتمال في التركيب من دون أن يُسمّى (جملةً) أو (كلاماً) لأنها أحيازٌ مشبعةٌ معجميّاً واصطلاحياً. ومن هنا كان خيار القول، رُبّما، مبرَّراً.

***

الترجمة، وهي رهينةُ النّصّ، وأرقُ المترجم، ليست أداة لنقل المعرفة أو إشاعة العلم، إنّها جزءٌ لا يتجزّأ من استراتيجية أي أمّة تريد أن ترقى، وتمنح لذاتها مكانةً حقيقية في نظام الشراكة الإنسانية.

كثيراً ما نتحدّث عن السياسات اللسانية (أو اللغوية)، وعن التخطيط اللساني (أو اللغوي)، وهو أمرٌ ذو أهمية وخطورة لا يختلف في شأنهما اثنان عاقلان، إلّا أنّ الترجمة لم تحظَ قطُّ بسياسةٍ تُفرَد لها، على الرّغم من تصريحات المجامع اللغوية، والمنظّمات الثقافية والتربوية من وقتٍ لآخر بضرورة إيجاد منهجية موحدة للترجمة.

للمسألة عدة أوجه، ولكل وجه مبرر أو مبرِّرات، وتأويل أو تأويلات، ومنها:

- أنّ الترجمة حتى يوم الناس هذا لم يُعترَف بها كجهدٍ علميّ ذي وزنٍ، يمكن أن يُقارَن بالتأليف، رَغم أنّ صعوبتها وكلفتها



الذهنية والفكرية لا تقل البتّة عن التأليف، ورغم غرق السوق العربية بالمؤلَّفات الهشّة الخالية من كل فائدة، في حين أنّ كتاباً مُترجماً، غالِباً ما يكون قد خضع لمعيار الاصطفاء قبل الشروع بنقله.

- أنّ توزّع العالم العربي بين ترجمتين، مغربية ومشرقية، جعل بعض القراء هنا وهناك يرون في الكتاب المُترجَم مَدعاةً للصُّداع، أكثر منه مَدعاةً للذّة الفكرية والمعرفية.

- غيابِ وجود مدرسة عربية عُليا مُشتَركة للترجمة، تجمع بين جَنباتها كل مقوّمات المشروع الترجمي العربي، والذي ينطلق من سياسة ترجمية واضحة، وثابتة، ترسم أهدافها في ضوء متغيرات المنطقة، وتهتمّ أكثر بنقل المعارف العربية إلى الألسن الأخرى، وعدم الاكتفاء بالنقل عنها.

- أنّ علاقة العربي بالآخر غير واضحة، فمرةً هو الحبيب القريب، ومرةً هو العدوّ المُتآمر، ومرةً هو الغامض المُريب؛ ولذا تتقلب أهواؤنا الترجمية وفق تقلّب تلك العلاقة.

يقدِّم كلود هاجيج في هذا المؤلَّف عصارةً دَسِمةً، آملُ أن أكون قد وُفِّقتُ في نقلها بكل دَسَمِها وزُبدتها ولَبنها إلى القارئ العربي.

إلى سُهيلة وآدم وسورين وإلياس... هذا العمَل، وأنا... لكُم.

أحمد حاجي صَفَر
الدّوحة
في 1/10/2015



مدخل[1]

هل هناك سمات كونية ضمن بنية الألسُن؟

أولاً: التصنيفية والكونيات في اللسانيات

بنية الألسُن هي المجموعُ المتجانسُ نوعاً ما لمبادئ التنظيم، الذي يضمن عمل تلك الألسُن، على مستويات الأصوات والقواعد والمعجم. ويمكن دراستها من وجهتي نظر مختلفتين، قد تبدوان للوهلة الأولى متناقضتين. فمن جهة، تُرتّب **التصنيفيةُ** (typologie) الألسن وَفق أصناف، مختلفة بطبيعة الحال، حتى لو كانت القرابةُ البنيوية، داخل الصنف الواحد، هي التي تحكم ذلك التجميع. بالمقابل، يتعلق البحث في **الكونيات** (universaux) بالسمات التي يُفترض أنها خاصة بكلّ الألسُن، المعروفة منها وغير المعروفة. إبراز نقاط الاختلاف من جهة والبحث عن المتناظرات من جهة أخرى،

(1) يحمِل هذا الكتاب جزءاً من دروسي في المدرسة التطبيقية للدراسات العُليا. وعليّ إذن دَينٌ لمن تلقى عنّي بين 1977-1981 (خاصةً مارتين مازودون (Martine Mazaudon) وسوزان بلاسييل (Suzanne Platiel))، حتى لو كانت مقاييس هذه السلسلة من الكتب لا تسمح بذكرهم جميعاً كمصادر (وأنّي أقتضب في ملامح عريضة نقاطاً تتطلب تطويراً أعمق).



لا يبدو أنه يمكن التوفيق بين هذين المشروعين. ومع ذاك، ندرك بعد شيء من التفكير أنهما مرتبطان ببعضهما البعض، بل إنّ أحدهما سابقٌ الآخر: فلترتيب الألسُن وَفق أصنافها، لابُدّ بدايةً من ضوابط. فلننظر في ضوابط السَّلف (ثانياً) وما يمكن أن نقترحه بدلاً منها (ثالثاً).

ثانياً: التصنيفيّات اللسانية السالفة

1. أهمّ المحاولات المعروفة

1.1 قبل القرن التاسع عشر

إذا ما اقتصرنا على الغرب وماضيه، فيمكننا القول إنّ العصور القديمة منطويةٌ على نفسها، فيما يتعلق بمعارف الإنسان. وإذا صحَّ أنّا نجد عند المؤرخين الإغريق والرومان توصيفات قيِّمة في الأعراقية الوصفية، فإنّ الشعوب الأخرى بدت في تلك التوصيفات وكأنها هامشية بالنسبة إلى مراكز الحضارة (تماماً كما حدث في الصين القديمة في تلك الحِقَب نفسها)، ولا تُولى ألسنتُهم من الاهتمام إلا النزرَ اليسير. فيما بعد، لم تكن تكهّنات القرون الوسطى بطبيعتها متوافقة مع مشروعٍ تصنيفيّ. أمّا بالنسبة إلى الفضول الموسوعي لحقبة النهضة والعصر الكلاسيكي فإنه يظلّ عالة على العلاقات بين الدول (أوروبا وحوض المتوسط)، وعلى الاكتشافات (ألسن أفريقيا وأميركا)، وعلى البعثات (الشرق، الشرق الأقصى: ألسن آسيا) وعلى الأسفار. وعلى أي حال، فإنّه لم يؤدِّ إلا إلى توليفات: فلا نجد أيّ تصنيفٍ، كذاك الموجود منذ زمن أرسطو لعلوم الطبيعة، في موسوعات القرن الثامن عشر الشهيرة (والتي يعود الفضل في



تأليفها إلى علماء الجغرافيا خاصةً، والتي، خلا ما كتبه أ. سميث (A. Smith) (1759)، الذي سَبَقَ [*compounded/ uncompounded languages*] [الألسُن المُركّبَة والألسُن غير المُركَّبة] لشليغل (A. W. Schlegel)، كانت تعمل باقتراحات لايبنيز (Leibniz): وضع أكبر عدد من المعاجم، والقواعد والأطالس اللسانية): كتاب **ميثريداتس** (*Mithridates*) لأدِلونغ (Adelung) (1771-1806)، [*Catalogue des langues connues*] فهرس الألسُن المعروفة] لـهيرفاس (P. Hervás) (1784) أو *Vocabularium Catharinae* [قاموس كاثرين] لِبالاس (Pallas) (1787). في الواقع، لم يكتمل الميثريداتس إلا بعد ظهور كتاب اليسوعي الإسباني هيرفاس، والذي يمكن أن نعدّه أول توليفة نَسَبيّة (généalogique) معروفة، على النقيض من توليفة البرلينيّ أدِلونغ (Adelung)، التي أثّرت فيها، لكنها تظلّ جغرافية تزامنية (synchronique). أمّا بالنسبة إلى مؤَلَّف بالاس، عالم الطبيعة البرلينيّ من أصول فرنسيّة، فقد كلفته به إمبراطورة روسيا كاثرين الثانية (Catherine II)، والتي أوفدته لحصر كل اللغات التي يمكن الوصول إليها في إمبراطوريتها الشاسعة.

2.1 في القرن التاسع عشر

لم تولد التصنيفية اللسانية حقاً إلا في وقتٍ متأخر جداً، في بداية القرن التاسع عشر، كتبويب منطقيّ للألسن تبعاً للصنف ووفق فوارق محددة:

1.2.1 قدّم الأخوان شليغِل (أحدهما في 1808، والآخر في



1818) وللمرة الأولى تبويباً حقيقيّاً: ألسن لا تدمجُ بين الصِّيَغ، وألسن إلحاقية، وألسن إعرابية. وهذه الأخيرة، الوحيدة، حسب قول شليغِل، التي تملك "نَبْتاً وفيراً وخِصباً"، هي التي تُعدّ الأمثل والأكمل، بينما الألسُن الأولى، ومثالها اللسان الصّينيّ، وحيد المقطع (monosyllabique)، نُظِر إليها على أنّها الأكثر قِدَماً؛ وبين هذين الصنفين، تمتاز الألسُن الإلصاقية بإلصاقِها بالجذور عناصرَ "لو أُخِذت على حدة فإنها تحتوي على معنىً قائم بذاته". علاوةً على ذلك، يقسم شليغِل الألسُن الإعرابية إلى تركيبية (بعلامات إعراب (désinences casuelles)، ومن غير أدوات أو أفعال مساعدة (auxiliaires)) وتحليلية (analytiques)، وتُعدُّ هذه الأخيرةُ مُشتقّة من الأخريات.

2.2.1. الخَلَف:

1.2.2.1. قدّم هومبولدت (W. von Humboldt) (1836) تبويباً ذا مؤشّر نفسي، مستخدماً بشكل جزئيّ تبويب الأخوين شليغِل، لكنه تبويب مختلف بما فيه الكفاية: فهو يدعو الألسُن ذات "الأدواتِ" (مثل "المالايو-البولينيزية" (malayo-polynésiennes)) و"ذات الضمائر" (مثل الأميركية (américaines)) "غيرَ مكتملة"، ويدعو بقيةَ الألسُن "مكتملةً":

العازلة (isolantes) مثل اللسان الصيني (chinois)؛

الإعرابية (flexionnelles)، مثل الألسُن السامية (sémitiques) والهندوأوروبية (indo-européennes). مع أنّ هذين المصطلحين،



والذي يبدو أنه اخترعهما، يتفقان مع الصنفين الأول والثالث من أصناف الأخوين شليغِل، إلّا أنّ التبويب الذي اعتُمِد يُنسب إلى هومبولدت (منذ شليشِر (Schleicher)).

مقارِنو عصر ما بعد الرومانتيكية هم حقاً خلفاء شليغِل:

يميّز بوب (F. Bopp) (1833–1857) بين الألسُن غير العضوية و"من دون قواعد" (مثل الصيني)، والألسُن التي تستخدم التركيب (مثل السنسكريتية (Sanscrit)) والألسُن ذات التغيير الداخلي الطارئ على الجذر.

يقسم بوت (A.-F. Pott) (1849) الألسُن إلى أربعة أصناف، حسب ما إن كانت المادةُ (الجذر ذو المعنى الرئيسيّ) والصِّيغة (الاشتقاق والمعنى الثانوي):

- مستقلّةً (صِنف العازلة: مثل الصيني)؛
- موحّدةً خارجياً (إلصاقية (agglutinant): مثل التركي)؛
- خليطةً (إعرابية: مثل الألسُن الهندوأوروبية)؛
- تُعامل بطريقة تتوافق فيها الكلمة والجملة (المزجية (in-corporant: مثل الإسكيمو (eskimo)).

شليشِر (1861) أشاع لفترة طويلة التقسيم الثلاثي في الألسُن العازلة والإلصاقية والإعرابية.

شتينثال (H. Steinthal) (1860) عاوَدَ طرح التبويب النفسي



الذي قال به هومبولدت ومزجه مع تصنيفية صرفية استقاها من بوت وتفريقِه بين المادة والصّيغة، من غير أن يُظهر بشكل جليٍّ معايير التفريق بين الألسُن "من دون صيغة" والألسُن "مع صيغة".

ميستيلي (F. Misteli)، تلميذ شتينثال، شذّبَ تبويبه في نسخة ثانية (1893)، حيث أضاف، إلى أصناف شليشر الثلاثة، صنفين آخرين: المزجي والعطفي (coordonnant).

فينك (F. N. Finck) (1909) زاد في تشذيب تبويب شتينثال-ميستيلي، من خلال تمييزه أصنافاً فرعيةً، ضمن الأصناف الإلصاقية والإعرابية، حسب ما إذا كان الإجراء يطال الجذر (racine) أو الغَرَض[2] (thème). فهو يعزو الأصناف إلى حالات مختلفة من التوازن بين العاطفة والإدراك، من الدموي إلى الصفراوي مروراً بالبلغمي، إلخ.

دولاغراسُري (R. de La Grasserie) (1910) استلهم من المحاولات التي سبقته، وأضاف بعض النقاط الأصيلة.

1.3 في القرن العشرين

تصنيفيةُ سابير (E. Sapir) (*Language*, New York, Harcourt, 1921, chap. 6) أغنت التقسيمات السابقة بلجوئها إلى المعيار المفهوميّ conceptuel (من المحسوس [مثال فرنسي *table* [طاولة]] وصولاً إلى العلائقي (relationnel) البحت [مثال فرنسي

---

(2) تجد تعاليم فينك عند تلميذه ليوي (E. Lewy) (1942) وعند لوهمان (J. Lohmann) (1965).



de] والضرورية لكلّ لسان، مروراً بمفاهيم أخرى)، وبلجوئها إلى معيار درجة التوليف (synthèse). إلا أنّها تخلط بين الصِّيَغِ والمفاهيم، ولا تميّز بشكلٍ جليٍّ الوقائع النحوية.

شبكة مارتينيه (A. Martinet) (*A Functional View of Language*, Oxford, 1962, pp. 89-102) تجمع بين التقابلين معجمي/ قواعدي ومُشير وظيفي (indicateur de fonction)/ غير مُشير وظيفي؛ فهي تمنح النحو مكانة أوضح من تصنيفية سابير. إلا أنّها بدائية لا تسمح بإقامة استقصاء معمّق.

4.1 في القرنين التاسع عشر والعشرين

التبويبات شبه اللسانية: مُخضرمةٌ، وهناك أربع محاولات تبويبية كان لها أثر في وقتها:

مولِر (F. Müller)، في كتابه *Einleitung in die Sprachwis-senschaft* (Vienne, 1876)، والذي نُشِر تقريباً في الحقبة نفسها التي نُشِرت فيها أعمال عالم الأحياء هايكِل (E. Haeckel) (مؤلِّف "قانون الوراثة الحيوية" القائل بأنّ تطور الجنين يُلخّص النَّسالةَ (phylogénie))، يتبنّى معياراً إناسياً للترتيب: ألسن الشعوب ذات الشعر الصوفي (المجعّد والكثيف) والشعوب ذات الشعر الأملس (منسدلاً كان أو أجعَدَ)؛

الأب جينيكين (P. J. Van Ginneken)، في كتابه *Principes de linguistique psychologique* (Paris, 1907)، شرع، بوساطة عدد من طرائق الذكاء والعاطفة والإرادة، كغيره من أقرانه، في شرح بنية الألسُن وتطورها؛



مذهب مار (N. Marr)، والمُجمل في كتابه *Etape du déve-loppement de la théorie japhétique* (Leningrad, 1926)، يؤيّد علاقة القربى بين الألسُن القوقازية (اليافثية (japhétiques)) والسامية والمتوسطية القديمة؛ ظلّت اللسانيات السوفيتية، في فترةٍ من الفترات، متأثرةً بتلك التنظيرات التي تقول بأنّ اللسان بنية فوقية وانعكاس لصراعات طبقات المجتمع، وتقترح تجميع أصناف اللهجات من خلال تلك الطبقات؛

محاولة شميت (P. W. Schmidt) (*Die Sprachfamilien und Sprachkreise der Erde*, Heidelberg, 1926) جغرافيّةٌ من حيث التقسيمات الأساسية، ووراثيّةٌ من حيث التقسيمات الفرعية، فهي مثل سابقاتها، لا يمكن أن تُعدَّ تصنيفيّة لسانية بالمعنى الحرفي للمصطلح.

2. قصور تلك المحاولات

1.2 الاستخدام غير الأكيد للتطورية

أُطلِقت التطورية في العقود الأولى من القرن التاسع عشر، وأُعلن انتصارها سنة 1859 مع صدور أصل الأنواع لداروين (L'origine des espéces)، وهيمنت على الفكر العلمي في ذلك القرن. فليس مصادفةً إذن أن ينصَبَّ عملُ شليغِل، الذي قدّم سنة 1808 أولَ تصنيفيةٍ، على الثقافة التقليدية للهند: فعلى حدِّ قوله: السنسكريتيةُ هي الصِّنف الرفيع، والألسُن العازلةُ بدائيّةٌ، مِمّا يُرجِع عمله، وطبعاً كل ذلك من خلال اقتراحه توجّهاً جديداً للتغيير، إلى ضوابط مثالية. بيد أنّ التوجه المعاكس هو الأكثر احتمالاً: فوحدانية المقطع في الألسُن العازلة مثل



اللسان الصيني ليست بدائية، بل هي كما يبدو نتيجة تطور طويل الأمد، والألسُن ذات الخصائص الإعرابية، مثل الإنجليزية، يمكنها أن تنحو نحوَ صيغةٍ من صِيَغ وحدانية المقطع. وعليه، وللمُفارقة، فإنّ تصنيفية شليغِل، مع أنها تبدو غير تاريخية، تقترح توجُّهاً، هو، علاوة على ما سبق، الأقل احتمالاً. وإنّه لتبويب جينيٌّ جليّ، موروث من النحو المقارن، ذلك الذي يُدافِعُ عنه مقابل تصنيفيّاتِ مِولِر أو فِنك، كُلٌّ من ترومبيتي (A. Trombetti)، ومِيّيه[3] (A. Meillet)، وبشكل غير مباشر، تلميذه بينفينيست (E. Benveniste)، الذي أوضح[4] العلاقة بين الترتيب الوراثي والتصنيفية. واليوم، وباتخاذنا مساراً معاكساً، يبدو جليّاً بشكل متزايدٍ أنّ التصنيفية تضيف إلى المقارنية (comparat- isme) وإلى إعادة البناء إسهامات ثمينة.

2.2 العلاقات صِنف–لسان

فلنُمَحِّص خصائص كل واحد من الأصناف الثلاثة التي وُزِّعت عليها الألسُن ضمن تصنيفيّات القرن التاسع عشر:

تُقدِّم الأصناف الإعرابية والإلصاقية، بدلَ الكلمات المعزولة، تركيباتٍ من الجذور واللواحق، مع:

حوادث حدودية (إعراب) في الصنف الإعرابي: علامات الإعراب: في اللاتيني *tempus* / *temporis* "الزمنُ"/ " من الزمنِ"؛

---

(3) *Le problème de la parenté des langues*, 1914، أُعيد تناوله في: Meillet, 1958, pp. 76-101.

(4) *La classification des langues*, 1952، أُعيد تناوله في: Benveniste, 1966, pp. 99-118.



التصريف: الفرنسية *peux / pouvons* [أستطيع]/ [نستطيع] (حيث *-tempor* و*-pouv* لا تشكّلان كلماتٍ مستقلةً)؛ صِنف فرعيّ يُدعى الإعرابي الداخليّ، حيث يُعبّر عن العناصر النحوية أو المعجمية بتنويعات من الصوائت والصوامت والمقاطع والتنغيمات: الإنجليزي *man/ men* [رجُل]/ [رِجال]، العربي كتاب/ كُتُب (جمع تكسير)، الصيني *măi* (بنغمة هابطة-ثمّ صاعدة) / *mâ`i* (بنغمة هابطة) "اشترى"/ "باع"؛ أو رصفُ تجاورٍ، دونما حوادث حدودية، في الصنف الإلصاقي: مثال فرنسي *amour/ amoureux* [عِشق]/ [عاشِق]، تركي *deniz-ler-in* (بحر "جمع"-الـ) "بحار" (في حين أنّ المُكافِئ اللاتيني *marium* وهو من الصنف الإعرابي، لا يسمح في *-ium* بعزل علامة الجمع وعلامة الإضافة المُدمَجة بها).

يُقدِّم الصِّنفُ العازل عناصر مستقلة متتابعة، سواء أكانت نحوية أو معجمية: مثال صيني *gĕi wŏ guó* (إعطاء لي بلد) "لِوَطَنِنا"، فرنسي *en ville* [في المدينة]... إلخ.

في الحقيقة، إنّ الألسُن مُركَّباتُ بنىً قابلةٍ للتطور، وكما بدا لنا فيما سبق بالنسبة إلى الفرنسي، فإنها تُبرِزُ بشكل جليّ خصائص تتأتى من أصناف متعددة في آنٍ معاً. بل ويمكننا، ضمن التصريف الواحد، أن نجد تركيباً من صِنفين، مثلاً الإلصاق بالجذر المُصرّف (ظاهرةٌ تسمّى بـ"الأقنوم" (hypostase))، كما في اللسان الأوسيتي (ossète) (القوقاز). واللهجات التي تلجأ بشكل كبير إلى الإلصاق لا تتجاهل مع ذلك الحوادث الحدودية (مثال الهنغارية (hongrois)). فالأصناف والألسُن لا تتطابق إذن.



3.2 المشاكل المرتبطة ببنية الكلمة

من الواضح أنّ تصنيفيات القرن العشرين تزامنية، بمعنى أنها تبوّب الألسُن حسب أصناف قابلة للمراقبة وقتَ الدراسة، لا وَفقَ علاقاتها الجينية المبنية على ما نعرفه من ماضيها (التعاقبية dia-chronie)، ولا وَفق مناطق جغرافية تنتشر فيها بعض الملامح المشتركة عن طريق الاحتكاك (تصنيفية مناطقية، تتداخل غالباً مع النوعين الآخرين). مع ذاك، فإنّ أغلب التصنيفيات، سواء في القرن التاسع عشر أو في القرن العشرين، مُقامةٌ على بنية الكلمة. بيدَ أنّ هذا المعيار غيرُ أكيد. ففي الحقيقة إننا، من جهةٍ، نجدُ في الكثير من الألسُن تناوبات (alternances)، تجبُ معالجتها بدراسةٍ يتداخل فيها تخصّصان، الصرفيّة-الصوتية[5] (morphonologie)، الذي سيعرض مثلاً الأزواج *viens/ venons* [آتي]/ [نأتي] *humour/ humoriste* [فكاهة]/ [فكِه]، *beau/ belle* [جميل]/ [جميلة]... إلخ في الفرنسي. من جهة أخرى، هناك اعتبارات نحوية ودلالية تثبّت شكل الصياغات مثل الفرنسي *quant-à-soi* [التحفّظ]، *je-m'en-foutisme* [اللامبالاة]. كذلك الأمرُ بالنسبة إلى الألسُن التي يعمل فيها عنصر مُقيّد على الأقل وكأنه شبه جزيرة، أي يقيم جسراً نحو الخارج من خلال المطابقة أو الإحالة أو التعريف: اللسان الإسكيمي مثلاً يقدّم بنية ستكون أمثلتها الفرنسية، لو كانت ممكنةً،

---

(5) يمكن الاجتهاد في ترجمة مصطلح morphonologie الذي وضعه مؤلف الكتاب ليجمعَ فيه الصرف morphologie وعلم الأصوات (phonologie) وطرح مصطلح منحوت من قبيل (الصرفتية) أو (الصّرتيّة) (المترجم).



من قبيل *il représaillera violentes* [هو انتقام+مستقبل عنيفات].

في الحقيقة، إنّ دراسة **المُكوّنات** (formatifs) (العناصر الداخلية في الكلمة) في جزءٍ منها تاريخيةٌ. أمّا التناوبات فهي نتيجة التوظيبات الصوتية التي اختفت: الإنجليزي الحديث *feet /foot* ("قدم")/ ("أقدام")، هي المرحلة الأخيرة في الطريق الذي، منذ الصيغة الجرمانية الغربية *fot/foti*، مرّ بـ *fot/föti* (نقل النطق)، و *fot/föt* (سقوط *i-* غير المنبور [الذي صار غير فارِق]). من جهة أخرى، إذا لم يَعُد *maintenir* [أمسك بـ] يُحلّل كما يُحَلّل *attrape-nigaud* [مصيدة الحمقى] حتى اللحظة، فذلك لأنّ أحدهما يمثّل نحواً عفا عليه الزمن ولا يتماشى مع أي ديناميكية (مفعول فيه يسبق المُسنَد: *maintenir = tenir avec la main* [أمسك بـ=أمسك بـ اليد]، مثل *culbuter=buter sur le cul* [طَرح أرضاً=أوكَأ على المؤخّرة] إلخ)، في حين أنّ نحوَ الآخرِ دارجُ الاستعمال (مفعول به بعد المسنَد: *attrape-nigaud=qui attrape le nigaud* [مصيدة الحمقى=الذي يمسك الحمقى]، وكذلك *lave-vaisselle=[instrument] qui lave la vaisselle* [غسالة الأواني=[الآلة] التي تغسل الأواني]... إلخ). تمحيص صيغة الكلمات، في الألسُن التي تتنوّع فيها هذه الصيغة، يتضمّن التراتبية، من الناحية الصوتية وكذلك من الناحية النحوية. بالنتيجة، التصنيفيات المبنية على هذا التمحيص لا يمكنها، رغم الظاهر، أن تكون تزامنية، وهذا ما يناقض مقولاتها هي تماماً.



ثالثاً- البحث عن نهجٍ آخر: النّزعات العامة

1. كلّيات أم نزعات؟

(لايزال) مفهوم الكلّيات في اللسانيات المعاصرة مثار جدلٍ. فبعضهم يجعلها في صميم نظرية اللغة (théorie du langage)، والآخرون يعدّونها وهمية. على أي حال، هناك حقيقة تستدعي التفكير: من الممكن كونياً أن نترجم. وممارسة الترجمة، مع كل ما يعتريها من قصور، قديمة بقدم أعرق الثقافات. ولأبُدّ من وجود نظائر حقيقية في الألسُن ليُمكن تحويلها من لسان إلى آخر. خيرٌ من ذلك، يمكننا أن نجعل من ذلك سمة جوهرية، بأن نقول إنّ الترجمة هي الضمانة الوحيدة التي لدينا لمادّة دلالية، على الأقل في الجزء المشترك بين الألسُن. وهذا الأخير مرتبط بدوره بالوحدة الجزئية للوسط الثقافي النفسي. الصفة غير الشاملة لهذه الوحدة تزوّدنا بمقياس درجة الكلّية: يمكننا أن نقول: إنّ (مجموعة) من الكلمات تحمل معنى، يكون أقرب إلى الكلّية بقدر ما يكون استخدامه أقلّ تأثراً بالقيود السياقية الثقافية التي تختلف من لسانٍ إلى آخر.

والكون مبنيّ بحيث يستحيل أن تكون هناك معرفة شاملة، وفوق ذاك، فإنّ الألسُن الميتةَ من دون أن تترك أثراً، وتلك التي لا نَصِل إليها، تخرج عن نطاق سيطرتنا، ناهيك عن أنّ السمات التي تُعرَف بأنها غائبة عن مجموعة من اللهجات يمكنها أن تكون قد وُجِدت في السابق. وتُضاف إلى احتمالية هذا الموضوع أهميةُ الاقتراضات التي تطعن في إسناد الملامح المشتركة لخصائص كلّية. ولذا، وللفرار من سراب السعي الحثيث وراء الكلّيات،



يجب أن نعيَ تماماً القيود القوية التي تحدّه. مع قبولنا، كمعطى لا مناص منه، مجموعةَ اللهجات المعروفة في يوم الناس هذا، سنُحلّل بقدر ما نستطيع ألسن بعيدةً عن بعضها أُسَريّاً وجغرافيّاً. ولن نقترح كموضوعاتٍ القوانينَ الكلّيةَ بل النزعات المهيمنة. وسنهتمّ إذن بالإحاطة بدقائق الأسباب التي يمكنها تفسير المثال النقيض، عندما يمثّل هذا الأخير في الحالات المرصودة جزءاً ضعيفاً نوعاً ما (15% كحد أقصى حد) لكي لا نطعن في النزعة المفترضة. وللقيام بذلك، سنسلكُ سبيلين في آنٍ واحدٍ، افتراضي-استنتاجيّ وتجريبيّ-استقرائي: أحدهما يربط الفرضيات بالاستنتاجات، والآخر يتحقّق من الصلاحية في الوقائع، وبتلاقحهما فقط يمكن تأسيس منهج سليم. تؤتي هذه التوليفة أُكُلها في مجال النزعات التضمينية (tendances implicationnelles) ذات الصيغة: أ ≡ ب، أي "إذا امتلك لسانٌ سِمَةً أ، فإنّه يمتلك على الأغلب السمة ب".

أمّا بالنسبة إلى المحتوى، فلا يتعلق الأمر:

- لا بكلّيات المادة، المُنْكَرة دائماً، مثل "كل الألسُن فيها صفات" بل وحتى "بعض الأصوات تثير في كل مكان المعنى نفسه"؛

- ولا بالقيود على صيغة القواعد، والتي كما يتصورها تشومسكي[6] (N. Chomsky)، كلّيات منهجٍ أكثر منها كليات ألسن؛

- ولا بتعريف اللسان (langue) نفسه، والذي يُغلق حقل

---

(6) Noam Chomsky, *Aspects of the Theory of Syntax* (Cambridge (Mass.): MIT Press, 1965).



الاستقصاء بمجرد القول[7]، وفق التصور الأدنوي للبنيويين الأوربيين؛ وهؤلاء، ورثة حلقة براغ، مجموعة لسانيين أُسِّست سنة 1926، كانوا قد وجدوا في تعاليم دو سوسور (F. de Saussure) (*Cours de linguistique générale*, Genève, 1916) العمل المُؤسِّس، نَبْذاً للقواعد الكلّية لصالح اختلافات البنى بين الألسُن.

وسنرتكز بالأحرى على تقابلين: تقابل الصيغة (forme) والمعنى (sens)، لأنّ الألسُن تستخدم أحدهما لنقل الآخر وإفهامه (العلاقة متحدِّث/ مُستمِع)، وتقابل السلسلة (chaîne) والمنظومة (système)، لأنّ سلسلة الكلمات التي تتعاقب لتُشكِّل قولاً (énon-cé)، تُحقِّق في الوقت، وقت التواصل، القوانين الخاصة بكل منظومة لسانية.

---

(7) وعليه، مارتينيه (A. Martinet) بعد تعريفه اللسان بالتمفصل المزدوج للتجربة بعلامات أدنوية والوجه الصوتي لتلك العلامات بالصويتات، يضيف (André Martinet, *Eléments de linguistique générale* (Paris: A. Colin, 1960), p. 25): "خارج إطار هذه القاعدة المشتركة، لا شيء لسانياً بحتاً يمكنه ألا يختلف من لسان إلى آخر". يمكن العثور على هذا التصور الأدنوي في الولايات المتحدة عند هوكيت (C. Hockett) المتأثر بالبنيوية بشكل مباشر وكذلك من خلال أستاذه بلومفيلد (L. Bloomfield)، والذي لا يأخذ بالحسبان إلا الخصائص التي تميز اللغة الإنسانية من اللغة الحيوانية: الإبداع، التميز ضمن المكان والزمان، التلقي من المنبع، الاعتباطية، سمة الكتمان... إلخ، انظر: "The Problem of Universals in Language," in: Greenberg (ed.), 1963, pp. 1-22.



2. أصناف النزعات المدروسة

منذ ما يقرب من خمسين عاماً، كُرِّست أعمالٌ كثيرةٌ[8] لمنظومات الأصوات المختلفة، لمشكلة الفاعِل، للهيئة[9] aspect، للجنس، للرتبة، للإشاري، للإبراز، للأسماء الموصولة... إلخ. وسواء تعلق الأمر بالأصوات، التي تميز الألسُن بوساطتها الكلماتِ، أم تعلق بالقواعد، فإنّ الدراسة تقع في الواقع دائماً على العلاقة بين الصيغة والمعنى ضمن السلسلة والمنظومة. وضمن هذا الإطار سيدرس هذا الكتاب الخصائصَ العامة للألسن كأرضية مشتركة، لتوزيعها في أصناف. إنّ سلوك الألسُن في التواصل، وفي بنائها للشخصية، وفي تشييدها للثقافات يُسلِّط الضوء على وظيفة النزعات العامة التي تُبرز جميعُها التعاورَ بين الصيغة والمعنى. ولا يمكننا هنا التفكير بالإحاطةِ بكل شيء. ومن بين أوجه الألسُن التي يجب أن ندرس فيها أهليّتها للتعميم، أو على الأقل التعاليم التي تشي بها عن الفروق القابلة لتأسيس تصنيفية، سنتناول بعضاً منها فقط، وهذا لا يطعن في الأخرى طبعاً. يعود الخيار كثيراً للمؤلّف، في الوقت ذاته الذي يعكس الأبحاث المعاصرة[10]. ولذلك ستُدرس هنا:

---

(8) من بينهم بالي (Bally)، تينيير (Tesnière)، غرينبيرغ (Greenberg)، أوسبينسكي (Uspensky) (مُلهِمُ أبحاثٍ أخرى في الاتحاد السوفييتي)، هاجيج، رامات (Ramat)، سيلير (Seiler)، هاجيج - هودريكورت (Hagège- Haudricourt)، كويو (Coyaud).

(9) للفعل العربي هيئتان أو صورتان: المنقطع (الماضي)؛ المستمر (المضارع) (المترجم).

(10) فيما يخصّ المدوّنة التي استُخدِمت كمُرتكز لهذا الكتاب الذي بين



- المواد الصوتية: المنظومات الصوتية؛ التعبيرية (الفصل الأوّل)؛
- تنظيم القول (الفصل الثاني)؛
- عناصر القول (الفصل الثالث)؛
- الشخص والمجتمع واللسان (الفصل الرابع).

= يديك، قمنا بقدر ما نستطيع بتوسيع الأبعاد: العيّنات مكونة من 754 لساناً (موزعة بالتساوي على القارات الخمس)، موصوفة أو مذكورة في البطاقات الشخصية للمؤلف وفي مصادر أخرى: تروبتسكوي (Trubetzkoy)، هاجيج-هودريكورت، غرينبيرغ-فيرغيسون-مورافكسيك (Greenberg-Ferguson-Moravcsik).




مكتبة
الفكر الجديد

الفصل الأول

المادة الصوتية
المنظومات الصوتية؛ التعبيرية

أولاً: المنظومات الصوتية

إذا كان علم الأصوات (phonétique) يصفُ فيزيائيّاً أصوات الألسُن بحدّ ذاتها، فإنّ علم تركيب الأصوات (phonologie) هو دراسة التقابلات بين الصويتات، وهو مفهوم كلّي يشير إلى الأصوات بوصفها تميز الكلمات في لسانٍ ما. وعليه فالصويتان *b* و*m* في الفرنسي يميزان بين *bal* [كرة] و*mal* [شَرّ]: فالـ *b*، لأنّه يتمتّع بسمة الفموية (oral) (أو غير الأنفية)، يقابل الـ *m* الأنفيّ -na (sal. وكذلك، لكونه بين-شفوي (bilabial) فهو يقابل الـ *v* وهو سني-شفوي (labiodental) كما في *val* [أبطَح]، ولكونه مجهوراً (sonore) أو ذا رنّة فهو يقابل الـ *p* وهو مهموس sourd، كما في *pal*[وَتَد]. ووَفق مثل هذه السمات وغيرها، وتُدعى جميعها سديدة pertinents لأنها تبني التقابلات، تُنظِّم ألسُن العالم قِطَعها على هيئة



منظومات صوتية: صوامت (consonnes) وصوائت (voyelles)، ويمكن لهذه الأخيرة، وغالباً أكثر من الصوامت، أن تتباين في السلسلة، لأنها تمتلك سماتٍ عروضيةً: محلّ النبر (مثال إنجليزي *óbject*، "غَرَض"/ *objéct*، "اعترضَ") أو ملمحاً نغمياً (الألسُن النغمية à tons: مثال الصيني *mâ* [بنغمة هابطة]، "سبَّ"/ *mǎ* [بنغمة صاعدة]، "قِنَّب").

ولتقييم النزعات، سنُمَحِّص هنا عدداً كبيراً، مع العلم أنّ مناهج الحساب تختلف من نظرية إلى أخرى، ومن هنا تتأتى القيمة النسبية للنتائج (إلا أنّ المقارنة مع الفصول اللاحقة ستبيّن أنّ القيام بإحصائيات في القواعد أيسر منه في علم وظائف الأصوات).

1. أصناف المنظومات

1.1 منظومات الصوامت

نضع هنا التوائم (مثال في الإسباني *perra*، [كلبة]، في مُقابل *pera*، [كُمّثرى])، وكذلك الصوامت ذات النطق المزدوج المُفخَّم (coarticulation emphatique) (إرجاع اللسان (langue) إلى البلعوم (pharynx) مع قبضه، مثال العربي ط)، أو الشفوي (labial) (اللاتيني kʷ) أو الحَنكيّ (palatale) روسي أو لابونيّ pʲ). علاوة على ذاك، المعيارُ صوتيٌّ. وعليه، ففي الفرنسيّ، *f*، *v*، *s*، *z*، *š*، *ž* هي صواتيّاً احتكاكيةٌ (fricatif)، أي صوامت تُنطَقُ مع تضييق في مجرى الهواء، ومنه يحصل الاحتكاك؛ ومع ذاك ستوضع مع الانفجارية (occlusif)، أي الصوامت التي تُنطَق بحبس الهواء حبساً تاماً في نقطةٍ ما ثم إطلاقه، والحقيقة أنه لا توجد أصوات انفجارية من



مخرجها (point d'articulation) نفسه؛ وبالتالي فقد أقيم هذا الجزء من المنظومة على التقابل بين مهموس ومجهور، من سلسلتين، لكل واحد من الأنساق السِّتة:

الانفجارية والاحتكاكية (الانسدادية) الفرنسية	الأنساق					
	بين - شفوية	سِنية - شفوية	ذلقية (طرف اللسان)	صفيرية	متفشية	لهويّة
السلاسل:						
المهموسة	P	F	T	s	š	k
المجهورة	B	v	d	z	ž	g

في حالات أخرى (مثل الإسكيمو)، سِمةُ الاحتكاكي سديدةٌ، إلا أنّه لا توجد مجهورات من غير مهموس واحد على الأقل. وما أندرَ الألسُن (مثل السويسري الألماني (suisse alémanique في برينز (Brienz)) التي تفوق الاحتكاكيةُ فيها الانفجارية. والتصنيفية التي ستلي تحدّد المنظومات من خلال سلاسلها وأنساق انفجارياتها، المتضمّنة الأصواتَ المركّبةَ (affriqué)، أي التي تبدأ بانفجار ثمّ تنتهي باحتكاك (مثل *tš*،*pf*).

سلاسل انفجارية:

سلسلة واحدة (24% من المجموع). وهذا أقلّ ما شوهِد (جنوب شرقي آسيا، أوقيانوسيا، أفريقيا): لا توجد ألسُن خالية من الانفجارية.



سلسلتان: وهذه هي الحالة الأكثر انتشاراً (37%). والتقابل يكون بين الشديدة (fort) والرخوة (doux)، والتي تُنطَق وكأنها مهموسة/ مجهورة (حال عديد من ألسُن القارات الخمس)، مهتوتة/ غير مهتوتة (aspiré/non aspiré) (دانماركية، صينية)، أو مهموسة/ شبه أنفية (mi-nasal) (*mb* ± *nd* ± *nđ* ± *ng*) (أوقيانوسيا).

ثلاث سلاسل (18%): شديدة/ رخوة/ مهتوتة (كوري)، مهموسة/ مهتوتة/ مُزمّرة (glottalisé) (ألسُن كاليفورنيا، أيمارا (aymara) [البيرو])، مهموسة مهتوتة/ مجهورة/ مُزمّرة (جورجي)، مهموسة/ مجهورة/ مُزمّرة (بانتو الشمالي (bantou du Nord)، كوموكس (comox) [كولومبيا البريطانية]، ألسُن أفريقيا الوسطى).

أربع سلاسل. هذه حالة أكثرُ ندرةً (9%). السنسكريتية والألسُن الحديثة (ذات قربى أو لا) من ديكان إلى النيبال تفكُّ بوساطة سِمة (الهتّ) نفسِها تضعيفَ المهموسة والمجهورة: إنّ صفةَ المجهورةِ المهتوتةِ الاقتصاديةَ قليلاً، والتي تجمع بين مخرجين مزماريين (glottal)، تدعونا لافتراض امتداد بدءاً من نمط p^h، الأكثر انتشاراً والذي يشيع في الألسُن التي فيها b^h. هناك ألسُن أخرى (مثل الامبوم (mbum) [كاميرون]، أباشي (apache) [نيومكسيكو]) تضيفُ إلى السلسلتين القوية والضعيفة أصواتاً مهتوتةً وأخرى شبه أنفية أو أخرى مُزمّرة.

خمس سلاسل (7%). السندهي (sindhi) (الهند) يضيف إلى فكّ تضعيف المهموسة والمجهورة وَفقَ الهَتِّ سلسلة من المجهورة قبل - مُزمّرة (préglottalisé).



ست سلاسل وأكثر (5%). الأوري (owerri) (نيجيريا) تفكّ تشديد مهموساتها ومجهوراتها بوساطة الهتّ، تُضاف إليها بعض الأصوات المزمّرة المجهورة و(أندر من ذلك) المهموسة. أمّا الألسُن الطقطقية (à clic) (الصوامت المطقطقة (claquant) بتتابع الهواء)، وكلها في جنوب أفريقيا (الهوتينتو (hottentot)، الزولو (zoulou)... إلخ) فلديها قائمة غنيّة جداً: أمّا الخُنغ (khung) الذي ينوّع بوساطة الهتّ والتزمير وسواها من السمات طقطقاته السنّية والسنخية (alvéolaire) والجانبية (latéral) والمنثنية (rétroflexe) ففيه 20 سلسلة.

أنساق الانفجارية:

نسقان (0.27%): التاهيتي (tahitien) والهاواوي (hawaiien) مع نسقين على التوالي، *p t* و*p k*، هما حالتان منفردتان.

ثلاثة أنساق: وهي البنية المهيمنة (33%): *p t k* أي نقاط الانفجار الثلاث متساوية الأبعاد. وهي منتشرة في أرجاء العالم قاطبة.

أربعة أنساق (25%): ألسُن أفريقية، جنوب شرق آسيوية، أميركية، أوروبية، إلخ، تضيف نسقاً حنكياً (*c* [±*j*]). ويمكن أن يتعلق الأمر أيضاً بالاحتكاكية *tš* (الإنجليزي) أو *tš*+*ts* (ومن هنا تتأتى الأنساق الخمسة في الإيطالي، ومع *c* ستة في الهنغاري، وبالتالي 10 و12 مع التوائم)، أو باللهوية (uvulaire) (أي صامت يتم نطقه في مدرج اللهاة)، مثاله من العربية الفصحى ق، أو من المزمارية ء (الهمزة) كما في البالو (palau) (مقرونيزيا).



خمسة أنساق (17%): إلى الأنساق الأخرى تُضاف المُنثنية (اللسان معقوف إلى الوراء) في ألسُن في الهند وأستراليا والليفو (li-fou) (جُزُر الولاء). أو يُضاف إلى الأنساق الثلاثة المهيمنة نسقان من صنفين مختلفين، متضمنة الاحتكاكية الجانبية *tl* (شمال شرق القوقاز، الألسُن الساليشية (salish) [شمال غرب أميركا]، المياو (miao) [الصين]، وبعض الألسُن الأزتيكية (aztèque))، المُشفّهة مثل k^w، المحنّكة p^j أو x^w، الشفوية الطبقية *kp* (±*gb*) (أفريقيا، ميلانيزيا)، والحنجرية مثل *h* و/ أو؟.

ستة أنساق أو أكثر: وهي الباقية (24,73%) وتتوزّع في عدد كبير من الأصناف المختلفة، تجمع أغلبها بين الأنساق الثلاثة الأساسية مع هذا أو ذاك من السابقة، أو غيرها (ومن هنا تأتي *bd*، *pç*... إلخ)، أو بتنويعها المنطقة المركزية، مثل في التودا (toda) (الهند) والذي يميز فيه بين السنية، اللثوية، الحنكية والمُنثنية. الكوموكس (كولومبيا البريطانية) فيه عشرة أنساق، والمارجي (margi) (نيجيريا) فيه 12 على الأقل.

الأنفية وشِبه الصائتة (sonant). سلسلة من الأنفية ± *n* ± *m* (كما في[1] (agneau) [حَمَل]) ±*ŋ* (كما في الإنجليزي *ring* [خاتم]) وسلسلة من أشباه الصوائت (*w* ± *r* ± *l* ± *y* ± *h*) تُضاف في الأعمّ الأغلب إلى الانفجارية، وهذه الأخيرة تُمثل: سلسلة واحدة؛ أو اثنتين

---

(1) تُنطَق: أنيو، والمقصود صوت النون متبوعاً بهذه الـ ي كما في إسبانيا (المترجم).



(ومنه مثلاً، مع الاحتكاكية، خمس سلاسل في الصّيني، اليوناني، الألماني، الألسُن الجرمانية والسلافية [أشباه الصوائت تستطيع **بذاتها أن تفكّ تضعيفها حسب ما إن كانت احتكاكية أم لا: التكرارية** (vibrant) التشيكية *r* /*ř*، الجانبية الغالية *l*(galloises)/ *l*]؛ أو ثلاث سلاسل (مثاله الشركسي القوقازي (tcherkesse Caucase))، مع ثمانِ سلاسل، لأنّ من بينها ثلاثاً احتكاكية؛ أو خمس سلاسل (مثاله السندهي، مع تسع سلاسل من بينها اثنتان احتكاكيتان). وفيما عدا الساموان (samoan)، الفيجيّ (fidjien) (مع *m n ŋ*)، والإيجبيرا (igbira) (نيجيريا) (والفرنسي عند أولئك الذين ينطقون *ŋ* في كلمة *parking* [ولو اتّخذنا كمعيار سديد [وهو ما لم نفعله هنا] سمة الانفجار في *p t k*])، فإنّ جميع الألسُن المعروفة تقريباً، لديها من الأنفية بقدر الانفجارية أو أقلّ قليلاً. لم يُذكَر الغياب التام للأنفية إلا في ستّة ألسُن في كولومبيا البريطانية. ونلحظ بشكل عام إمّا وجود أنفي واحد: *n* (7%) أو *m* (10%)، أو اثنين: *m n* (39%)، *m ɲ* (1%)، أو ثلاثة: *m n ŋ* (22%)، *m n ɲ* (14%) أو *m n* والمنثني *ṇ* (1%)، أو أربعة أو أكثر (6%). ونجد في آسيا وأوقيانوسيا وأميركا مجهورة أو مهتوتة ضمن الأنفية، أو ضمن نصف الأنفية أو ضمن أشباه الصوائت، ومن هنا تتأتى السلاسل السبع أو الثمان في ألسُن المياو-ياو miao-yao في الصين أو في الليفو (جزر الولاء)، والتي تفكّ التضعيف حسب ما إن كانت الأصوات انفجارية أو احتكاكية أو أنفية أو شبه صائتة.



1.2 منظومات الصوائت

نأخذ بالحسبان الصوائت التي تظهر تحت النبر (تقتصر القائمة عادة على المقطع غير المنبور) و/ أو المَطلَع، حيث الطاقة والفروق أقوى (في حالة الانسجام، غالباً ما تكون صواتية اللواحق مشروطة). إننا ندعو بالداخلية (interne) كلَّ الصوائت الكائنة بين تلك التي تحتل المواقع المتطرفة من الداخل (غير مدوّرة) ومن الخارج (مدوّرة)، والتي تُدعى بالخارجية (externe) وعددها دائماً ما يكون (مساوياً أو) أكبر من الداخلية. مثالها منظومة الصوائت الباريسية الفموية (=غير الأنفية) القصيرة: 3/ 11، أي 11 منها 3 داخلية:

	داخلية		خارجية
	غير مدوّرة	مدوّرة	(مدوّرة)
مغلقة	*i (mis)*	*ü (mû)*	u (mou)
نصف مغلقة	*e (pré)*	*ö (jeûne)*	o (saule)
نصف مفتوحة	*ε (mais)*	*œ (jeune)*	ɔ (sol)
مفتوحة	*a (patte)*		ɑ (pâte)

فيما يأتي، سنضع بعد العارضة المائلة الرقم الدال على الصوائت الداخلية، ويُقرأُ داخلاً ضمن المجموع السابق للعارضة. في حال غياب الصوائت الداخلية، سنعطي رقماً واحداً فقط.

فموية قصيرة:

المنظومات الموثّقة هي الآتية:

5 (24%). الطوابع الخمسة ثابتة إلى حدّ ما في الإسباني،



متنوعة نوعاً ما في الروسي. هذه المنظومة التي يمكن تمثيلها بـ

i *u*

e *o*

a

هي الأكثر انتشاراً. فنحن نجدها في اليوناني الحديث، الصربي، التشيكي، الجورجي، التامولي، الياباني (حيث تُنطق الـ *u* مثل الـ *ɯ* (غير مدوّرة))، التاغالوغ (tagalog) (الفلبين)، الزولو، ألسُن المايا، البولينيزية... إلخ.

(14%) 6/1. يُضيف صائتاً داخليّاً: *ə* (مثل *je* في الفرنسي) أو *ɨ*. هذه الحالة منتشرة كثيراً: البلغاري، الألسُن الهندميركية... إلخ.

(11.25%) 3. يُشكّل المثلث البدائي *u* *i*

a

مع تنويعات لفظية كثيرة، (ذلك أنّ المساحة النطقية غير مشغولة إلا بثلاث وحدات، مما يتيح العديد من مواضع النطق في الفم)، منظومةً شائعةً: اللهجات العربية، الفارسي (persan)، ألسُن أميركا، جنوب شرقي آسيا... إلخ. هناك فقط الجاكارو (jaqaru) (البيرو)، النونغوبويو (ñungubuyu) والألاوا (alawa) (أستراليا) تستخدم *ɯ* بدلَ *u*. وعليه فالترتيب التنازلي لورود هذه الصوائت الأدنوية هو بالتحديد *u* > *i* > *a*.

(10.65%) *4*: الألسُن الألغونكيّة (algonquienne)، القوقازية



الشرقية... إلخ. هناك اختلافات كبيرة بين لسان وآخر. الصائت الرابع يمكن أن يكون داخلياً، ومن هنا تتأتى المنظومة 1/ 4.

(6.65%) 7/2: i ü u e ö o a وبدائلها: الهولندي، اللهجات الجرمانية، المنغولي (mongol)، الفرنسي الجنوبي (français méridional)... إلخ.

9/2 أو *(5.50%) 9/3* : الألسُن الأورالية (ouraliennes)، الاسكندينافية (scandinaves)، الهندميركية (amérindienne)، الآسيوية... إلخ. في الداكو-روماني (daco-roumain)، الأصوات نصف المفتوحة *ea* و *oa* هي أصوات مزجية (صوائت تغيّر طابعها أثناء إطلاقها)، والداخليان هما *ɨ* و *ə*.

(5.35%) 7: i u e o ɛ ɔ a وبدائلها: ومنظومة الإيطالي واحدة من ضمن هذه المنظومات.

الباقي، أي *22.60%*، تتوزع على منظومات عديدة قليلة التمثيل. وسنذكر نُدرةً بعضها:

- الإنجليزي البريطاني: 1/ 16 من ضمنها 10 مزجية والصوائت *I (this), U (book), Λ (up), æ (cat)*؛

- الفوتياك الأورالي (votiak Oural))، مع *a* و *æ*، كما في أوزبكي طشقند (ouzbek de Tachkent). الألسُن التركية بشكل عام، مع 2/ 8 (مع قائمة الفنلندي (finnois) أيضاً) أو 3/ 8 (والخاص بالمندري (mandarin) أيضاً)، تُشكّل منظومات مُنفرِدة؛



- الفرنسي الباريسي: 3/ 11: حالة نادرة، مع صوائته الثلاثة الداخلية وصائتيه المفتوحين (وكذلك الأمر بالنسبة إلى نصف الصائت فيه *ẅ* [كما في *lui*]، استثنائي (المندري واللاكيا (lakkia)، [الصين]، البروتوني breton، الإيّاي (iaai) [جُزُر الولاء]، خمس ألسُن أفريقية)، في حين تعطي تنويعات الفرنسي من غير *a* أو التقابل *œ* ~ *ö* منظومةً أكثر انتشاراً (2/ 9)؛

- ألسُن شمال غرب القوقاز، مثل الكابارد (kabarde): يمكن أن نعزوَ أو لا إلى الصوامت، الكثيرة العدد والمتنوعة، السمات غاريّ، شفوي، وطبقي الخاصة بـ *i, u, a* على التوالي، وهذا، في مصطلح علم الأصوات التركيبي، ما يعطي صفراً، أو صائتاً أو صائتين.

تراتبية النزعات الإدراجية.

لدينا تقريباً في كل لسان ثلاثة صوائت، حول طرفي الإغلاق (الأمامي والخلفي) والفتحة. أمّا الاستثناءات، فنادرة كما رأينا.

الألسُن التي فيها أكثر من صائت داخليّ واحد (21%) تضمّ بنسبة 47% غير المدوّر الأكثر إغلاقاً (*ɨ*).

الألسُن التي فيها أربعة صوائت أو أكثر لديها *e*؛ باستثناء الكالينغا (kalinga)، المانوبو (manobo) (الفيليبين) والكراو (crow) (مونتانا)، التي لديها *i u o a*.

خمسة صوائت أو أكثر تتضمن *e* وبشكل عام *o*.



ستة أو أكثر تتضمن *o* أو واحداً داخلياً، غالباً *ɨ* أو *ə*؛ باستثناء ألباني الشمال (albanais du Nord) (*ɔ* و *ü*).

سبعة أو أكثر تتضمن *e o*.

ثمانية أو أكثر تتضمن *e*؛ 13% من الاستثناءات.

عدد درجات الفتحة (من الأشدّ إغلاقاً مثل *i* إلى الأكثر انفتاحاً مثل *a*) يساوي أو يفوق عدد المواضع (من الأمامية [*i*] إلى الخلفية [*u*])؛ 8% من الاستثناءات.

عدد درجات الفتحة في المقدّمة يساوي أو يفوق ذلك الذي نجده في المؤخرة. إنّنا نلحظُ أنّه في 86% من ألسُن العيّنة مساوٍ له، وأنّه يفوقه في 13% ويقلّ عنه في 1%.

طويلة:

في الألسُن ذات الصوائت الطويلة (45%)، غالباً ما تكون القصيرة داخلية أكثر من الطويلة.

في 73% من الألسُن ذات الصوائت الطويلة، يتساوى عدد الطويلة والقصيرة؛ وفي 19% يفوقه؛ وفي 8% يقلّ عنه.

الأنفية:

في 56% من الألسُن ذات الصوائت الأنفية، عدد هذه الأخيرة أقلّ من عدد الفموية، وفي نصف الحالات، ما يغيب هو الصوائت الداخلية (المركزية) (مثال الفرنسي الذي ليس فيه إلا *ã*, *ɔ̃*, *ɛ̃* [*œ̃* الموجود في *un* يميل إلى الاختفاء] والذي يفتقد *ĩ* و *õ*)؛ في 44%



هو مساوٍ له: هذه حال الغواراني (guarani) (الباراغواي)، ألسُن كاراييبية مختلفة، البيرماني (birman) (حيث تكونُ الأنفيةُ ذاتُ الفتحة المتوسطةِ مزجيةً)، الكاري (car) (جزيرة النيكوبار)، والذي فيه عشرة فموية وعشرة أنفية (+عشرة طويلة فموية!).

تميل الصوائت الأنفية الأمامية إلى الانفتاح (انظر الفرنسي، حيث الثلاثة الأنفية هي الأكثر انفتاحاً). إلا أنّ ذلك ميلٌ وحسب.

النغمات: العدد الأقصى للتقابلات المعروفة بين النغمات المتعادلة، أي الارتفاعات الموسيقية المنسجمة، والقابلة للتركّب مع بعضها لتكوين نغمات تُسمّى مُنحنية، هو خمسة. ولا نعرف لساناً ذا نغمات منحنية ليس فيه على الأقل نغمة متعادلة، وليس فيه منحنيات ثنائية الاتجاه (هابطة-صاعدة، صاعدة-هابطة) بدون البسيطة (صاعدة و/ أو هابطة).

النبر: إذا ما اعتمدنا كمبدأ درجةَ حريته (انظر A. Martinet, "Accents et tons," dans: *La linguistique synchronique* (Paris): Puf, 1970) pp. 160-161 فإنّا سنلحظ أنّ مكانه، سواء تعلق الأمر بنبر الكلمة أو نبر جزء منها، ثابتٌ عموماً في 76% من الألسُن، ونوعاً ما حرٌّ في 24%.

2. شرح النزعات الملحوظة

إن غاية أيِّ تصنيفيةٍ، كالتي سلف ذكرها، هي السماح بمقابلةِ الحقائق الأقل شيوعاً، والمُسمّاة بالمتنحية، مع الحقائق المهيمنة. وعليه فيمكننا أن نشرح وأن نتوقّع في آنٍ معا، وهو متطلّبٌ مزدوج



في العلومِ. وقد اتّضح أنّ الأصناف المهيمنة هي غالباً ذات الكفاءة الوظيفية[2]: إنّ المقابلة الصوتية بين الصوامت (المهموسة والمجهورة)، التي تَستعمِل حركة لسان المزمار، الأوّلي والقابل للتركيب في آنٍ معاً (دونما عائق في الإنتاج أو التلقي) باستخدام مخارج الأصوات المختلفة، هي بالتحديد المقابلة الأكثر شيوعاً؛ إنّ المنظومات ذات 5، 1/ 6، 3 و4 صوائت، الأكثرَ شيوعاً، هي ذاتها التي تحتوي على أكبر كمّ من التوازيات في التوزيع، وبالتالي أفضل تباينات الإدراك الحسّي؛ ويمكن ربط نُدرة المنظومات، التي تفوق فيها الصوامتُ الأنفيةُ الصوامتَ الانفجاريةَ، بعدم توازي أعضاء النطق. العامل الخارجي، أي التوزّع المناطقي (diffusion zonale) بين الألسُن المتجاورة، هو إذن الذي يمكنه أن يشرح تداعيات "الخروقات"، مثل بعض الغيابات، أو على النقيض وجود أصوات تجمع بين العديد من السمات: وعليه فعددٌ من الألسُن التي فيها الاحتكاكي الجانبي المُزمّر *tl'* وليس *tl* الذي يقتضيه، أو الألسُن التي ليس فيها صوامت أنفية، هي ألسُن الشعوب المُجاورة (شمال

---

(2) بالمقابل، من بين المُتنحّية، والتي نسمّيها غالباً بالموسومة، احتذاءً بعلماء حلقة براغ، لبعضها خصائص، مثل تزامن السمات العديدة، قد نميل إلى الحكم عليها نطقياً و/ أو سمعياً بأنها معقدة، وبالتالي الإعلان عن أنها مُهدّدة، اللهم إلا أن تحميها عوامل خارجية. إلا أنّ هذا لا يصحُّ على الجميع، ويجب التأكّد من أنّ اكتسابها متأخر جداً عند المستخدمين الشباب، وأنّ تواترها في انخفاض داخل لسان ما. وإذا لم نتخذ تلك الاحتياطات، فنخشى أن نقع في العصبية العرقية للسانيّ الغربيّ، الذي يصرّح ببساطة ظواهر الألسُن التي يألفها (وعليه فسيجدُ غريباً الصوائت الخلفية غير المدوّرة [مثل *ɯ*]، والتي سيُحكم عليها بأنها طبيعية في آسيا الوسطى؛ ويظلّ ابتلاع الألسُن الأجنبية، وهو من الاستعمار الخفيّ الجديد، خطراً دائماً).



غرب أميركا)؛ ويصل عدد الصوامت 60 إلى 100 في القوقاز، نيجيريا، جنوب أفريقيا، جنوب الصين؛ الألسُن الغنية بالصوائت هي بدورها محدّدة المواقع: مون خمير (môn- khmer) (كامبوديا، تايلاند)، اللهجات السويسرية الأليمانية (suisses alémaniques) (والتي يمكن أن تضمّ حتى 25 مزجياً)، ألسُن ليبيريا مثل الغويابو (gweabo).

3. التوازنات البنائية

بما أنّ الصائت، وهو قمّة الجهر (sonorité)، مركزٌ مقطعي، والصوامت تقع على الأطراف، فإنّ معظم الألسُن فيها من الصوامت ما يفوق الصوائت عدداً. وحالة الهاواوي (بولينيزيا) استثنائية، إذ تفوقُ الصوائتُ الصوامتَ (عشرة مقابل ثمانية)، ونادرة هي الحالات التي تتعادل فيها الأعداد (ثمانية وتسعة في لسان الويشيتا (wichita) [أوكلاهوما]). وغالباً ما يكون عددُ الصوامت أكبرَ، ويتراوح بين ضِعفٍ واحدٍ 4/ 1 (مثال الفرنسية الباريسية: 14 و17) وخمسة أضعاف (مثال الخونغ [جنوب أفريقيا]: 19 و97). وإذا كانت ثلاثة صوائت لا تقتضي بالضرورة عدداً كبيراً من الصوامت (مثال الإياتمول (iatmul) [غينيا الجديدة]: 3 و12)، فعلى النقيض في الحالات النادرة المعروفة للألسُن ذات الصائتين فقط، يقلب التنظيمُ المتبادلُ، الذي يلعب دوراً كبيراً، النِّسَب أعلاه: مثال الأوبيخ (oubykh) (القوقاز): 2 و73 (لكن طبعاً، هنا عدد الطوابع الصوتية [والتي ليس لها صفة الصُّويتات، ذلك أنها مشروطة في السلسلة الكلامية بما يجاورها من صوامت] أكثرُ من اثنين).



في العلومِ. وقد اتّضح أنّ الأصناف المهيمنة هي غالباً ذات الكفاءة الوظيفية[2]: إنّ المقابلة الصوتية بين الصوامت (المهموسة والمجهورة)، التي تَستعمِل حركة لسان المزمار، الأوّلي والقابل للتركيب في آنٍ معاً (دونما عائق في الإنتاج أو التلقي) باستخدام مخارج الأصوات المختلفة، هي بالتحديد المقابلة الأكثر شيوعاً؛ إنّ المنظومات ذات 5، 1/ 6، 3 و4 صوائت، الأكثرَ شيوعاً، هي ذاتها التي تحتوي على أكبر كمّ من التوازيات في التوزيع، وبالتالي أفضل تباينات الإدراك الحسّي؛ ويمكن ربط نُدرة المنظومات، التي تفوق فيها الصوامتُ الأنفيةُ الصوامتَ الانفجاريةَ، بعدم توازي أعضاء النطق. العامل الخارجي، أي التوزّع المناطقي (diffusion zonale) بين الألسُن المتجاورة، هو إذن الذي يمكنه أن يشرح تداعيات "الخروقات"، مثل بعض الغيابات، أو على النقيض وجود أصوات تجمع بين العديد من السمات: وعليه فعددٌ من الألسُن التي فيها الاحتكاكي الجانبي المُزمّر *tl'* وليس *tl* الذي يقتضيه، أو الألسُن التي ليس فيها صوامت أنفية، هي ألسُن الشعوب المُجاورة (شمال

---

(2) بالمقابل، من بين المُتنحّية، والتي نسمّيها غالباً بالموسومة، احتذاءً بعلماء حلقة براغ، لبعضها خصائص، مثلِ تزامن السمات العديدة، قد نميل إلى الحكم عليها نطقياً و/ أو سمعياً بأنها معقدة، وبالتالي الإعلان عن أنها مُهدّدة، اللهم إلا أن تحميها عواملِ خارجية. إلا أنّ هذا لا يصحُّ على الجميع، ويجب التأكّد من أنّ اكتسابها متأخر جداً عند المستخدمين الشباب، وأنّ تواترها في انخفاض داخل لسان ما. وإذا لم نتخذ تلك الاحتياطات، فنخشى أن نقع في العصبية العرقية للسانيّ الغربيّ، الذي يصرّح ببساطة ظواهر الألسُن التي يألفها (وعليه فسيجدُ غريباً الصوائت الخلفية غير المدوّرة [مثل *ɯ*]، والتي سيُحكم عليها بأنها طبيعية في آسيا الوسطى؛ ويظلّ ابتلاع الألسُن الأجنبية، وهو من الاستعمار الخفيّ الجديد، خطراً دائماً).



غرب أميركا)؛ ويصل عدد الصوامت 60 إلى 100 في القوقاز، نيجيريا، جنوب أفريقيا، جنوب الصين؛ الألسُن الغنية بالصوائت هي بدورها محدّدة المواقع: مون خمير (môn- khmer) (كامبوديا، تايلاند)، اللهجات السويسرية الأليمانية (suisses alémaniques) (والتي يمكن أن تضمّ حتى 25 مزجياً)، ألسُن ليبيريا مثل الغوياب (gweabo).

3. التوازنات البنائية

بما أنّ الصائت، وهو قمّة الجهر (sonorité)، مركزٌ مقطعي، والصوامت تقع على الأطراف، فإنّ معظم الألسُن فيها من الصوامت ما يفوق الصوائت عدداً. وحالة الهاواوي (بولينيزيا) استثنائية، إذ تفوقُ الصوائتُ الصوامتَ (عشرة مقابل ثمانية)، ونادرة هي الحالات التي تتعادل فيها الأعداد (ثمانية وتسعة في لسان الويشيتا (wichita) [أوكلاهوما]). وغالباً ما يكون عددُ الصوامت أكبرَ، ويتراوح بين ضِعفٍ واحدٍ 1 /4 (مثال الفرنسية الباريسية: 14 و17) وخمسة أضعاف (مثال الخونغ [جنوب أفريقيا]: 19 و97). وإذا كانت ثلاثة صوائت لا تقتضي بالضرورة عدداً كبيراً من الصوامت (مثال الإياتمول (iatmul) [غينيا الجديدة]: 3 و12)، فعلى النقيض في الحالات النادرة المعروفة للألسُن ذات الصائتين فقط، يقلب التنظيمُ المتبادلُ، الذي يلعب دوراً كبيراً، النِّسَب أعلاه: مثال الأوبيخ (oubykh) (القوقاز): 2 و73 (لكن طبعاً، هنا عدد الطوابع الصوتية [والتي ليس لها صفة الصُّويتات، ذلك أنها مشروطة في السلسلة الكلامية بما يجاورها من صوامت] أكثرُ من اثنين).



4. ظواهر السلسلة

بعد وقائع المنظومة، تجبُ دراسةُ وقائع سلسلة الخطاب. إنّ العلاقة بين هذين المحورين مهمةٌ للغاية: فعدد الصُّويتات (phonème) يختلف كثيراً، وذلك وَفق البنية المقطعية والموقع، ابتدائي أو متوسط أو نهائي. وتحدث تحييدات (neutralisation) كثيرة للتقابلات، تسمح بتعرّف المصطلح غير الموسوم (ذاك الذي يتحقق عندها). تنضاف إلى فجوات التوزيع اختلافات تواترها في الخطاب، والتي مثلاً، تجعل الألسُن ذات الصوائت الأنفية تستخدم هذه الصوائت في الغالب أقلّ من الصوائت الفموية، وأكثر من ذلك، أنّ هناك مَيلاً (لكنه ليس بالقانون) إلى قلب العلاقة بين التواتر والسِّمة. فلوقائع السلسلة أثر مباشر على تطور المنظومات:

- تتأتى الصوائت الأنفية من اختفاء الصوامت الأنفية، انظر اللاتيني *annus* ← الفرنسي *an* (= [ã])؛

- الصوامت الغارية تُولَدُ من التحام الذلقية (apical) أو الطبقية (vélaire) مع الـ *j*، وَفقَ ما إذا كان موضع النطق في الخلف (الفيجي (fidjien)، الروماني القديم) أو في الأمام (الصيني)، وتؤدي العملية إلى أصوات ثابتة نوعاً ما، يمكنها أن تتحول إلى احتكاكية *tš* أو *ts*، أو الاثنين على التوالي، مثلما في حالتي التغوير في السلافي (slave)؛

- يمكن لقوّة النطق التي تَسِمُ الصامت المهموس أن تضع على الصائت الذي يلي نغمةً ton مرتفعةً، كما يمكن لنغمةٍ منخفضة



أن تصدُر بعد مجهور، وهذه النغمات هي الدعامة الوحيدة للتقابل، إذا ما تحولت المجهورة إلى مهموسة (ألسُن جنوب شرق آسيا).

يمكن تفسير الوقائع الآتية من منطلق النجاعة التواصلية (effi-cacité communicative):

1.4 تجمّعات الصوامت

تميلُ إلى: احتواءِ عدد قليل من الوحدات، وخاصة عندما تكون الكلمة طويلة؛ أن تكون متجانسة فيما يخص التقاطع (إلا أنّ هناك أمثلةً مضادّة، كما في البالاو (palau) (ميكرونيزيا)، مع *tb, bs, kb, pŋ, tŋ*)؛ عدمِ الجمع بين انفجاريّيَن أو بين احتكاكييَن إن لم يكُن هناك مسبقاً مجموعات انفجارية أو احتكاكية؛ عدمِ الجمع بين ثلاثة مُصوّتة. علاوة على ذلك، وجود مجموعة انسدادية (obstruant) (=انفجاري أو احتكاكي) + أنفي يقتضي وجود مجموعة واحدة على الأقل من انفجاري + مائع (*l* أو *r*)، وكل لسان ذي مجموعات ختامية يتضمن على الأقل واحدةً تنتهي بسنّي (انظر Greenberg-Ferguson-Moravcsik, vol. 2, pp. 243-279).

2.4 الصوامت المقطعية

ثُلث الألسُن المدروسةِ تستخدم صوامتَ تشكِّلُ مقطعاً وكأنه صائتٌ؛ وبالتحديد، الأكثر صائتيّةً منها، ذلك أنّ من هذا الثُّلث وفي الـ 5% (ومنها السينغالي (cinghalais)) التي تستعمل بعض الانسدادية، نجدُ 40% تظهر فيها الانسدادية والصّائتية المقطعية (مثال الليندو (lendu) [زائير]، مع *s z r*) و55% ليس فيها إلا الصائتية أو الأنفية؛ 50% من هذه المجموعة الثانوية لا تستعمل إلا الأنفية،



أي *m* (38% من هذا الجزء)، *m* و *n* (34%)، *n* (22%) أو *ŋ* (6%).

3.4 القلب المكاني métathese

يتعلق الأمر بالتبديل بين صويتين، متجاورين أو غير متجاورين، وغالباً ما يكون أحدهما مصوّتاً. إنّ الحالات المعروفة، مثل الألسُن السلافية أو الفرنكي الريفي (franco-provençal)، حيث توجد نزعة إلى استبدال المقاطع المفتوحة، مثل استبدال *tər* بـ *trə* ، تبيّن أنّ هناك محافظةً (وهنا من قبيل الاستباق) على العناصر المُهدّدة بتطوّر اللسان.

4.4 تخفيضات الصوائت بأسلوب سريع

الصوائتُ غير المنبورة، والتي تتقلّص في كل المواقع أو تسقط، تميل، وفق ترتيبِ تواتر هابط، إلى أن تكون: القصيرةَ المركزيةَ والأماميةَ المغلقةَ، الخلفيةَ المغلقة، المفتوحةَ. وكذلك فإنّ التراتبية هي نفسها في الحالة المعاكسة وهي حالة إدراج صائت بين الصوامت. من المفهوم أنّ تكون الأقل انفتاحاً، في الوقت نفسه، الأكثرَ استعداداً لتقطيع مجموعة مكثّفة صعبة اللفظ، والأكثرَ عرضةً للتهديد (لضعف وضوح طابعها).

5.4 المتواليات النغمية

تُبيّنُ الغالبية العظمى في الألسُن النغمية (98%) بجلاء أنّ وجود كلمات فيها تتابع لنغمات مختلفة يفترض وجود كلمات فيها تتابع نغمات متطابقة.



ثانياً: التعبيرية

1. التّنغيم

حقل مفتوحٌ لافتراضات النزعات العامة، وقلّما استُكشِف، إنّه حقلُ التعبيرية. لا ريب أنّ التنغيم لا يتفرّد بالتعبيرية، مثلما أنّ المنظومات الصوتية لا تتفرد بالتعبير عن المعنى التّصوريّ. إلا أنّ التنغيم يقوم في التعبيرية بدور كبير، قد يتعداها ربما إلى حقل النحو المُجرَّد. التنغيم هو مجموعة التغييرات التي تطالُ كل سلسلة من الكلمات. ضرورتُه، والعادةُ الباليةُ في وجوب العمل على الجمل المكتوبة، يكادان يجعلانه لا يُرى. ومع ذاك فإنّ دراسته توضّح خصيصةً أساسيةً من خصائص الألسُن: يساهم التنغيم، ولو بشكل منقوص، بتقليص الفجوة بين التنوعات الهائلة للمعاني والفقر في الوسائط الشكلية التي تُعبّر عنها.

1.1 التنغيم والنحو

إنّ العديد من الأقوال، إذا لم نلقِ بالاً إلى تنغيمها، وإذا ما عزلناها بشكل مُصطَنَع، ستبدو لنا غير صحيحة نحوياً: *lui, ve-nir?!* [آتٍ، هوَ؟] مع تنغيم صاعد بسرعة نحو المستوى بالغ الحدّة (والذي توحي به بشكل غير دقيق علامات الترقيم) تعني، من بين ما تعنيه، "كيف لنا أن نعتقد أنه لن يأتي أبداً؟" بل ويندرجُ التنغيم في النحو كعلامة على دور الكلمة: في الإيستوني (estonien) والليتوني (letton) المحكيّ، وجود "et" ختامي على نغمة هابطة يعني "إلخ"؛ الفرنسي والهنغاري يُميِّزان أحياناً بالموقع والتنغيم، لكن غالباً



بالتنغيم لوحده، الوحداتِ التي نسمّيها بطريقة مُبهمة (انظر فصل 3، ثالثاً)، "ظروف الفعل" و"ظروف الجملة": فالمعنى ليس واحداً في *il parle simplement* [يتحدّث بكلّ بساطة] (المُنحني 1، أي تنغيم استمراري [ضمن المتوسط] + ختامي [في هذه الحالة سقوط نغمي]) وفي *il parle, simplement!* (المنحني 2، أي تنغيم ختامي + اعتراضي [خط مستوٍ ضمن الرخيم])؛ فالفاعل النحوي يتغيّر حسْب المنحني في *à coups de matraque il a frappé (,) le patron* [بضربة هراوةٍ قد ضرب (،) ربّ العمل]. ومع ذاك، وحتى ضمن لسان واحدٍ، ليست وظائفُ المنحني الواحد منتظمةً. وجُلّ ما يمكننا قوله، هو أنّ التنغيم مستخدمٌ بشكل كوني كوحدةِ إدماجٍ وتحليل.

2.1 التنغيم والدلالة

يمسُّ دورُ التنغيمِ التعبيريُّ حيّزينِ: القرائن أو المعلومات التي يعطيها المتحدِّث بشكل غيرِ واعٍ عن نفسه؛ والإشارات (signaux) أو الإظهار الإرادي أو غير الإرادي لعواطف المتحدّث. ويفضّل التراثُ المعنى التصوّري وكأنه مرتبط برامزة (code) أولى، ويجعل دورَ التنغيمِ التعبيريَّ في رامزة ثانوية أو شبه لسانية. ولم يعد هذا الأمر مقبولاً خاصةً وأنّ التعبيرية يمكنها بحقّ أن تظهر في بعض الألسُن (مثال الألباني أو البيرماني) بوسائط عُرِفت بأنها "لسانية بحتة"، أي صُريفات. وتشكل القرائن حقلاً واسعاً، حيثُ تعمل، ما يمكن أن نقترح تسميته، الوظيفة القَرَنيّة (fonction indicielle). ستكون المنحنيات التنغيمية المختلفة قرائن نفسية لَهجية (العلاقة



الرمزية بين الفرد ولسانه)، حيوية لهجية واجتماعية لهجية. وليس التنغيم هو الوحيد الذي يتدخّل في الوظيفة القرَنيّة. إلا أنّ أهمّيته طالما ظهرت من خلال التعرف الكوني على الشعوب المجاورة أو الأجنبية من خلال منحناها النغمي.

أمّا بالنسبة إلى الإشارات فإنّ وضعها متناقضٌ. فمن جهة، هناك ألسُن متباينةٌ تماماً مثل الكونيمايبا (kunimaipa) (غينيا الجديدة)، الهواستيك (huastec) (المكسيك)، الياباني، السويدي التي تُسند إلى المعالم النغمية نفسِها المعانيَ ذاتَها: طلب مهذّب، رفض قاطع، اندهاش، استفهام بلاغي بمعنى النفي. ولكن من جهةٍ أخرى، يمكن لعدم التوازي بين الترميز وفكّ الترميز أن يتباين، حتى ضمن اللسان الواحد نفسه، وذلك وَفق الشعور المُعبّر عنه. وقد بيّنت التجارب أنّه لا يتعرف المتلقون على الفئات التقليدية للمشاعر بشكل متساوٍ (بدءاً من Kant [*Critique du jugement*, Berlin, 1790] وصولاً إلى W. Wundt [*Völkerpsychologie*, Leipzig, 1911-1914]).

2. التعبيرية كمحرك لتطوّر الأصوات

إحدى أهمّ الخصائص الكونية للألسُن هي جدلية الاعتباطي والتعبيري. يولَدُ العبورُ من التعبيري إلى الاعتباطي، من الصراع بين الحاجة إلى التعبير الذاتي وبين الوضوح، بناءً على قاعدة الاتفاق، التي يجعلها الإيقاع السريع للتواصل ضروريةً. لكن وبالمقابل، إذا تضاءلت انطباعاتنا المرتبطة بكلمة جديدة، ستولد هنا الحاجة إلى تجديد الصِّيَغ، بوساطة المُدود واستخدام الأصوات النادرة مثلاً.



يمكننا إذن، وعلى الرغم من أنّ نِسَب الأطوار مختلفة تماماً، أن نقارن الألسُن بالكائنات الحيّة بناءً على اقتراحات شرودينجر (-Schrödin ger (*What Is Life?*, Oxford, 1944)، فهي تقاوم، عن طريق الاقتطاع من الخارج أو التجديد الداخلي، التدهورَ المرتبطَ بأطوار المنظومات الحرارية (القصور الحروري)، مع إنكارها له (عدم القصور الحروري)، كما ينصّ عليه المبدأ الثاني لعلم الحراريات.

3. الرمزية الصوتية والرمزية الصرفية

هيمن المعتقَد السائد حول اعتباطية العلامة، والذي لا توجد حَسْبَه علاقةٌ تبرير بين الحقائق والأصوات التي ترمّزها (والذي كان يعترض عليه كراتيل[3] أفلاطون) على اللسانيات الحديثة منذ دو سوسور. لكن ألا توجد رمزيةٌ في بعض الأصوات (الرمزية الصوتية) وفي تجمّعاتها ضمن صِيَغٍ (الرمزية الصرفية)؟

1.3 الرمزية الصوتية

هناك محاكيات صوتية في كلّ الألسُن. ما يختلف من لسانٍ إلى آخر هو فقط عددها ومدى انتمائها إلى السِّجلّات المألوفة، عندما تُميّز هذه الأخيرة على هذا النحو. ويتّسم أحد أصنافها، وهو الصوت التصويري (idéophone)، بندرة الأصوات (الصويتات (phonème)، النبرات (accent) أو النغمات (ton)) التي تكوّنه، أو بندرة التركيبات بين الأصوات الشائعة أيضاً، وهذه الظواهر الشكلية

(3) محاورة كراتيلوس، انظر ترجماته إلى العربية: عبد الرحمن بدوي؛ عزمي طه السيد أحمد (المترجم).



توافق الانطباعات الحسية أو الذهنية المحسوسة التي هي من صُلب التعبيرية. تنتشر الأصوات التصويرية بكثرة في ألسُن آسيا، من التركي إلى الياباني، وألسُن أفريقيا، من البال (peul) إلى الزولو (zoulou).

مع ذاك، ليس هناك من "كلّيات رمزية صوتية". وقد أسفر الاستقصاء عن الـ *i* كدعامة لمعنى "التصغير" عن 42% من الحالات المناقضة[4]. في بعض الأُسر اللسانية فقط يمكننا أن نلمح بعض التماثلات. علاوة على ذاك، غالباً ما تنتُجُ التوافقات عن معنى سياقي، لا عن خصيصة أصيلة. ختاماً، وبالتحديد، إذا كانت حقائق الرمزية الصوتية مركزيةً؛ فهذا يعني أنّا في مأزق كبير: إنّ عبء التعبير عنها ينضاف، بالنسبة إلى السمات الصواتية، إلى عبء آخر تحمله هذه السمات، على الرغم من عددها المحدود جداً، وهو التفريق بين الكلمات ذات العدد غير المحدود.

2.3 الرمزية الصرفية

نقترح هذا المصطلح هنا لنصف به تلك الخصيصة الموجودة في الألسُن في تشكيلها وتجديدها بعض الأجزاء من مفرداتها بل وحتى من قواعدها، بوساطة إجراءات شكلية ترتبط ارتباطاً

---

(4) يراعي حسابُ النسبة هذا الوضعَ المعقّد، الذي يجعل أنه بالإضافة إلى الحالات المتجانسة للتوكيد (مثال الفرنسي *petit* [صغير]، الإيطالي *piccolo* [صغير]، الروماني *mic* [صغير]، اليوناني *mikròs* [صغير] أو للنفي (مثل الروسي *velikij*، الألماني *Riese* "عملاق")، بعض الألسُن فيها في الوقت نفسه التوكيد والنفي (مثال الإنجليزي *little* "صغير"، *thin* "رقيق"، لكن *big* "كبير"/ *small* "صغير"، العربي صغير لكن المقابل كبير، الهنغاري *kicsi* "صغير"، لكن *aprò* "صغير جداً").



تعليليّاً مباشراً مع المعنى، لأنها بكل بساطة تُمثّله رمزيّاً. الإجراء الرئيسي هو المُضاعفة، أو معاودة المقـ(ا)طع، للتعبير عن معانٍ تصبّ كلّها في مفهوم التكرار نفسه: جمع التكثير للأسماء، جمع الديمومة، التدريج، التكرار، العزم للأفعال (مثال الألسُن الأفريقية، الهندميركية، الأوقيانيسية، الصينية الفيتنامية).

3.3 المتواليات غير القابلة للعكس: ثنائيات الحد ومتعددات الحدّ

نلحظ في عدد كبير من الألسُن تشابهاً صوتياً بين عنصرين، من الفئة ذاتها والوظيفة ذاتها عندما يمكن الفصل بينهما، ولا يمكن عكسهما عندما يكون المعنى اصطلاحياً: الإنجليزي، *flip flop* [حذاء الشاطئ]، *by guess and by gosh* [خبطَ عشواء]، الألماني *klipp und klar* [قطعاً]، الفرنسي *(prendre) ses cliques et ses claques* [غادر (حاملاً) كل أغراضه]، *de bric et de broc* [كيفما اتّفق]، *bric-à-brac* [خُردة]... إلخ[5]. بيدَ أنّ قيوداً مُنتظمةً تظهرُ لنا: الكلمة الثانية أكثر طولاً من الأولى (وهو أمرٌ لاحظه بانيني Pânini في القرن الخامس قبل الميلاد بخصوص السنسكريتي)، فهي تبدأ بصامت أكثر انسداداً و/ أو بصوائت خلفية أكثر و مفتوحة أكثر. بل ويمكننا أن نهدم منطق التسلسل الذي يضع في المقدمة الأشياء الأقرب، مكاناً وزماناً وتمثّلاً من الذات المتحدثة، لأنّ لدينا في الروسي *tant i sjam* ("هناك وهنا")، الإسباني *tarde o tem-*

(5) مثل (حَيصَ بَيصَ) في العربي (المترجم).



prano ("آجلاً أو عاجلاً")، الهندي *kəm o beš* ("أقل وأكثر")، بدل الفرنسي "هنا وهناك، عاجلاً أو آجلاً، أكثر أو أقلّ". يمكننا أن ندعو هذا القيد الصوتي البحت المهيمن على المعنى بقانون غرامونت Grammont. وقد لَاحظَ هذا الأخير"[6] أيّاً كانت اللحظة التي نستمع فيها إلى نوّاس الساعة فإنّا سنسمع دائماً تيك تاك، تيك تاك، ولا نسمع أبداً تاك تيك" وأنّ "التناوب الصوتي للمحاكيات الصوتية المضاعفة [...] يقتضي أنّ صوائتها المنبورة تكون [...] *i, a, ou,* متجهاً من الأكثر وضوحاً إلى الأكثر غموضاً، دون إمكانية عكس هذا الترتيب". وإذا كان الاستقصاء حول العديد من الألسُن يُسفر عن توكيدات لهذا "القانون" أكثر من تكذيبات له، فسيكون عندنا إذن مثال لهذه الجدلية الدورية التي تُحجّر المجموعات التعبيرية عن طريق نزع مبرّراتها.

---

(6) Maurice Grammont, *Traité de phonétique* (Paris: Delagrave, 1933) (rééd. 1971), p. 379.




مكتبة
الفكر الجديد

الفصل الثاني

تنظيم القول

أولاً: القول البسيط

مدخل: التنظيم الثلاثي للقول

يطلق اسم القول (énoncé) على كل مُنتَج لسانيّ يقبله المتكلّم الأصلي على أنّه تامّ، وفيه تنغيم عُرِف أنّه مرتبطٌ بهذه الواقعة. وإذا ما أردنا أن نعرف كيف ينتظم القول؛ فعلينا أن نفرق بين ثلاث وجهات نظر، على الرغم من العلاقة الوثيقة بينها (خطاطة 1 و2).

التعليق على الخطاطتين 1 و2:

1. تتعلق وجهة النظر الأولى بالعلاقة بين القول ومنظومة اللسان نفسها، أي وظائف العناصر (النحوية) وعلاماتها (الصرفية)، ومن هنا جاء اسمها النحوية الصرفية. ولا يهدف هذا الاسم إلى المزج بين الصرف كدراسة للصِّيَغ وبدائلها وبين النحو، وهو ميدان العلاقات. إنّه يذكّرنا بأنّ أحدهما يُظهِر الآخر: وهما معاً يؤسسان



وجهة نظر مميّزة. وعلاوة على ذلك، علينا أن نحرص على عدم الخلط بين الفئات: اسم، فعل... إلخ والوظائف، وهي أصناف خاصة من العلاقات بين الوحدات الكُبرى في القول: وظائف المُسند، الفاعل، المفعول، وبين أعضاءِ مجموعةٍ كجزء من قول: وظائف المُعرِّف والمُعرَّف.

2. تغطي وجهة النّظر الثانية العلاقة بين القول وما يتحدّث عنه. وتمرّ حدود اللسانيات بعيداً عن ذلك نوعاً ما، وذلك وَفق ما لدينا من تصوّر أعظميّ (maximaliste) أو أدنويّ (minimaliste) للدلالة. العالم الخارجيُّ أو ميدانُ المراجِع، مدلولُ كل علامة (يعطيه القاموس حين الحاجة)، المعنى المرتبطُ بكون الكلمة اسماً أو فعلاً... إلخ، وكونُها تقوم بوظيفة الفاعل... إلخ (دلالة النحو)، التنظيمُ السياقيُّ (فـ *gros* [سمين] ليس لها المعنى نفسه أمام *mangeur* [آكِل] وأمام *bonhomme* [امرؤ])، والمتواليتان (*sale type* [شخص رديء الخُلق] و*type sale* [أنموذج وَسِخ] ليستا مترادفتين)، الإدراجُ في نصّ منطوق أو مكتوب يُسهم في معنى قولٍ، وهو ليس مُنتَجاً مُنفرِداً، كانت تلك المكوّنات الستة للمعنى (sens)، والتي يجب أن تُحيط بها نظرية لغوية غير اختزالية. لكن بالإضافة إلى المعنى هناك الدلالة (signification). ودراسة اللغة لا يستأثر بها اللسانيّ وحده. وإن لم تكن لديه القدرة أو الرغبة في التعمّق؛ فلا بدّ له أن يظلّ على الأقل يلقي السّمع:

- إلى علماء المنطق الذين يكتشفون، فيما يكتشفونه، تحت كل قول افتراضات، منها (المحلّية) المرتبطة بمساحات ثقافية-



اجتماعية، والأخرى (عامة) يتّسِم بها الناس جميعاً كمخلوقات ناطقة.

	وجهة نظر نحوية صرفية (1)			وجهة نظر دلالية- مرجعية (2)			وجهة نظر قولية تراتبية (3)	
صنف 1	موضوع الـ	محمول الـ	(*)	مشارك (فاعل أو مفعول أو ظرفي)	قضية		مُخبَر عنه	خبر
صنف 2	موضوع الـ	محمول الـ	تتمة لـ (إجباري): مباشر (تسلسلي) / غير مباشر (مع رابط) ± التتمة لثانية إجبارية	مشارك	قضية	نووية: مشارك أو ظرفي + مستفيد ±	مُخبَر عنه	خبر
عبارة مشبعة مسبقاً	موضوع الـ	محمول الـ	تتمة لـ (إجباري): مباشر / غير مباشر (مع رابط)	مشارك (فاعل أو مفعول)	قضية	هامشية: مشارك جديد (معمول أو عامل) و/أو ظرفي	مُخبَر عنه	خبر



منظومة (هذا اللسان أو ذاك):
وجهة نظر نحوية صرفية
(وجهة نظر 1)

العالم الخارجي + مدلولات العلامات +
دلالة النحو + التنظيم السياقي +
المتوالية + الإدراج في فقرة (+افتراضات
محلية مسبقة عموماً+ حالة الخطاب
+ تدليلات غير واعية):
وجهة نظر 2)

القول اللساني

مخاطب - مستمع: وجهة نظر قولية
- تراتبية
وجهة نظر 3)

الشكل 2

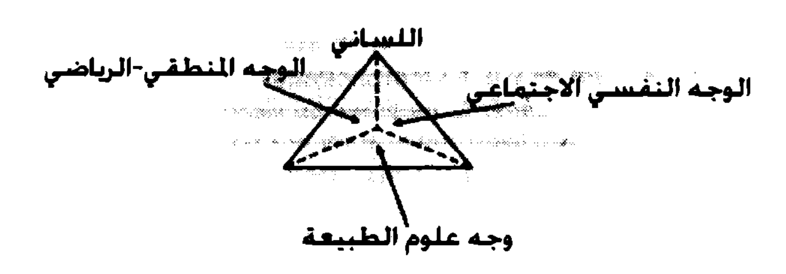
- إلى علماء الاجتماع الذين يدرسون الحالات العملية، العلاقات الاجتماعية والمقامات التي يُقامُ على أساسها التواصلُ، وكل هذه العوامل تلعب دوراً أساسياً في إنتاج المعنى.

- إلى علماء النَّفس والمحللين النفسيين، المهتمين باستثمار المعنى غير الواعي في القول، والذي لا يمكن تجاهله، تحت طائلة التخفيض غير المقبول للمعنى في الوعي.

وبهذا، يظل اللساني محكوماً عليه بالجلوس على قمة هرم ذي ثلاثة أضلاع لا يقْدِر (على افتراض أنه يأسف لذلك) أن يرى في



الوقت نفسه إلا وجهاً جانبياً واحداً، في الوقت الذي تمتد فيه الألسُن على المجموعات الثلاث: والألسُن تقع، من أحد جوانبها، ضمن علوم الطبيعة (فالرسائل أغراض طبيعية)، ومن جانب آخر ضمن مسلّمة منطقية-رياضية (فيمكن للعمليات التي يقوم عليها التعبير أن تُقعّد)، ومن جانب أخير ضمن التخصصات النفسية الاجتماعية (فالألسُن يتكلمها أفراد ضمن جماعات) (الشكل 3).



الشكل 3: الهرم ذو الأضلاع الثلاثة
أو الأوجه الثلاثة لدراسة الألسُن

يمكننا أن نتفهم أنّ أغلب اللسانيين يتمسّكون بالمعنى خارج المقام، ضمن القول على أنه مُعطىً طبيعيّ: ولكي نصل إلى مركّبات الدلالة؛ علينا أولاً أن نستخلص انتظاماً معيّناً للمعنى.

3. تشتمل وجهةُ النظر الثالثةُ على العلاقة بين القول والمخاطِب (locuteur) المستمِع (auditeur)، الذي يختار استراتيجيةً تحدِّدُ تراتبية بين ما يقوله القول (الخبر) (rhème) وبين مَن يُقال عنه (الغرض) (thème)، والذي يُعدّ أقلّ إخباراً). ومن هنا جاءت التسمية قولي-تراتبي.



العلاقات بين وجهات النظر

من المفيد أن نلحظ، وكما تبينه الخطاطة 1، أنّ الأمر لا يتعلق بمستويات اشتُقّ بعضها من بعض، بل من وجهات نظر، وضِعت على الخطّ نفسه، لأنها تتمتع بالأهمية ذاتها، وتُلقي كلٌّ واحدة منها ضوءاً مختلفاً على الوقائع. ومع ذاك، هناك علاقةُ توافق تربط بعضها ببعض، كما تشير إلى ذلك الأسهم. إنّ (المُسند (prédi-cat) و(المُسند إليه (sujet)) مفهومان علاقيّان محضان، ولا يقول لنا هذان المفهومان شيئاً عن الأدوار الدلالية - المرجعية. بيدَ، أنّ المُسند إليه يمكن أن يتوافق مع الفاعل الحقيقي (agent) كما في *Pierre a mangé (la viande)* [بيير أكل (اللحمَ)] كما يمكنه أن يتوافق مع المفعول به (patient) كما في *la viande a été man-gée par Pierre* [اللحمُ أُكِلَ بوساطة بيير]. علاوةً على ذلك، لقد تغير الاختيار الغرضيّ (thématique) من قول إلى آخر: في إحدى الحالات اخترنا بيير لنقول عنه شيئاً ما، أي هو الغرض، وفي الحالة الأخرى، كان اللحم. وما يكون، من وجهة نظر قولية–تراتبية، غرضاً، يتطابق غالباً مع ما يَعملُ، من وجهة نظر نحوية–صرفية، مُسنداً إليه لمُسنَدٍ ما، ويتطابق، في المستوى الدلالي–المرجعي مع إمّا المفعول به أو مع الفاعل الحقيقي. إلا أنّ ذلك ليس ثابتاً.

1. وجهة النظر 1: النحوية-الصرفية

1.1 علاقة الإسناد ومشكلة الفاعل

مفهوم المُسنَد

نتناول مصطلح المُسنَد هنا (انظر الشكل 5) بالمعنى النحوي– الصرفي حصرياً. بيد أنّ هذا الوجه ليس عاماً، ويسود هذا الميدان



نوع من الاضطراب. كُثُر أولئك الذين ينسبون القول لأرسطو، الذي عرّف في كتابه **التأويل** (*De l'interprétation*) التركيب الإسنادي عن طريق تراتبيةٍ ذاتِ نمط منطقي بين المُسند إليه والمُسنَد. ومن خلال القواعد التأملية للقرون الوسطى، استمرت هذه النظرة في منطق بورت رويال (Logique de Port-Royal) (1662)، والذي ينصّ على أنّ التركيب "يجب أن يقوم على ركنين، أحدهما هو من نؤكد شيئاً عنه أو ننفيه ونسمّيه المسنَد إليه، والآخر هو ما نؤكّده أو ننفيه ونسمّيه المحمول أو المُسنَد". وظلّت هذه الفكرة حاضرة عند العديد من نحويّي الحقبة الكلاسيكية، ولكن حوربت فيما بعد في العصور الرومانتيكية والحديثة، وخاصة عند شوشاردت (Schu- chardt) (*Brevier*, Halle, 1922) وعند جيسبيرسن (O. Jes- persen) الذي أدانَ في كتابه (*Philosophie de la grammaire*, Londres, 1924, trad. Paris, Ed. de Minuit, p. 203) الخلطَ بين استخدام مفهوم المُسنَد استخداماً منطقياً أو نفسياً وبين معناه النحوي البحت؛ ومن بعده بالي (Bally) (1932)، يليه تينيير (Tes- nière) (1959)، وقد رفضا أيضاً مفهومَي المُسند إليه والمُسنَد، اللذين تتطابق معهما صِيَغ غير مترابطة إذا ما تمعّنا في المثال اللاتيني *filius amat patrem* ("الولدُ يُحِبُّ أباه"): المُسند إليه = *filius*... *-t*، والمسنَد = *ama-...patrem*، ذلك أنّ المُسنَد، وهو "ما نقوله عن [المُسند إليه]" يشمل، في هذا التصور الذي نحن بصدده، كل ما هو غير هذا المُسند إليه. مع ذاك، ظل هذا التصور سائداً عند ماروزو



(*Lexique de la terminologie linguistique*, (J. Marouzeau) (Paris, Geuthner, 1961, p. 184: يشير المُسند إلى أحد الركنين "وهو المؤكَّد عن الآخر" ومِن ثَمَّ فهو يعتمد عليه.

نُدرك تماماً أنّ هذا الخلط هو تماماً ما يرفضه هذا الكتاب من خلال تفريقه بين وجهات نظر ثلاث: فما تسميه القواعد التقليدية المُسند إليه والمُسند، ما هما في الحقيقة إلا الغَرَض (thème) والخبر (rhème)، واللذان يتطابقان معهما غالباً، ولكن ليس بشكل مُنتَظم، وداخلان في وجهة النظر 3 (القولية-التراتبية)، لا في وجهة النظر 1 (النحوية-الصرفية)؛ وهذا أمرٌ لوحِظ منذ دونيس دو تراس (Denys de Thrace) وفارون (Varon) (القرن الأوّل-القرن الثاني قبل الميلاد) وصولاً إلى تلاميذ بلومفيلد (Bloomfield) (سنوات 1940-1960) مروراً بأبّولينيوس ديسكول (Apollonius Dys-cole) (القرن الثاني) وبريسيان (Priscien) (القرن الخامس)، الذي درس الخطاب *oratio* لا الجملة *propositio*، ولطالما تمسك التيارُ التجريبي بوجهة النظر النحوية الصرفية، وأهملها التيارُ المجابه له منذ زمن بعيد وهو التيار العقلاني المنطقي.

إنّ القول الأدنوي ذا الركنين، وهو أصغر الأقوال الممكنة (ما نعنيه بـ"أدنوي" هو "ذو ركنين") في لسانٍ ما، هو الذي يسمح بالإحاطة بسهولة بعلاقة الإسناد. في العديد من الألسُن، يمكن لكلمة بسيطة أو معقّدة أن تكفي لتشكيل قولٍ: الياباني *kimașita*، "هو، أو أنت، أو س... إلخ جاءَ" هو قول تامّ، مما يدفع غالباً إلى



القول: إنّ في مثل هذا الصنف من الألسُن "يمكن للقول أن يقتصر على المُسنَد". إلا أنّه في الحالات الأخرى، من المفيد أن نتصوّر المُسنَد كمفهوم علاقيّ (مُسنَد، انظر الشكل 1)، ومِن ثَمَّ تعريفه من خلال وروده مع عنصرٍ ثانٍ. "مُسنَد" هو اسم وظيفة، وليس اسم صنف من الكلمات: ففي كل كلمة، بسيطة كانت أو معقّدة، تقوم بهذه الوظيفة، ستُعرّف هذه الوظيفة بسمتين أساسيّتين:

1. أياً كان المرجع، يُضفي المُسنَد على القول الذي يؤسسه على أنّه تامّ بمُجرّد لفظه، حقيقةً في الخطاب؛

2. المُسنَد (سواء قَبِل التعريف أو لا) مُعرَّفٌ بالضرورة، ويعمل كلّ الباقي عملَ غير-المُسنَد أو عملَ المُعرِّف.

الإسناد والتعريف

للوهلة الأولى، يمكننا أن نقرر القول: إن دليلاً شكلياً لخصيصة المُسنَد الثانية، بأن يكون مركز التعريف، تزودنا به الألسُن التي يكون فيها العنصر القائم بوظيفة المُسند إليه، سواء أكان ضرورياً (الألسُن ذات الإتباع الفاعلي) أم لا (الألسُن ذات "القول القابل للاختزال في المُسنَد")، لإقامة قولٍ، له صيغةُ المعرِّفِ نفسُها. في بعض الألسُن: مثال الإسكيمو (الإضافة (génitif))، الغيلياك (guiliak) في سيبيريا الشرقية (تتابعات صوامت)، ويُلحَظ هذا بالنسبة إلى المفعول لا بالنسبة إلى الفاعل. لكن في ألسن أخرى هناك تجانس في البنية بين الإسناد والتعريف. ففي التسيمشيان (tsimshian) (كولومبيا البريطانية) مثلاً، يُلصق الصُرَيف (morphème) ذاته، داخل



المجموعة الاسمية، بالاسم المُعرَّف، وداخل القول ذي المُفاعِل الوحيد (à actant unique)، بالفعل الذي يقوم بوظيفة إسنادية. وفي الكْبيلّ (kpelle) (ليبيريا) هناك تناوب صامتيّ ذو نغم منخفض على الاسم المُعرّف مثلما على الصِّفة، أو علامة التصاعدي، في الوظيفة الإسنادية. يمكننا أن نستخلص من ذلك أنّ التعريف هو أحد الخصائص التي تحدّ الإسناد، وهو مهمّ بما فيه الكفاية بحيث نجد في بعض الألسُن آثاراً تاريخية للعلاقة بين التعريف والإسناد، في بعض حالات عدم التفريق القديم بين الفعل والاسم (مثال تطور الياباني *ga* من رابط إلى علامة الفاعلية). وهكذا يمكن تبرير معاملة الفاعل على أنه مفعول مقيِّد، في مقابل التتمّات الأخرى التي هي وصفية. أمّا بالنسبة إلى المُسنَد، كونه مركز التعريف، فهو أيضاً وتِبعاً لذلك، عقدة التوصيلات.

يظهر ذلك جليّاً في فعل الألسُن ذات الكلمات–الجُمل: في الكيشي (quiché) (غواتيمالا)، القول *manuel k-eb-u-lu-k?am-lok ri-šila tške pa-ri-ha tšanim*، "مانويل سيحمل إليهم حالاً الكراسي إلى المنزل" يُكثّف في فعله الإشارةَ، الأقلَّ تخصيصاً، إلى كلِّ العلاقات، لأن *k*، وهي هيئة (aspect) الحاضر، تعكسها *tšanim* "حالاً"، و*eb*، وهي علامة المفعول به، تعكسها *ri-šila* "الكراسي"، و*u*، وهي علامة الفاعل، يعكسها *manuel*، و*lu*، وهي علامة الجر، تعكسها *tške* "إليهم"، و*lok*، وهي علامة الهدف، تعكسها *pa-ri-ha* "إلى المنزل"؛ *k?am* "حمل"، مركز هذه الشبكة، على هذا النحو، مُخصَّص كُلّياً، ولا حاجة البتّة إلى إظهار ذلك.



إذا كانت مثل هذه الأمثلة تبيّن منزلة المُسنَد كمركز للتعريف، فليس لها مع ذلك أن تنسينا الدور المركزي لوظيفة المُسند إليه في الإسناد. ولا يوجد كونياً إلا ثلاث علاقات ممكنة في صميم القول: الإسناد والتعريف (وحالاته الخاصة، التبعية، الإتمام) والعطف (التجاور فقط في الألسُن التي لا تملك حروف عطف). العطف يجمع (في الفرنسي بوساطة *et* [و]، *ou* [أو][1]... إلخ) بين عنصرين لا يستطيعان لوحدهما أن يقيما قولاً لكونهما يقومان بالوظيفة نفسها[2] (ولنلحظ أنّ قليلاً من الألسُن (3% ومنها البولوني والصيني والفاتا (vata) [ساحل العاج]) تميّز بين أحرف عطف المجموعات وأحرف عطف المجموعات الفرعية)؛ ولا يختلف العطف دائماً بشكل واضح عن تبعية المعيّة: فروابطهما واضحة دلالياً وتظهر شكلياً في الألسُن (19%) حيث "و" لا يختلف عن "مع". أمّا بالنسبة إلى التعريف، فصحيح أنه إحدى سمات حدّ الإسناد، إلا أنّ هذا الإسناد لا يُختزل فيه إلا إذا أهملنا فارِقاً جوهرياً: في الوقت الذي لا تشكّل فيه أي

(1) علينا أن نلحظ أنّ في بعض الألسن (مثل اللاتيني والبربري (berbère)) يمكن لـ "أو" (العاطف التعاقبي) أن يغير شكله حسب درجة ضرورة الخيار أو درجة الافتراض.

(2) تمنحنا إمكانية العطف غالباً اختباراً يبين ما إذا كانت لعنصرين الوظيفة نفسها أم لا؛ وفي النصوص العفوية، تكشف حروف العطف أحياناً وظيفةً، مثلاً بالنسبة إلى الاسم المُغرضن في الكاموهي (camuhi) أو بعض "ظروف الجملة" في الألسن السّاميّة، هي وظيفة المُسنَد (وفي هذه الحالة الخاصة، تشكل العناصر المعطوفة، التي هي بدورها أقوال، قولاً مركّباً معاً).



مجموعة تعريف (مثال الفرنسي *le père de Jean* [أبو جون]) أو مجموعة إتباع (مثال الفرنسي *parti avec lui* [ذاهِب معه]، *disent qu'ils arrivent* [يقولون إنّهم سيصلون]) قولاً تاماً، ينتِج تعريفُ المُسند إليه للمُسنَد علاقةً تؤسس لقول (لكنها ليست الوحيدة).

اختبارٌ لتعرُّف المُسنَد

يمكننا أن نقدّم الاختبار الآتي، والذي يبدو ضرورياً: المُسنَد هو الوحيد من بين عنصري القول الأدنوي المُثبَت الذي قد يتأثر في حال تغيير المكانة: التبعية، الاستفهام، النفي. المقطع *s'en va* [يذهب] هو المُسنَد في *Jean s'en va* [جون يذهب]، لأنّا لدينا *il faut que Jean s'en aille* [على جون أن يذهبَ]، *Jean s'en va-t-il?* [هل سيذهب جون؟] (ولو كان لدينا *ce n'est pas Jean qui s'en va* [ليس جون هو الذاهب]، فلن يتعلق الأمر بنفي القول بل بتركيز سلبيّ للركن).

تعرُّف المُسند إليه

يجب أن ينحدر تعرُّفه من تعرُّف المُسنَد. مع ذاك، تتعقّد المسألة بسبب أنّ بعضهم لا يتحدّث عن المُسند إليه إلا في الألسُن التي يكون فيها ضرورياً، ناسياً أنّه في الألسُن التي يمكننا أن نحذفه فيها، سيَحُولُ تركنا لمفهوم المُسند إليه دون تعريف الإسناد، الذي هو علاقة.

ينحو موقع المُسنَد إليه نحوَ الثبات. علاوة على ذلك، بعضُ العمليات التي لا يمكن تطبيقها دائماً على المفعولات (الغرضنة،



التحويل إلى موصول، تساهم في تعرُّفِ المُسنَد إليه. في الألسُن ذات الإتباع الفاعلي، يميل المُسنَد الفعلي (78% من الحالات) إلى التطابق مع المُسند إليه، الذي يسم فيه الشخصَ و/ أو الجنسَ (أو الفئةَ) و/ أو العددَ. بالنسبة إلى الألسُن التي تلتصق القرينة الشخصية بفعلها، يمكن أن يتعلق الأمر إمّا بالمتكلم أو بالمخاطب، أو بالغائب، في هذه الحالة إذا كان أمكن الاسم أن يتطابق مع القرينة فإنّ مجموعهما يُمثّل المُسند إليه، كما في Jean viend r a

إلا أنّ مثل هذا التطابق غير ممكن في الجمل ذات الفاعل غير الشخصي، كما في الفرنسي *il pleut* [إنها تُمطر] أو *il lui en cuira* [قد يصيبه مكروه]، حيث لا يستطيع أي اسم أن يحل محل *il* [هو]، وفي الألماني *mir ist kalt* (إلى أنا يكون برد) [أنا بردان] (حيث لا شيء يمكنه أن يكون امتداداً لعلامة الغائب المُدمَج في *ist*)، أو الروسي **menja** *znobit* (إياي [إضافي-منصوب] "في حرارة")، [أنا مصاب بالحمّى]، **emu** *povezlo* (له كان حظ) [كان محظوظاً]، **v-lesu** *šumit* (في الغابة (مكاني) هذا ضجة) [في الغابة ضجة]، **s-den'gami** *tugo* (مع نقود (أداة) يكون شاقاً) [هناك عَوَزٌ]، حيث لا شيء يمكنه أن يتوافق مع علامة الغائب أو الحيادي *i-t*– أو *o* (l)–. تكشف هذه الاستحالات عن أنّ علامة "الشخص" جامدة، وأنّ الأمر يتعلق بغير الشخصي. وبدل أن نعامِل كل مجموعة ملونة بالغامق كمُسند إليه، من المُستحسن أن نرى فيها مفعولاً في قولٍ نُزِع منه

المُسند إليه[3]، وعلينا أن نلحظ أنه لم يكن في الألماني وفي الروسي في حالة الرفع، وهي الحالة الطبيعية للمُسند إليه فيهما (مما لا يستلزم البتّةَ أن تكون وظيفةٌ ما مرتبطةً بحالة معينة). أما فيما يخصّ الألسُن ذات الفعل الذي لا يحمل علامة الشخص، فيمكننا أن نعدّ المُسند إليه فيها مجموعات اسمية عامِلها رابطٌ، مثل *shān shang* في الصيني *shān-shang hĕn mĕi* (طَوْد-على جداً جميل) [جميلٌ هو الجَبَل]. إلا أنّ الأمر مختلف عندما تظهر المفعولات، كما سنرى.

2.1 المفعولات

مفهوم المفعول

تختلف الأقوال الأدنوية، مثل *Jean court* [جون يركض] عن الأقوال منيعة الاختزال وغير الأدنوية، مثل *il a un chat* [هو يملكُ قِطاً]، حيث لا يمكننا حذف *un chat* [قِطّ] (لكن يمكننا فيها استبدال *a un chat* [يملك قطاً] بـ *court* [يركض]، مما يعطينا قولاً أدنويّاً). يُقال هنا إنّ *chat* معمول الفعل *a*، وهناك طريقة أخرى للتعبير عن علاقة العمل هذه هي أن نقول إنّ *chat* هو المفعول الإجباري للفعل *a*. تتباين الألسُن في إمكانية أو عدم إمكانية تمثيل الأفعال عديمة المفعول لبعض الإجراءات التي تتطلّب مشاركَين: يمكن للفرنسي أن يقول: *il mange* [هو يأكلُ]، إلا أنّ النّاهواتل (nahuatl) (المكسيك) مضطر إلى إضافة ركنٍ يكافئ "شيئاً ما"، والغواراني (الباراغوي) فيه فعلان بمعنى أكل حسب ما إن كان هناك

---

(3) وهذه إحدى حالات عدم التوازي بينِ وجهات النظر 1 و2-3، ذلكِ أنّ ما يطابق هذا المفعولَ من أركان 2 هو المشاركُ الوحيدُ، ومن أركان 3 المبتدأُ.



مفعول أو لا. عندما يكون المفعول إجبارياً (القول منيع الاختزال، صنف 2 في الخطاطة 1)، سواء أُوجِد عنصر ربط: مثال *il va* **à Paris** [هو يذهب **إلى باريس**]، أم لم يوجد: مثال *il a* **un chat** [هو يملك **قِطاً**]، فسَنُسمّيها نوويّة، بينما إذا ظهرت فقط في القول المُكتفي (انظر نفسه): مثال *il court* **vers elle** [هو يركض **نحوها**] أو *il mange* **le pain** [هو يأكل **الخبز**]، فسنسمّيها مُحيطيّة (péri- phérique). عدد المفعولات وطبيعتها معاييرُ تصنيفيةٌ للأفعال في الألسُن، وللألسن نفسها. ففي 28% من المجموع، لا بُدّ من تمثيل المفعول (بمصطلحات 1، انظر خطاطة 1) التي تكافئ المفعول به (بمصطلحات 2) إلزامياً في الفعل بقرينة شخصية (مثل ألسن البانتو (Langues bantoues)).

الأقوال الأدنوية مرحلةٌ مهمّةٌ إلا أنّها ليست الخلية الأساس لكل أصناف الأقوال. تتنوع العلاقات حسب عدد المشاركين. وعليه ففي الصّيني، المجموعة ذات الرتبة المؤخرة *yuànzi-li* تعمل عمل الفاعل في *yuànzi-li dǎsǎode-gānjing* (ساحة-في-كَنْس-بعناية) [كُنِسَت الساحةُ بعناية]، لكن تعمل كمفعول في *yuànzi-li guà-zhe yī-xiē-dàzìbào* (ساحة-في تُعلّق "تصاعدي" واحد-بعض-مُلصقات) [في السّاحةِ عُلِّقت بعضُ المُلصقات].

المشاركون، المنتفعون، الظروف

يتطابقُ مع المفعول (وجهة نظر 1) من وجهة النظر 2 إمّا مشاركٌ مُفاعِل (القائم بالفعل أو مفعول به)، أو ظرف، أي المحيط المكاني، الزماني أو التصوّري الذي تسهم العناصر الفاعلة عبره في



القضية. أفعال نطاقات "dire à" [قال لـ] و "donner à" [أعطى لـ] ثلاثيةُ الركائز في معناها، تُدرج عنصراً مُفاعلاً ثالثاً، ومن هنا جاء التركيب فاعل + مفعول + مُنتفع. ويمكن لهذا الأخير، في الألسُن التي يشتمل الفعل فيها على قرائن المُفاعِلات، إمّا أن يقصي قرينة المفعول به (مثال الناهواتل [المكسيك]، الأيمارا [البيرو]، الهايو (hayu)[النيبال]، أو يبقى معها (مثال السوميري (sumérien)، لسان شمال غرب القوقاز، الباسكي[4] (basque))؛ ويحيل غالباً إلى مالك شيء مملوك يُنظر إليه على أنه منيع نقل الملكيّة (مثال فرنسي *il lui a pris la main* [أخذ يَدَها] أو مرتبط بفضائه الشخصي (مثال فرنسي *ça lui gâche la vie* [هذا يُفسد عليه حياته]). بالمقابل، بالنسبة إلى الظرف، حتى لو تطابق مع مُتمِّم نووي، تَندُرُ هذه المعالجة (ناهواتل، مايا (maya) (مثال الكيشي quiché، التاراسك (tarasque)[المكسيك])[5]، مثلما هو الحال مع الإدماج بواسطة المطابقة بالنوع-الجنس أو بالعدد (2% منها الأفار (avar) [القوقاز] حيثُ يتطابق الـ"ظرف" من حيث الجنس مع الفاعل، السونداني (soundanais)[جاوا]، الكوري، حيث يتطابق بالعدد، الماوري (maori)، حيث يتطابق بالضمير مع الفعل، أو البندوبي (bindubi) [أستراليا]). مع ذلك، ليست الظروف محيطية بطبيعتها.

---

(4) توجد في هذه الألسن البنية "il-le-lui-donne" [هو- ـه - له - يعطي] = [يعطيه إيّاه] مع ثلاث قرائن مُدرجة، بينما لا نجد في الناهواتل، الأيمارا أو الهايو إلا "il-le-donne"، حيث "le" (=له) يمثّل المنتفع لا المفعول ولا الغرض المُعطى.

(5) يتعلق الأمر هنا بالمعنى الحرفي لإدماج قرائن الظروف، لا قرائن الحالة، الأكثر شيوعاً (مثال الجورجي، الشركسي (tcherkesse)[القوقاز]، السوميري)، حيث تلحق بالفعل لواحق معنى الاتجاه، الآلة... إلخ.



إذا ما تطلّب الفعل أكثر من مُشارك، فيمكننا أن نُسمّي القولَ مُسبقَ الإشباع (présaturé). يشير هذا المفهوم إلى صِنف أساسي من أصناف التنظيم: مع أنّ الإشباع لم يُدرك ضمن البنية التي ينضاف فيها ظرف واحد، في حين يمكن وجود عدد من الظروف، إلى العنصرين الفاعلين الأساسيين، فالأمر يتعلق ببنية الانطلاق نحو الإشباع. إذا ما استدعى معنى الركن أو المركَّب الذي يعمل كمُسنَد مشاركين اثنين، ففي حال كان المشارك الوحيد في القول الأدنوي لا يحمل علامة (انظر الشكل 1)، فإنّ أحدهما سيكون له علامة (بوساطة صُرَيف و/ أو بوساطة موقعه) كمفعول به (في الألسُن المُسمّاة "الناصبة" (accusative)) أو كفاعل (في الألسُن المسمّاة "محدودة التعدية" (ergative)). وعندما يكون هناك إعراب فإنّ ذلك يعطينا (إذا ما اكتفينا بهذين النوعين):

<table dir="rtl">
<tr><td></td><td colspan="4">القول = مُسنَد + مُفاعِلان</td></tr>
<tr><td></td><td colspan="2">الألسُن الناصبة</td><td colspan="2">الألسُن محدودة التعدية</td></tr>
<tr><td>من وجهة
نظر نحوية
صرفية</td><td rowspan="2">الفاعل:
مرفوع أو
صِفر
↕
القائم
بالفعل</td><td rowspan="2">المفعول:
منصوب
أحياناً
أو حالات
أخرى
↕
المفعول به</td><td rowspan="2">الفاعل:
مرفوع أو
مُطلَق أو
صِفر
↕
المفعول به</td><td rowspan="2">المفعول:
مفعول غير
منصوب
أحياناً مجرور
↕
القائم بالفعل</td></tr>
<tr><td>من وجهة
نظر دلالية
مرجعية</td></tr>
</table>

الشكل 4

توجّه بعضُ الألسُن (مثل الأورالية والإسكيمو) القضيةَ إمّا نحو المشارك الوحيد (التصريف الفاعلي)، وإمّا نحو المفعول المحدّد (التصريف المفعولي) الذي يُعامل شكلياً مُعاملة المملوك. عدد كبير من الألسُن الناصبة لديها صيغة (أو أكثر) من صِيَغ الفعل المسمّى مبنياً للمجهول، يمثّل الفاعل فيه مفعولاً به، والقائم بالفعل ليس ضرورياً بشكل عام.

إلى جانب الألسُن الناصبة بانتظام (46% ومنها الفرنسي والماليزي (malais)... إلخ) أو محدودة التعدية (26% ومنها الباسكي، التيبيتي (tibétain)... إلخ)، هناك ألسن (21%) إمّا محدودة التعدية، وإمّا ناصبة وَفقَ:

– صيغة التامّ/ غير التامّ (مثال الهندي وفق ما إن كان المفعول معرفةً، الجورجي، الألسُن الإيرانية مثل الباشتو (pashto))؛

– أشخاص المُفاعلين (له علاقة بالحقائق المادّية–الثقافية)؛

– اتجاه القضية (درجة السيطرة: مثال الأوبيخ والباتس bats [قوقاز]، الساموان [بولينيزيا])؛

– صِنْف الجملة الصُّغرى، رئيسة أو تابعة (مثال التسيميشيان [كولومبيا البريطانية])؛

– أو حتى جزء القول المعنيّ (عدد من الألسُن، مثال الأوقيانوسية والأسترالية، فيها بنية ناصبة ضمن المجموعة الفعلية [اللاصقة الشخصية هي نفسها بالنسبة إلى الفاعل والمشارك



الوحيد] وبنية محدودة التعدية ضمن المقولة [علامة الاسم الفاعل]، مما يقودنا إلى الحالة 2).

في كل هذه الحالات، الشيء الأساسي هو أنّ أحد مُفاعِلَي القول ثنائي المُفاعل (actant)، الفاعل (البنية الناصبة (structure accusative) أو المفعول (البنية محدودة التعدية (structure erga-tive) يُعامَل معاملةَ المُفاعِل الوحيد للقول وحيد المُفاعل (mono-actantiel). تختلف الحقائق الشكلية للمطابقة اختلافاً كثيراً، فمن الأفار (القوقاز) الذي يتطابق فيه الفعلُ مع الاسم المفعول الوحيد، إلى الباسكي الذي يتطابق فيه مع الاسمين. إلا أنّ هناك (7%) من الصيغ الأخرى، ليست بالناصبة ولا بمحدودة التعدية: إمّا أن يعامل المشارك الوحيد معاملة أحد مُفاعلي القول ثنائي المفاعل مرّةً أو معاملة الآخر مرةً أخرى، بوساطة العلامة (البيرماني)، أو الموقع (مثل الصيني، حَسْبَ درجة التعريف)، وإمّا أن يمتاز الفاعل بصيغته عن المفعول وعن المشارك الوحيد في آنٍ معاً (التاكيلما (takelma) [ولاية أوريغون])، أو يحدث الانشطار بدءاً بالقول وحيد المُفاعِل، حسْبَ المعنى: في بعض الألسُن (مثل الغواراني [باراغواي]، الداكوتا (dakota) [أوكلاهوما]، الشيكاساو (chickasaw) [ميسيسيبي]) هناك سلاسل شخصية وَفق درجة تحكّم المفاعلين بالقضية، أو بشكل أعمّ (مثل الكاموهي (camuhi) [كاليدونيا الجديدة])، حَسبَ صِنف القول.

ختاماً، أيّاً كان صِنف اللسان، ليست الدلالة على المفاعلية



حكراً على النحو وحده، وغالباً ما تكفي الحالةُ الخارجيةُ لذلك.

العلاقات بين وجهتي النظر 1 و2

يمكننا أن نميّز نوعين من المفعولات:

مباشرة أو تسلسلية، علامتها فقط هي موقعها قبل أو بعد المُسنَد وبعد مثلِ هذا المفعول الافتراضي، حسب الألسُن وحسب أصناف الأقوال في اللسان الواحد؛ تُضاعِفُ قلّة المرونة الناتجة عن الحدود الصارمة التي تفرضها خطّيّة الخطاب تواترَ ما نسميّه "المفعول به المُباشر"؛ ويصبح هذا المفهوم، نتيجةَ العلاقة بين تفريغ المعنى والتواتر، ضبابيّاً جداً؛

المفعول غير المباشر: ولا يدلُّ عليه دائماً مكانه فقط، بل الرابط: تقديم، تأخير، الإحاطة، العلامة الإعرابية، أو عدد من هذه الإجراءات. إنّه إذن قابل للتحرير نظرياً قياساً إلى قيود الموقع. يمكننا أن نطلق اسم حالة اتّساعاً على أصناف العلاقات الدلالية بين المُسنَد والباقي، من الفاعل إلى المفعولات المكانية والهيئية... إلخ.

لا يتطابق تقابل المفعولات المباشرة وغير المباشرة مع تقابل المُفاعلين والظروف:

Il mangera [سيأكلُ] يمكن أن يتبَعَه *le pain* [الخبز]، المفعول به، كما يمكن أن يتبعه *demain* [غداً]، الظرف، وهو مع ذلك مباشرٌ أيضاً. ومما تُعدُّ مباشرةً، رغم أنها لا تتطابق البتّةَ مع المفعول به، في البول (غربي أفريقيا)، ألسن البانتو، الأسترونيزية



(austronésiennes)... إلخ، مفعولات الأفعال ذات اللواصق الموجِّهة مكانياً، غائيّاً، أداتيّاً؛ "الظروف" عامّةً، تتمات الزمن مثل، في الفرنسي *l'an dernier* [العام المنصرم] *la nuit* [ليلاً]، أسماء الأماكن ذات التصنيف الثقافي.

على النقيض، لدينا في الإسباني *yo veo a Juan* [أرى خوان] حيثُ وُسِمَ خوان بالرابط *a* ولكنه يقوم مقام المفعول به لا الظرف؛ وكذلك يسمُ الفارسي والتركي والعبري المفعول به المُعرَّف بأنّه مفعول غير مباشر، ويمكن للروسي أن يجعله في محل نصب أو محل مفعول الوسيلة أو محل الجر. في كل تلك الحالات، العملُ ثابتٌ (انظر أيضاً الفرنسي *changer de roue* [غيّر العجلة]، الألماني *sie wartet auf ihn* [م إلى م (هي تنتظر عليه) "هي تَنتَظِرُهُ"]. وعلى النقيض، عندما يكون المفعول غير المباشر ظرفاً نوويّاً، يتغير العمل غالباً: *il va à Paris, vers l'école, jusqu'à toi* [يذهبُ إلى باريس، نَحْوَ المدرسةِ، حتى إليك].

وكذلك، ورغم الخلط الشائع، فليس هناك بالضرورة من رابط بين المفعول غير المباشر والمُنتَفِع. يمكن لهذا الأخير أن يُعامَل في 42% من الألسُن معاملة، إمّا المفعول غير المباشر، وإمّا المفعول المباشر. عندما يكون مباشراً فإنّه:

من جهة، يتّسِم بالمتوالية (الثابتة ما عدا حالات نادرة [مثل الكانتوني (cantonais)])، كمميَّز عن المفعول، الذي يتبعه عبر



الفعل (مثال الماندينغ (mandingue) [غرب أفريقيا]: فاعل + مفعول + فعل + مُنتَفِع)، أو يسبقه (مثال ألسن أفريقيا الوسطى، الهندميركية، الجرمانية (الإنجليزي " *he gave me the book* هو أعطاني الكتاب"))؛

من جهة أخرى، هو أحياناً عُرضَةٌ لأن ينقلب نائباً للفاعل لفعل مبني للمجهول، باستثناء المفعول به (مثال الناهواتل [المكسيك]). عندما يكون المُنتفِع مفعولاً غير مباشر، يميلُ موقعهُ إلى الثبات: في الإنجليزي *he gave the bag to Liz on Monday in Paris* [هو أعطى الحقيبة لليز يومَ الاثنين في باريس]، فعلى النقيض من المفعولات الأخرى، وهي ظروف، لا يمكن تغيير موقع *to Liz*. أمّا فيما يخصّ تتابع مفعولين مباشرين يعدلان الظروف، فإنّه نادر ولكنه موجود (مثال التيكار (tikar)[الكاميرون] في أسماء الأماكن المؤشّرة (indexé).

الإشباع التام للقول، والذي يمثّل الدرجة القصوى، يعتمد على الألسُن، ولكن يعتمد أيضاً على قيود الانتباه والذاكرة الكونية: مثلاً، نادرةٌ هي الأقوال التي تضمّ منتَفِعاً + ثلاثة مفاعِلين actants منهم واحدٌ للتّصيير (factitivation) + ثلاثة ظروف (مثال الفرنسي *il a fait donner un livre à Jean par Paul au parloir à cause de Pierre malgré l'interdiction* [قام بإعطاء كتاب إلى جون بوساطة بول في المَحكى[6] بسبب بيير رَغم المَنعِ].

---

(6) مكان يُسمح فيه للسجناء بالحديث إلى زوّارهم (المترجم).



الروابط

المناطق الدلالية

يمكن ترتيب عناصر الربط في مناطق مُفاعلية من جهة، وظرفية من جهة أخرى، وتتضمن هذه الأخيرة المناطق التصورية (مثال الفرنسي *avec* [مع]، *à cause de* [بسبب]، *pour* [من أجل/ بُغيةَ])، المكانية والزمانية (مثال الفرنسي *dans* [ضمن]، *à* [إلى]، *devant* [أمام]، *après* [بَعْدَ]، *hors de* [خارجَ]، *à travers* [عَبْرَ]، *sur* [على]، *depuis* [مُنذ]، *durant* [طَوالَ]، *jusqu'à* [حتى]... إلخ). هذه المجموعة الأخيرة التي تستنفذ لوحدها كل الروابط الموجودة في بعض الألسُن التي تفتقر إليها، تُمثِّل غالباً في الألسُن الأخرى لائحةً متجانسة شكليّاً عُرضةً للتخصّص حسب امتلاء المكان أو خُلوّه (مثال الكوري)، درجة المجاورة (ألسن القوقاز) أو الحركة (مثال الإنجليزي *at ≠ to* [في ≠ إلى]، إلخ. علاوة على ذلك، يمكن أن ترتبط عناصر الربط بالمتغيرات مثل حيّ/ غير حيّ (مثال الفرنسي *chez* [عند]) أو تتصرف حسب الزمن (مثال المدغشقري (mal-gache) أو الشخص (الألسُن السلتية (celtiques)). ختاماً، نجد فيها أنواعاً من التفريق دقيقة دقّةَ الانتفاعي والخبري مثلاً (مثال الباسكي)، كما نجد بالمقابل ترادفات تشي بوجود صلات قربى دلالية:

- اتجاه/ توزيع/ هدف (مثال الإنجليزي *to*)؛
- فاعل/ معيّة (مثال البامبارا (bambara) [ساحل العاج] السواحيلي (swahili) [جنوب شرق أفريقيا])؛
- فاعل/ مُنتفِع (مثال الصيني *gěi*، أو الياباني *ni*؛ الفاعل



المُستَهدَف (datif) في بعض بنى اللاتيني، الإغريقي القديم، الجورجي، الليتوني، الألسُن الدرافيدية (dravidiennes) (الهند)؛ الفرنسي *il lui a fait faire un travail* [هو جَعَلَه يعمل عملاً = جعله يقوم بعمل])؛

– المعيّة (أي المشاركة بين متساوين)/ آلة (أي على النقيض هي معونةٌ يقوم بها مُساعد، غير حي عموماً)/ طريقة (مثال الفرنسي *avec* [مع/ بِـ/ بوساطة])؛

– اتجاه/ مفعول به (مثال العديد من الألسُن الهنديركية، وكذلك الهندوأوروبية والأورالية حيث تُعاد إلى المنصوب حالة الوِجهيّ (latif) [حالة الحركة نحو]).

الروابط والمُفاعلة: المكان – المفعول

يربط الرابط مفعولاً بالمُسنَد، ويمتاز بذلك عن المُسمّي، الحادث على الاسم لوحده والقابل للحذف، مثلما هو *près de* [قريب من] في *près de dix hommes viendront* [قُرابة عشرة رجال سيأتون]. في اللويا (luyia) (كينيا)، *inyúmàyà* "خلف" رابط، أمّا *xú* "على" فليس كذلك، ذلك أنّا إذا ما انطلقنا من *Jón à-tsí-à xù-mú-sá:là* (جون ذهب-في الماضي على-فئة-شجر [تسلّق جون على الشجرة]، فيمكننا أن نحصل على البناء للمجهول والتطابق الفئوي: *xù-mú-sá:là xù-tsí-bw-à-xwò né:ndè Jón* (*bw* = مبني للمجهول، *xwò* = "هنا"، *né:ndè*= "بِـ") حرفيّاً



"على الشجرة تُسُلِّقَ بوساطة جون"، على حين أنّ هذه المحادثة ما كانت ممكنة لو أنّا انطلقنا من قولٍ مبنيٍّ للمعلوم مع *inyúmàyà* بدل *xù*. مع ذاك، في ألسن أخرى (الصيني مثلاً)، يمكن لمجموعةٍ اسميةٍ يعملُ فيها رابطٌ ما أن تكون فاعلاً. وسواء أكانت هذه هي الحالة أو تعلّق الأمر بمفعول كما في الروسي، أو حتى لو كان لدينا حقيقةٌ مُسمٌّ مثل *xù* في اللويا، يظل الاسم موسوماً على أنّه مكانيّ. وعليه، يقابل البنيتين الروسيّ *umitšles* (غابة (في حالة الرفع) هي ~ ضجيج) والصينيّ *zhèi-zuò-shān hěn měi* (هذا –مص–جبل جداً جميل) اللتين لا تقومان إلا بتعريف مفهومٍ ما، يقابلهما القولان ذوا المجموعة الرابطية الموضوعة في المقدّمة(7)، والمحدَّدُ فيهما، بما يمكن أن نسمّيها بنية مُتَّحِدةَ المركز (homocentrique)، نوعٌ من أنواع من الائتلاف بين الظروف والمُفاعلية؛ لأن الأمر يتعلق هذه المرة بمسرح حوادث، مُخصَّص ربما، وبالتالي بمكانٍ–مفعولٍ: في *v-lesu šumit* يُنظر إلى الغابة على أنها مكان مُخصَّص بظاهرة طبيعية، فهي صاخبة؛ أما في *les šumit*، فنقول عنها فقط، كمفهوم، إنها تَصخَبُ. البنية الأولى التمركزية المحلّية (lococentrique)، حالها حال الكثير من الأقوال الصينية (مثال: *shān-shang hěn měi* أو *yuànzi-li dǎsǎo-de-gānjing*).

(7) انظر أيضاً الأقوال ثنائية الفاعل ذات المفعول الذي يعمل به رابط مكاني في النافاهو (navahu) (أريزونا): مثال *Ja:n biko:h-goya: ho-o-l-tsa* (جون وادٍ ضيّق–تحت إياه–هو–رأى (ماضٍ))، أي "جون رأى في أسفل الوادي الضيق".



الرابط ومعموله:

علاقاتهما

تربط علاقةُ استلزامٍ بين الرابط ومعموله، أي المفعول الذي يربطه هو بالمُسنَد. والدليل على ذلك أنه لابدّ من الإحالة إلى السياق أو الحالة لدى تأويل البنى ذات الرابط منزوع المعمول، مثل الفرنسي *étudié pour* [مدروس لـ] = [أُعِدّ لهذه الغاية]، *il vote contre* [هو يُصوِّت ضِدًّ]؛ الإنجليزي *the table he writes on* حرفيّاً [الطاولة هو يكتب على]، تتناوب مع *the table on which he writes* [الطاولة التي يكتب عليها]، وفي البربري، حيث لا يوجد اسم موصول، بنية مثل *a ḫ təskər aẏṛum* حرفيّاً [ما مع (= بواسطته) هي~صنعت خبزاً]، تُؤوَّل بوساطة إعادة معمول الـ *ḫ* "بِـ" انطلاقاً من *a* "ما". وعليه، فإنّ الروابط التي تظهر من دون معمول هي في الحقيقة عوامل، أو لا يتعلق الأمر حينها بروابط، بل بالأحرى بعناصر تشكّل جزءاً من المُسنَد.

مصدرا الروابط في النحوِ التعاقبي

يوضّح النّحو التعاقبي هذا التلاحم بين الرابط والمعمول: أحدُ المصادر الممكنة للروابط (الآخر عبارة عن الأفعال أو الأسماء التي تتقّعد) هو "الظّروف المُعدّاة"، كما يظهره تطور الإغريقي القديم *óreos bainō káta* "من~الـ~جبل أنا~قادم نزولاً" حيث *káta* مستقلّ، ولا يقوم إلا بتوجيه الحركة، في الإغريقي التقليدي *katà óreos bainō* (مع تغيير النبر)، حيث "الظرف" القديم، الذي أصبح



عامِلاً، تخصّص وصار رابطاً ("من أعلى إلى أدنى الـ"). يمكن ملاحظة هذه المرحلة نفسها من الدورة في الفرنسي المحكي، مثلاً في *dessous la table* [أسفل الطاولة] (تبدو هذه البنية نوعاً من البَلْجَكة (belgicisme)، إلا أنّها قديمة في الفرنسي، إذا ما صحّ أن نحكم عليها من خلال الاستياء الذي أثارته في العهد الكلاسيكي عند بوهور (P. Bouhours)).

قيود

ينتج من العلاقة بين الرابط والمعمول أنه لا يمكننا الحصول على علاقتين متزامنتين لمعمول واحد: فالرابطان *d'au-dessous de* [من تحت] و *par derrière* [من خلف] هما رابطان مركَّبان لكنهما فريدان؛ على النقيض، بعض الألسُن (مثل التاباساران -tabassa ran [قوقاز]) فيها مركّبات يمكن تحليلها إلى علاقتين من بينها واحدة للمعيّة، وهي بنية مستحيلة في الفرنسي، حيث يجب العطف (مثال *vivre avec et parmi les humbles* [العيش مع ووَسْطَ عامة الناس])؛ أمّا بالنسبة إلى البنى الإضمارية (elliptique) من قبيل *comme à l'armée* [كما في الجيش] و *sauf avec lui* [إلا معه]، فإنها تفترض عمل بعض الروابط، وأبعد من ذلك عمل المُسنَد، في مجموعة الرابط نفسه. ولا يبدو تبئير (focalisation) الروابط ممكناً[8]، بلا شكّ لأنّها أيضاً دعامات لعلاقة بحتة، غير إيقاعية، على

---

(8) يمكن أن يعطي هذا في الفرنسي مثلاً: *c'est sous que le livre est la table* (حرفيّاً [أي تحت أنّ الكتاب يكون الطاولة]). يبدو أنّ الاستثناء هو السرانان (Sranan) (كريول سورينامي).



الرغم من أنها مشبَعة بمعنى خاص مرتبط بحيّزها الدلالي.

2. وجهة النظر 2: الدلالية المرجعية

1.2 تصنيفية الأقوال

المبدأ

علاقة الإسناد، وهي خاصيةٌ جوهرية ومنتظمة لكل قول لساني يتكون على الأقل من طرفين، لا يمكنها أن تزودنا بمعايير تصنيفية. فيمكن إذن أن تكون هناك تصنيفية للأقوال الأدنوية فمن وجهة نظر دلالية-مرجعية، لا من وجهة نظر صرفية-نحوية. وتَقسِمُ التصنيفية التي نقدّمها (الشكل 5 الصفحة التالية) الأقوال الأدنويةَ المرصودة إلى فئتين دلاليّتين كبريين: أقوال غير مبنية للمعلوم وأقوالٌ مبنية للمعلوم، وتتضمن الأولى الأصناف 1) نظيري (équatif)؛ 2) إسنادي (attributif)؛ 3) وضعيّ (situatif)؛ 4) وجودي (existen- tiel)؛ 5) وصفي (descriptif). هناك دائماً قضية[9] ومشارك (parti- cipant) يُفتَرض أنّه:

- معرَّف (ثابت) (قول نظيري)؛
- دعامة الخبر (خبري)؛
- محدَّد الموضع (localisé)، بالمعنى الحقيقي ("في"، "على"، "عند"... إلخ) أو مجازاً ("مع"، "لِـ"،) (حاليّ)؛

---

(9) يشمل هذا المصطلح هنا إذن، بالعرف، مجموع الحالات، بما فيها تلك التي يمكن أن نحكم عليها بأنها ضعيفة الحيوية لا ترقى إلى تسميتها بالقضية.



- موجود (وجودي)؛
- مسرح الأحداث (وصفي)؛
- **أو، ختاماً كمبنيّ للمعلوم، في مقابل هذه الأصناف الخمسة غير المبنية للمعلوم، بدرجة متفاوتة من التحكم بالقضية، سواء أوُجِدت حركةٌ أم لم توجد.**

	أصناف دلالية	مشارك
غير مبني للمعلوم	1. نظيري	تحدده القضية
	2. خبري	تصفه القضية
	3. حاليّ	يُعرِّفه المقام
	4. وجودي	مفترض كموجود
	5. وصفي	مُصمَّم كمسرح للقضية
مبني للمعلوم	6.	يتحكم بالقضية

الشكل 5

العلاقات بين المعاني والأشكال

تتعلق هذه التصنيفية بصيغٍ ليست تصوّرية بحتة، بل لسانية بشكل كبير. مع ذاك، فبين المعاني والأشكال علاقات معقدة:

عدم التناظر

الصِّنف 3 لا يتفرد حصرياً بالـ"ظروف" أو بالمجموعات ذات الرابط، لأننا نجد في الروسي *ja k vam* (أنا نحو أنتم) "سآتي



إليكم"، والذي ينتمي إلى الصنف 6 (هناك بنية مشابهة في الماليزي)، كذلك في أحد أشكال المصري س (اسم) + رابط م (="لِكَوْن") + ع (اسم)، والتي تعني **"س يكون ع" فهي إذن من الصنف 1؛ الـ *ḥr*** "على" والـ *r* "نحوَ" تستخدم، قبل صيغة المصدر، على التوالي، للتعبير عن الحاضر والمستقبل في الأفعال، ومِن ثمّ فهي تنتمي للصنف 5 أو 6.

لا يتفرّد الصِّنف 1 بالمُسنَدات الاسمية: إنّها تعبر عن الأصناف 5 أو 6، مع مُفاعِل إضافيّ، في الألسُن (مثل الكوموكس [كولومبيا البريطانية]، البالو [ميكرون]) حيث "أريد هذا" يُقال "هذا لي إرادة" (انظر أيضاً ألسن كاليدونيا الجديدة، حيث "يريد" = "قلبُهُ" أو "إرادتُه"؛ تتطابق المُسنَدات الاسمية أيضاً مع الصنف 6 في الألسُن التي تكون فيها صيغةُ الفاعل الحقيقي للأقوال ذات المفاعلَين والمفعول المعرّف مطابقة لصيغة المُلكيّ (مثال الإسكيمو *arn-ara* [أمّ-خاصتي] "أُمّي" و *tu-sarp-ara* "أسمعه"="[هو يكون] سماع-خاصتي")[10].

بالمقابل، لدينا البنية نفسها في *lui, un saint?* [هوَ، قِدِّيس؟] وفي *elle, un amant?* [هيَ، عاشِق؟] إلا أنّ أحدهما مُكافِئ (équa-tif) والآخر مُلكيّ (possessif) وليس أدنويّاً.

مفاهيم القدرة والرغبة والاحتمال، يُعبَّر عنها بالأفعال في

---

(10) نجدُ أيضاً تجانساً في البنى بين التعبيرات عن الفاعل والمالك (وبين التعبيرات عن المفعول [أو المشارك الوحيد] والمملوك) في ألسن المايا (أميركا الوسطى)، بعض ألسن الأوتو - أزتيك في كاليفورنيا، وبالطريقة المتبقية ذاتها، الألسن الأورالية، مثل الهنغاري.



الفرنسي، وفي جزءٍ منها باللواصق في التركي (وفي الكيشوا (kečua) [البيرو]، حيث "يجب عليّ أن أحمله" تُقال "واجبي حملهُ يكون"). **فهل صيغ الأقوال إذن عَرَضية محضة؟**

التناظر

إذا ما اقتصرنا على الأقوال الأدنوية (مشارك، قضية)، فإنّنا نقلل مخاطر الهوّة بين الصِّيغ التجريدية والتحقيقات. إلا أنّ العلاقات الضرورية بين البنى والمعاني لا تتضح بالشكل الأمثل إلا عندما تكون في طور الإشباع:

الأقوال الدالة على الملكية

إنّ تنوعها، الذي يمكن شرحه، يمدّنا بمثال جيد عن تلك العلاقات. وعلى قاعدة الأقوال الموسّعة، لأنّ هناك مشاركين اثنين، المالك س والمملوك ع، يمكننا أن نتصور:

- س كمُعرَّف بمُلكه لـ ع: صِنف 1: "س (يكون) ع-مالِك" (مثال الكيشوا، الأيمارا [بيرو، بوليفيا])؛

- س كموصوف بهذه الملكية: صنف 2: يأخذُ ع إمّا علامة صفةٍ (مثال الألسُن الأسترالية: "س يكون ع é- [~ ع-مالِكاً]")، أو مُلكيةٍ (مثال غواراني [باراغواي]: "س خاصته-ع")؛

- ع كأنّه "في"، "عند"، "بُغيَةَ" أو "مع" س، أو على العكس، س كأنّه "مع" ع: صنف 3:"عند س (يكون) ع" (مثال الروسي،



معظم ألسن الهند لوحِظَ اختلاف قواعدي (معجميّ في الفرنسي) من صنف ذاك التقابل، الموجود في الكانّارا (kannara): *avanige ha:du ke:lisitu* (إليه موسيقا كان للسّماع) "سمع الموسيقا"/ *avanu ha:danu ke:lidanu* (هو موسيقا (حالة النصب) سَمِعَ) "استمع إلى الموسيقا". هناك حالات أخرى من هذه الانتقالات من صنف دلالي إلى آخر، موسومة بطريقة مختلفة، حسب الألسُن، عن طريق التغيير الصِّيَغي: من 2 إلى 5، ومن 1 إلى 5... إلخ.

1.2 التعدية

بدايةً، إنه مفهوم دلالي. إذا ما مرّرنا، كما يبيّنه المصطلح، وبالتالي وجّهنا نحوَ مشارك جديد قضيةً أساسية لم تكن تعني بدايةً إلا واحداً، فإنّا نُوظّف مفهومي الفاعل والمفعول. وعليه فإنّ *elle rêve* [هي تَحلُم] (صنف 5) و *il fuit* [هو يهرب] (صنف 6) يمكنهما أن يتّسعا إلى *elle rêve de lui* [هي تحلمُ به] و *il fuit René* [هو يهرب من رونيه][12]. لكن يمكننا أيضاً، في الأصناف غير المبنية للمعلوم 1 إلى 4، إدراجُ فاعلٍ، مما يجعل من المشارك الذي كان يضمه القول وحيد الفاعل مفعولاً: *il est président* [هو رئيسٌ] (صنف 1)، *elle est belle* [هي جميلةٌ] (صنف 2)، *le livre est là* [الكتابُ هنا] (صنف 3)، *il y a du pain* [هناك خُبزٌ] (صنف 4)، تُصبح *on l'élit président* [نحن انتخبناه رئيساً]،

(12) هذا الصنف الأول من التعدية، مبدئياً مع علامات صيغية مثل اللواصق و/ أو تغييرات مختلفة في الجذر الفعلي (مثال ألسن كاليدونيا الجديدة)، يمكنه أن يوجه القضية إلى عناصر أخرى غير المفعول: الهدف، الأداة، المعية، الاتجاه.



ça l'embellit [هذا يبهره][13]، *il met le livre là* [هو يضع الكتاب هنا]، *il fabrique du pain* [هو يصنع خبزاً]. هذا الصنف الثاني من التعدية يسمى تسبيباً (causativation) إن كان للفاعل تحكّم قليل، ويسمى تحقيقاً (factitivation) إن كان له أكثر من ذلك. ويمكن أن تطبق العملية على الأصناف 5 و6 مانحةً كل واحد منها إمكانية الانتقال إلى الآخر، ومن هنا تتأتى أربعة الأقوال: *il la fait rêver* "هو يجعلها تحلم" (بجاذبيّته: 5، أو بالتنويم المغناطيسي: 6)، *elle le fait fuir* "هي تجعله يهرب" (عَمْداً: 6، أو لا: 5).

يحتل هذا التقابل بين درجات التحكّم مكاناً كبيراً في ألسن العالم. المحور متحرّك، والصنف 5 لا يعني بالضرورة الغياب التام للتحكّم. إلا أنّه يمتاز بأدنى درجات التحكّم أو التعدية الضعيفة، في مقابل التعدية القوية في 6. فينحو، لعدم وجود انتقال فعّال، إلى جعل المفعول في المحيط، وهو مرتبط منطقيّاً بلزوم القضية (intransiti- vation du procès). وتتقابل وفق الألسُن:

درجات رغبة الفاعل: مثلاً فيما يطابق الأزواج في الفرنسي *entendre/ écouter* [سمع/ استمع] أو *recevoir/ prendre* [تلقى/ أخذ] نميّز في الكوموكس (كولومبيا البريطانية)، وبناء على الجذر الفعلي نفسه لاحقتين؛ "قتَلَ" يعرف هذا الفعل نفسه هذا التنوع حَسْب درجة النيّة بالقتل.

---

(13) إن لم يكن هناك فاعل محدّد، يُعبّر عن تغيّر الحال وحده (صنف 1) أو عن النوعية (صنف 2): *il devient président* "هو يصبح رئيساً"؛ *elle embellit* "هي تُبهِر".



درجات تعيين المفعول: مثلاً يقابل الإنجليزي بين *shoot* [قذف] و *shoot at* [أطلق على]، والفرنسي بين *mordre* [عضّ] و *mordiller* [عضعضَ بلطف] أو *lire son texte* [قرأ نَصَّه] و *lire dans son texte* [قرأ في نصّه]. في الألسُن ذات النصف تعدية (mi-ergatives) (مثل التونجياني (tongien) [بولينيزيا]، الكابارد [القوقاز])، تكون بنية القول مفعولية (الفاعل في حالة الرفع) عندما لا يكون هناك إلا تخصيص جزئيّ للمفعول، يوضع حينها في حالة الخفض.

درجات إنجاز القضية: مثلاً بالفنلندي (finnois)، يُعبَّر عنها، لا بالفعل بل بالاسم المنصوب لمعنى المُكتمِل perfectif، أما معنى المتدرج (progressif) فبالتبعيضي، الموثّق في حالات أخرى من التعدية الضعيفة (مفعول فعل منفيّ أو عملية عقلية)؛ في البالو (ميكرونيزيا)، يضع رابطٌ المفعول المعرّف للفعل المستمر في المحيط، وكأن القضية منغلقة تماماً على نفسها مما يحول دون العمل به مباشرة، في حين أنّ مفعول الفعل المكتمل ممثلٌ بشكل إجباريّ في التركيب الفعلي بوساطة علامة لاحقة: مثال -*ak-məlu?əs ər a-babier* (أنا-كَتَبَ (حاضر مستمر) على-تعريف-رسالة [أنا في طور كتابة الرسالة]/ *ak-lu?əs-i: a-babier* (أنا كَتَبَ (حاضر مكتمل) -دليل مفعول تعريف-رسالة) [أنا أنهي حالاً الرسالة].

درجات تعريف المفعول: مثلاً الأفار (القوقاز) والإسكيمو يضعان الفاعل الحقيقي إما في حالة نصف التعدية (ergatif) أو في



حالة الإضافة (génitif) إذا كان المفعول به معرّفاً، وفي حالة الرفع (nominatif) إذا كان المفعول به نكرةً (ويوضع حينها في حالة الرفع أو في حالة الخفض (oblique)).

هذه التقابلات طبعاً متضامنة. التخصيص الضعيف للمفعول ومعناه غير المحدد وعدم اكتمال القضية هي ثلاثة أوجه للظاهرة نفسها، التي في حالتها القصوى تتمثل في الإدماج (incorpora-tion: التونجياني (بولينيزيا) يقابل بين *na?e-kai?e-Sione?a-e-ika* (ماضٍ أَكَلَ تعدية-جون رفْع-الـ-سمك) [جون أكل السمك]/ *i-he-ika* *na?e-kai?a-Sione* (i = خفض) [جون أكل بعض السمك]/ *kai-ika?a-Sione* [جون آكلُ سمكٍ][14].

3. وجهة النظر 3: قولية- تراتبية

إنها الثنائية المحضة الوحيدة بين الثلاثة، لأنها تقابل دائماً بين الأكثر إعلاماً والأقلّ إعلاماً. تشير أسهم الشكل 1 إلى توافق شائع، لكنه غير مُنتَظم. وعليه، ففي

Il restait cinq pommes [بقيت][خمس تفاحات]

مُسند إليه   مُسند

غَرَض   خَبَر

---

(14) لوحظت إعادة تعدية بعض الأفعال التي صارت لازمة بسبب الإدماج (مثال ألسن كاليدونيا الجديدة).



نرى أنّ المُسنَد، الذي يمكن تعرُّفُه بوساطة الاختبار المهمّ المعروض في هذا الكتاب، يمثّله هنا فعل متصرف، وهو في الوقت نفسه يُمهِّد للـ(غرض)، بما أنّ المعلومة الأساسية (الخبر) يزودنا بها المُسند إليه. من طرف آخر، الخبر بحدّ ذاته ليس جديداً (انظر *il reste le livre en question* [يتبقّى الكتابُ المعنيُّ]، لكنه أكثر إخباراً، في قولٍ ما، من الغرض، المعرّف دائماً عندما يكون اسماً، والذي يمكن أن يكون مقابلاً للعناصر المُرشّحة أن تكون أغراضاً ولم تُنتَقَ في السياق السابق، تماماً كمقابلته للخبر. يظهِر التحليل وفق 1 و3 التطور الدوري والتقابل التصنيفي بين الألسُن ذات القسر الفاعلي (à servitude subjectale) (مثل الإنجليزي)، ذات الغرض (à thème) (مثل البيرماني)، والخليطة. تتطابق التحليلات في حال الغرضنة الضعيفة (في *le chat miaule* [القط يموء]، المجموعة *le chat* [القط] مُسند إليه وفق وجهة النظر 1 وغَرَض وفق وجهة النظر 3)، وتختلف في حال الغرضنة القوية: في الفرنسي العامي *un chat, ça miaule* [قطٌّ، هذا يموء]، المجموعة *un chat* [قطٌّ] غرض والباقي خبر[15]، على حين أنه وفق 1، *un chat ça* [قط هذا] مُسندٌ إليه و*miaule* [يموء] هو المُسنَد (بالإضافة إلى الجزء الصِّفري من المُسند إليه).

التنغيم هو العلامة ذات الأولوية من وجهة النظر 3. يتغير معنى

---

(15) يبدأ الخبر هنا بالضمير *ça* [هذا]، الذي يربطه بالغرض. إذا ما بدأنا بالخبر، فإنّ المنحنى النغمي يتغيّر ويصبح *ça* يحيل إلى لاحق: *ça miaule, un chat* [هذا يموء، قطٌّ]= [هو يموء، القط].



je pensais qu'elle y serait[حِسِبتُ أنها ستكون هناك] وَفق ما إذا كان المنحني هو 1 ("إلا أنها لم تكن هناك!") أو 2 ("وقد كانت هناك فعلاًا")؛ الحالة الثانية تتطابق مع تقسيم: خبر (*je pensais*[حِسِبتُ]) + غرض (*qu'elle y serait* [أنها ستكون هناك]) (المختلف تماماً من التحليل النحوي). يمكننا أن نكرّر عنصراً كغرض ثم كخبر (مثال *pour rouler, ça roule!* [بالنسبة إلى المشي، ماشٍ] أو نستخدم علامة، كما في الفرنسي *c'est ... que* [هذا ... الذي] (أو منفيّه) ("مُلتبِس" إذا لم نأخذ بالحسبان التنغيم، مثلاً في *c'est le film que j'ai vu*[هذا هو الفيلم الذي شاهدتُه]). يحتفظ التنغيم بدوره دائماً، ويرتبط:

1.3 بدور المُغَرضِن (thématiseur) في حال وجوده: مثال الهايو (نيبال)، الكيشوا (البيرو)، الياباني *wa*، المختلف عن علامة الفاعل *ga*؛ الأبنية الترابطية (مثال الفرنسي *Jean; eh bien il est là[quant à]* [[بالنسبة إلى] جون، طيب، ها هو] أو العطفية (مثال الكاموهي [كاليدونيا الجديدة])؛ لواصق ألسن الفلبين، والتي تُغرضِن كل اسمٍ معرّفٍ (حتى ذاك الذي يمثل ظرفاً) عبر توجيه القضية نحوه؛ صيغة محددة للاسم المغرضَن (مثال البربري)؛

2.3 بدورِ علامات الخبر عند الضرورة (47% من الألسُن). وهذه تدعى بـ"المركِّزات" (focalisateur) أو "المُفخِّمات" (em-phatiseur) حسب ما إذا كان الخبر يقابل باقي القول أو يقابل الخبر المُحتمل (قلةٌ قليلة من ألسن هذه المجموعة 2%، ومنها الإيفيك (éfik) [نيجيريا] التي تفرّق بين هذين الصنفين). وتتحقق إمّا على



شكل تغيير بنيةٍ مقطعيةٍ (الروتومي (rotumien) [ميلانيزيا]) أو نبريةٍ (التونجيني [بولينيزيا])، أو كلاصقة تلتصق بالاسم المركّز (لواصق مختلفة أحياناً [مثال الباندا (banda) [أفريقيا الوسطى، الموروي [فولتا العليا]] حسب وظيفة ذلك الاسم)، أو بذلك الاسم + بالفعل (مثال السيرير (sérère) [السينيغال]، اليوكاغوير (youkaguir) [سيبيريا الشرقية])). إلا أنّ التنغيم هو ما يشير إلى البنية في:

un peu, qu'il l'est malin! قليلاً، إنه خبيث! = [هو نوعاً ما خبيثٌ]

thème rhème rhème خبر خبر غرض

thème غرض

وفي:

il l'a vu, Jean, l'avion! [رآها، جون، الطائرة!]

thème thème rhème خبر غرض غرض

أو في:

il l'a vu, Jean, et bien! [رآه جون، وإذن!]

rhème thème rhème خبر غرض خبر

(جون والطائرة، ذُكِرا مِنْ قَبْلُ، إلا أنّ وماذا بعد معلومةً جديدة).

تظهر العلاقة بين وجهتي النظر 1 و3 عبر التاريخ: عن طريق



غرضنة ضمير المُلك، فالبروتون (breton) والعبري الإسرائيلي غيّرا بنية "لِـ س يكون ع"، بوساطة "كان"، إلى بنية "س له يكون ع"، حيثُ ثَبُتَ "له" وانتهى به المطاف بأن صار يعني "يملك"، هذا الفعل "مَلَكَ" يعمل في المفعول ع؛ العربي والصيني، بعدِّهما الغرضَ س في بنية مثل "س، هو ..." أو "س، هذا ..." مُسنداً إليه، صنعا رابطةَ "كَوْنٍ" انطلاقاً من ضميرٍ أو من عائِدٍ.

ختاماً، الخيارُ الذي يحكم أيّ غرضنة ليس عَرَضيّاً. إنه مرتبط بحقل تفخيم الذات، وكذلك مرتبط بمكان الذات والأشياء الأخرى في الأكوان اللسانية.

4. ترتيب الكلمات

إنّه مرتبط ببنية القول، ويستحق دراسة تُفردُ له وتكشف وتشرح الانسجامات التسلسلية (harmonies séquentielles).

1.4 التناقضات التسلسلية

إذا ما اكتفينا بالوقائع المنفردة فستظهر السلسلة مرتبطةً، وبشكل متناقض، أحياناً بالصيغة، وأحياناً بالمعنى.

التعليل الصِّيَغي

غالباً ما تُلحَق العناصر غير المنبورة بأقرب كلمة منبورة، وخاصةً في بداية القول: مثال الانعكاسيات (réfléchi) في التشيكية الحديثة، اللواحق المُدمجة (enclitique) في الألسُن الأسترالية المُسمّاة بذوات النقل المُلصقي، والألسُن الإيرانية (مثل الباشتو [أفغانستان] *kitáb-am xo waxistə* [كتاب- نحن حقاً أخذ



[بالماضي]] [لقد أخذنا الكتاب فعلاً]، الروابط في الكواكيوتل kwakiutl (كولومبيا البريطانية)، مُلحقة باللفظة السابقة بدل أن تلحق بمعمولها (مثل *kʷe:x-x'i:d-e:da bəgʷá:nəm-xa q?ása- sa t? əlʷagayo:* [ضرب-بَذْئيّ-صُريف فاعل رجل-صُريف مفعول قُندس-صُريف أداة هراوة] "شَرَعَ الرجلُ بضرب القُندُسِ بهراوةٍ").

التعليل الدلالي

على النقيض، يمكن أن تعتمد السلسلة على المعنى: بعض الألسُن الأسترالية تُخلخِل المجموعة الاسمية حَسْب العنصر المركّز عليه؛ الأسماء قابلة للتبادل في *Luc a vu Max* [لوك رأى ماكس] (ولكن من الخطأ –بالمقابل– أن نقول إنّ غياب اللجوء إلى العلامات التسلسلية [النَّظم الحُرّ] يتماشى دائماً مع وجود العلامات الإعرابية)؛ نقول: *vin doux* [خمرٌ رقيقٌ]=[خمرٌ سائغٌ] ولكن نقول أيضاً: *douce épouse* [زوجةٌ رقيقةٌ]=[زوجة لطيفة]، ولكنّ النّعت الوصفيّ الفرنسيّ يميل (والوقائع معقّدة) إلى أن يكون حسّياً أكثر أو خارجياً أكثر بعد الإسم، ذاتياً أكثر وأكثر التصاقاً قبله، أو حتى بالنسبة إلى ما يقرب من ستين كلمةً يميل إلى الازدواج: *sale type/type sale* [جِنسٌ قَذر/ صِنف قذر]، *certain charm/charme certain* [بعض الجاذبية/ جاذبية أكيدة] (وكذا بالنسبة إلى بسيط، خاطىء، خاص، فقير، قديم، مختلفة... إلخ). وبالطبع هناك أيضاً بعض الاتجاهات العامة، مثلاً في معظم الألسُن:



- الظرف الأقرب إلى المُسنَد هو المكاني النووي؛
- ترتيب النعوت، بدءاً من الاسم المنعوت وصولاً إلى الطرف القَبْليّ (مثل الإنجليزي، الهنغاري)، البعديّ (مثل الفارسي والباسكي) أو المضاعف (الفرنسي *le beau petit chat noir* [الجميل الصغير القط الأسود "القط الأسود الصغير الجميل"] هو: صفة المقاس ثم النوعية، أمّا مكان صفة اللون فمختلف. إلا أنّ هذه الوقائع المنفردة لا تسمح بتحديد الآثار المُترتِّبة عليها.

2.4 الانسجامات التسلسليّة

بيد أنّا لاحظنا منذ فترة طويلة بعض أصناف التسلسلات في المجموعة الاسمية وفي القول[16]. ومنذ فترة أقرب، لاحظ غرينبيرغ (J. H. Greenberg) (1963) أن الألسُن ذات النسق فعل - فاعل- مفعول (ف فا مف) تميل إلى وضع الرابط قبل المعمول والاسم المُعرَّف قبل الاسم المُعرِّف والمُتعلِّقات الأخرى: مثال العبري، التايلندي (thaï)، الغالي (gallois)، وعلى النقيض من الألسُن فا مف ف: مثل التركي، الياباني، الهندي.

نقد

هذا النوع من البحث، على أهميته في مرحلة تصنيف بدائية

---

(16) انظر: Charles Bally, *Linguistique générale et linguistique française* (Paris: Genève, 1932) وTesnière (1959). التقابلات بين أنساق الجذب المركزي (الإنجليزي *John's Head*) والطرد المركزي (الفرنسي *la tête de Jean*) (تينير)، المتواليات الاستباقية والتدريجية (بالي) وتقديم المجرور وتأخيره تتطابق كلها.



أولى، يتضمن سوء فهمٍ جدّياً. الحقيقة، الصيغ فا ف مف، فا مف ف، ف فا مف... إلخ:

– تخلِط بين الفئة والوظيفة، لأنها تجمع بين رموز إحداها (ف) ورموز الأخرى (فا و مف)، وتعفي نفسها من تبرير اللجوء، فيما يخص جميع أصناف الألسُن والأقوال، إلى مفاهيم الفاعل والفعل و"المفعول"؛

– لا تنطبق بشكل حسنٍ على الحالة التي يكون فيها "المفعول" بين علامة الزمن والفعل (مثال الماندينغ (أفريقيا الغربية) فا مف ف؟)؛

– تُقصي تقريباً حقائق موثّقة، مثلاً الصنف ف مف فا (المدغشقري، الألسُن البولينيزية والميلانيزية)[17]، أو حروف الجر في الفنلندي ("مخالَفة" قديمة قِدَم الصنف الأورالي ذي حروف الجر اللاحقة)؛

– تتجاهل القلبَ المكانيَّ (الأقوال التعبيرية [انظر *survient un loup* [يأتي ذئبٌ]]، الصّبيانية، الشِّعرية، وهي هامة بقدر أهمية الأمثلة بالنسبة إلى اللسانيّين)، تنوع أماكن الفاعل حسب درجة الافتراضية (الصيني، الفنلندي) أو التبئير (اللاتيني والناهواتل)،

(17) كتب غرينبيرغ (1963, p. 6) أنّ الأنساق الثلاثة التي لا نراها أبداً، أو على الأقل نادرة للغاية هي "ف مف فا، مف فا ف، مف ف فا". بَيْدَ أنّ النسق ف مف فا لوحده يمثّل 5% من الألسن. فما هو إذن معيار "نادر للغاية"؟



والوقائع المرتبطة بالضمائرِ (*je le vois /je vois Luc* [أراهُ/ أرى لووك])، بالتوابعِ، بالصيغةِ الفعلية (اللندو [زائير]: فا مف ف في صيغة التدرّجي، فا ف مف في صيغة المضارع؛ الليفو [جزر الولاء]... إلخ)، بالمفعول المُعرّف (الهنغاري فا ف مف/ فا مف ف في حال مف معرفة/ نكرة). ولكن لنقبل بتلك الصيغ، فما الذي يترتّب عليها؟

التأويل التاريخي – الترابطات

في ألسن المايا (أميركا الوسطى): مف فا ف فا مف، الساليش (شمال غرب أميركا): ف مف فا فا مف، والقوقازية الشمالية الغربية: فا مف مف فا ف، ترتيب القرائن الشخصية (بالحروف الصغيرة هنا) في المجموعة الفعلية هو عكس ترتيب الأسماء في القول (صنف المرآة)، مثل النسق في بعض المركّبات (الإنجليزي *song-writer* [مؤلف أغنيات]/ *he writes songs* [هو يكتب أغنيات]، الروسي *zverolov* [ناصب أفخاخ]/ *lovit zverej* [يصيد حيوانات]، أو بالنسبة إلى الفعل و"المفعول"، في التوابع (فا مف ف) في مقابل المتبوعات (فا ف مف) في الألماني أو في الكرو (kru) (ليبيريا). يجب أن نفترض إذن أن أحد النسقين أقدم من الآخر. تعطي هذه الحُجّة التاريخية معنىً لصيغ غريينبيرغ: إذا كان الرابطُ حرفَ جرٍّ، فأصلهُ إمّا فعلٌ في لسانٍ فيه "المفعول" متأخر عن الفعل، وإمّا من لسان (عموماً من الصنف نفسه [ف فا مف أو فا ف مف]) ذي نسَق اسم مُعرَّف+اسم مُعرِّف؛ وإذا كان حرفَ جرٍّ متأخراً، فالأمر ذاته



ولكن مع ترتيب معكوس (صِنف فا مف ف)[18]:

1. فا ف مف:

أ) ف1 ف2 مف: ف2 > حرف جر،

مثال parler donner X "[تحدث أعطى س] parler à" ← X "[تحدث إلى س]"؛

ب) اسم معرَّف+اسم مُعرِّف: اسم معرَّف > حرف جر،

مثال "tête homme " [إنسان رأس] "sur (l')homme"← [على (الـ)إنسان"؛

2. فا مف ف:

أ) مف ف1 ف2: ف1 > جارّ لاحق

مثال "suivre route aller" [طريق يتبع يذهب] "aller le"← long de la route

[الذهاب على امتداد الطريق]"؛

ب) اسم مُعرِّف+اسم مُعرَّف: اسم مُعرَّف > حرف جر،

---

(18) يمكن للسان نفسه طبعاً أن يحوي روابط ذات أصل اسميّ وأخرى ذات أصل فعليّ، سواء تعلق الأمر بالرتب اللاحقة أو السابقة (مثالُ الحالةِ الثانية هو الكوساي [ميكرونيا]، لسانٌ، إذا كان فيه المعمولُ المتكلّمَ أو المخاطبَ، فسيكون إمّا للملكية [بعد حرف جر من أصل اسمي]، وإمّا ضميراً [بعد حرف جر من أصل فعلي]).



مثال homme tête "[إنسان رأس] sur (l') homme"← " [على (الـ) إنسان".

النوع 1 يمثله البول أو الخمير (khmer)، في حين أنّ 2 يمثله الإيجو ijo (نيجيريا) أو اليوت (ute) (كولورادو). عندما يكون النسق فا ف مف في القول واسم معرِّف+اسم مُعرَّف في المجموعة الاسمية، فيمكننا أن نرى في الوقت نفسه حروف جر من أصل فعلي، والجارّات اللاحقة من أصل اسمي (حالة الصيني المندراني: انظر Hagège [1975], pp. 257- 260).

هذا التقعيد للفعل أو للاسم (مع بقاء السمات: حروف الجر المصرّفة في السلتي، المعربة في العربي، الموضوعة في حالة الجمع في العبري، روابط قريبة من الاسم في الألسُن الأفريقية، الأسترونيزية (austronésiennes) أو الآسيوية) تُظهِر، خلال تطور النحو، ليس فقط أهمية المعنى (منطقة الربط) بل أيضاً الموقع (إزاء المستقبل المعمول وباقي العناصر): ويكون الإطارُ إمّا مجموعةً اسمية (وخاصة الروابط المكانية)[19]، وإما سلسلة أفعالٍ (الألسُن

(19) ولكن أيضاً، وأكثر ندرة علامات المعيّنة (مثال البولي [غرب أفريقيا])، أو الطرف أو المستفيد: في ألسن شمال كاليدونيا الجديدة "lui donner" [إليه أعطى] تُقال "donner main sienne" [أعطى يد خاصّته] أو "donner propriété-sienne" [أعطى مُلْك-خاصته]، الرابط أصله اسم ملكية جامد والمعمول هنا إذن اسمٌ، أو ضمير ملك، أو الاثنين متتاليين. وُثِّقت هذه البنية حتى في حالة علامة الفاعل في جزر الوفاء (حيث العلامة -hne أصلها اسم يعني "مكانـ(ـه)").



ذات السلاسل الفعلية) منها واحدٌ، بنبره وبإضعاف معناه (النّشط عموماً)، يثبت على شكل رابط: "*prendre*" [أخذ] يصير علامة على المفعولية والآلة (أفريقيا، آسيا (انظر الصيني *bǎ*))، "*dépas-ser*" [يتجاوز] يصير "*plus que*" [أكثر من]؛ أو حتى، سلسلة طويلة تصوّر مراحل القضية (مثل الإيوي ewe (التوغو) *venir-prendre-livre-donner-moi* [تأتي-تأخذ-كتاب-تعطي-أنا] = "*m'appor-ter un livre*" [تجلب لي كتاباً]).

يمكن شرح الأمثلة المناقضة بوقائع خارجية: عدم التناسق في الأمهري (amharique) (إثيوبيا)، ذي النسق فا مف ف، ومع ذلك حروف جره من أصل فعليّ، يبدو يشير إلى أنه كان فا ف مف قبل أن يستعير من الألسُن الكوشيتية (couchitiques) المجاورة بنيتها فا مف ف (انظر أيضاً الخامتي (khamti) [بيرمانيا] والأهوم (ahom) [لسان ميّت في الأسّام [الهند]]، التعبيرات الاصطلاحية التايلاندية الخاضعة، عن طريق الاحتكاك، لتأثير تيبيتي-بيرماني).

ختاماً، الجارّات اللاحقة (postposition)، لا يمكن أن يكون أصلُها أفعالاً أو أسماءً، يجب أن تكون من أصل ظرفيّ (مثل الرتول (rutul) [القوقاز]: فا ف مف، اسم معرَّف+اسم مُعرِّف).

الترتيب "الطبيعي"

هناك جدلٌ قديم في فرنسا يضع مثلاً أنصار ترتيب المشاعر في مقابل أنصار الترتيب الطبيعي، والذي صار ريفارول (Rivarol)



(*De l'universalité de la langue française*, 1784)، بعد مؤلِّفَي قواعد البور–رويال (1660)، ثمّ بوزي (Beauzée) (*Grammaire générale*, 1767) وغيرهم، المنافحَ الحديث عنه. فبالنسبة إليه، لقد فرض النسق فا ف مف اللسانَ الفرنسيَّ كلسانٍ عقلانيٍّ (لمجتمعٍ منظّمٍ سياسياً، هو الآخر!)، أمّا بالنسبة إلى نقد كونديّاك (Condil-lac) (*Essai*, 1746) الحِسَّويّ للإيديولوجيين (الانفلاتيين على الصعيد السياسي، والتقاء الحدثين هنا لم يكن محض صدفة أيضاً)، فلا يوجد ترتيب مباشر بحدّ ذاته، وكل شيء يقوم على النيّة. في الواقع، من وجهة نظر التنظيم الثلاثي للقول، هناك جدل يقابلُ بين صنفين من الطبيعي:

نحويّ: إنه لمن "الطبيعيّ" نحويّاً اتباع ترتيب وحيد، أي إمّا فا ←مف ←ف (39%)، وإمّا ف ←فا ←مف (15%)؛

قوليّ: فا ف مف (36%، والـ 10% المتبقية هي من أصناف متنوعة) وفق المقولة 3، ذلك أنّ الغرض (الموافق لـ فا)، والذي هو ما نتحدّث عنه، هو، مع هذه النية، تماماً من يأتي في المقدّمة، يتبعه الخبر (ف مف). وعليه، ففي الألسُن التي نعرف ماضيها، نرى أنّ فا مف ف (حيث يُخشى الخلط بين فا و مف إن لم يكونا مَشكولين) تصبح فا ف مف، هجينة نحوياً (فا → ف ← مف)، لكنها "طبيعية" من حيث الإخبار (ومؤاتية للإضافات التلقائية أكثر من فا مف ف، حيث الفعل الختامي مبرمجٌ مسبقاً)، أمّا التحوّل المعاكس فهو أكثر نُدرةً (مثال الألسُن الأسترونيزية في غينيا الجديدة)، وسببه الاقتراض.



التأويل الإدراكي

يمكن لأدنى جهد تذكّري وإدراكي أن يسهّل عملية التواصل. وعليه يمكن شرح نُدرة ف فا مف والغياب المتكرر للصُّرَيفات التي تُدرج بين مف و ف، والتي تحافظ على المحاذاة بين مف ف أو ف مف. كذلك، هناك ضغط للوحدات تمارسه سلسلة التوكيد على سلسلة الاستفهام (انظر *il va où?* [أين يذهب؟] مِثْل *il va là-bas* [يذهب هناك])، أو تمارسه مجموعة ذات نعت وصفي على بعض مجموعات المُلكية (الروسي المحكيّ *ix-njaja kniga* "كتابهم" [*ix kniga* في الروسي المكتوب] بوساطة تنعيت (adjectivation) [هنا اللاحقة المؤنثة *–njaja* مضاف المُلك). وبلا شكّ، لا بدّ أن يكون العبء التذكّري هو السبب في نُدرة الإدراجات مثل إدراج الموصولات في الامبوم (الكاميرون)، ذات العلامات في البداية والنهاية، أو المجموعات الاسمية في المورو (moru) (السودان): مثال

حيثُ الوصلاتُ (التي تَسِمُ الفئة) تبتعد بشكل متزايدٍ عن الأسماء، "الكلب الأسود للزوجة الرئيسية لأخي". الاتجاه العام هو تجنّب مثل هذه البنى. وعليه ففي الكرو (ليبيريا)، الموصولُ المرتبطُ بالـ مف في صيغة فا نفي مف ف يوضعُ بعدَ ف، خاصةً إذا كان طويلاً.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
chien-noirceur	femme-principe	frère -moi-de	de	de
[سواد-كلب]	[اساس - امراة]	[لِـ - أنا - اخ]	[لِـ]	[لِـ]
ا	ب	ج ج	ب	ا



ثانياً: القول المركَّب

إنه القول الذي يتضمن مُسنَدين أو أكثر تربطهما علاقة تراتبية. هناك اختلاف جوهري يميز بين صنفين: فإمّا أن يتبع القولُ المتعلقُ اسماً، ويدعى آنذاك عبارةً موصوليةً، أو يتبع فِعلاً.

1. صلات الموصول

1.1 المشكلات

يمكننا بالطبع أن نعرّف هذه المجموعة المتباينة جداً بأنها مجموعة العبارات المتعلقة بالاسم. لكن قد يقع أن يكون الاسم غائباً (*qui dort dîne* [من يَنَم يتعشَّ])، أو يكون التعلّق غير واضحٍ (الموصولات الملحقة في الويشيتا [أوكلاهوما] أو في الوالبيري walbiri [أستراليا]، غير المُكتَنَفة والمرتبطة بالأحرى بالقول الكلّي). نميّزُ غالباً أصنافاً مُقيِّدة (restrictif) (*l'homme qui boit* الرجل الذي يشرب [وليس الآخرين]) وبدليةً (appositif) (*Jean qui boit* جون الذي يشرب [بتنغيم مختلفٍ])، لكن هناك حالات أخرى (مثل *l'eau qui coule* [الماء الذي يجري]) وعلاوةً على ذاك، إذا كان الصنفان موثّقين في الألسُن الهندوأوروبية، ويتقابلان تماماً في الفرنسية، حيثُ *lequel* [الذي] في وظيفة الفاعل مُستبعدٌ من المقيدة؛ فهناك ألسن كثيرة (مثل الصيني) لم تعد تملك من البدلية إلا القليل. ختاماً، المركز، المسمى بالعائد إليه (antécédent) عندما يكون سابقاً، ليس واضحاً دائماً) وليس الموضع معياراً أكيداً: يُقال إنّ الموصولاتِ في الألسُن فا ف مف تتبعُ المركزَ، وموصولاتِ



الألسُن فا مف ف تسبِقُه؛ بيد أنّ الفرنسي، فا ف مف، يمكن أن يقول: *il voit, qui file, un rat* [هو يرى، الذي يهرب، جِرذ]. يختلف المكان باختلاف الألسُن والأقوال.

2.1 المعايير

صِنف التعريف

تُعرِّفُ صلةُ الموصول، بدرجة تلاحم متفاوتة، عنصراً ضميريّاً بشكل عام. ومن هنا يأتي الاستعمال المتكرر لعناصر، هي في حقيقة الأمر علاماتُ تعريفٍ اسميٍّ، كقرائن لصلة الموصول: الإحاليّات (مثال الأمبوم [الكاميرون])؛ المُسمِّيات الأخرى (مثال الوولوف (ouolof) [السنغال]، الروتومي [ميلانيزيا]، الإنغا [غينيا الجديدة])؛ الوصلات (مثل الصيني)؛ أو علامة التطابق الإعرابية، مثلما هو بالنسبة إلى الصفة، مع المركز (مثال الكايتيتج (kaititj) [أستراليا]). مع ذلك، صلة الموصول مُعرِّفٌ يحتوي على مُسنَد، وقد يَعدِلُ الشرط الافتراضي (مثل *ceux qui le désirent peuvent sortir* [أولئك الذين يرغبون؛ يمكنهم الخروج])[20]. علاوة على ذلك، يمكن لصلة الموصول أن تَرِدَ مع الصفة (*l'œil vif qu'il a* [العين النَّشِطة التي يملكها]=[يا لعينه البرّاقة]) بل وحتى تعرّفُها[21]:

---

(20) المعنى الظرفيّ أكثرُ وروداً في الفرنسي مع الموصولات البدلية: مثل: *l'homme qui* (= "parce qu'il") *était épuisé, s'est arrêté.* (الرجل الذي "لأنه") كان مُنهَكاً، توقَّفَ.

(21) هذا لا يمنع من أنه يماثلها بمعناه الوصفي: الألسن الخالية من النعوت تستخدم الموصولات ذات الفعل الحاليّ في المواضع التي تستخدم غيرها من الألسن الصِّفات : "*l'enfant qui est ~sage*" [الطفل الذي هو =



الإسباني *por lo buena que es* [طالما هي جيدة] (إذا ما عاملنا *que ... lo* معاملةَ الموصولية). وبناء عليه، لصلة الموصول مكانةُ **المُعرِّف المُركَّب.**

استراتيجيات

بالنسبة إلى صلات الموصول مع "qui" [الذي]، بالإضافة إلى المتوالية الدالة بحدّ ذاتها، لدينا:

- في الطرف الأقصى، تحويلٌ إلى اسم (22% من الألسُن) مع اسم فاعل أو اسم مفعول من دون اسمٍ موصول (غير مُتضَمّن في الموصولية، على الرغم من المصطلح): المنغولي، الكيشيوا (البيرو)، الكانوري (kanuri) (نيجيريا)، الفنلندي، الألسُن الهندوآرية والدرافيدية (الهند)، التيبيتي، البربري، التركي، الذي نقول فيه *gelen adam* [قادم رجل] "الرجل الذي يقْدُمُ" (أو "الذي قَدِمَ")؛

- في المقابل، ضميرٌ موصولي (25%)، يُكثّف أداةَ الإتباع + بدلُ الاسم المحوّل لموصول (relativé)) ذو الوظيفة المطلوبة (مثال الفرنسي *qui=que + il* [مَنْ=الذي+هو])؛ بالمقابل، هذان العنصران منفصلان في ألسن أخرى (20%)، حيث يُسمّى الثاني

= وديع] "*l'enfant sage*"/ [الطفل الوديع]. بل الأفضل من ذلك، يمكن أن يكون هناك تماثل في السلوك مع الاسم نفسه: في الباسكي، ينطَبِق تكرار الكلمة التعبيري والإلحاق التصغيري على الأسماء، ولكن أيضاً على الموصولات.



(العائد السابق (anaphorique) أو العائد اللاحق (cataphorique) وَفقَ ما إذا كانت صلة الموصول تلحق المركز [مثال السونينكي (soninké) [موريتانيا]، العربي] أو تسبقه [مثال التيغري (tigré) [إيثيوبيا]) ضميرَ فصلٍ[22] (résomptif)؛

– تبعية (15%) بوساطة عنصر خاص (أحياناً اختياري: الألسُن الأسترونيزية)، بوساطة حركة إعرابية أو لاصقة فعلية (مثال الألسُن الأسترالية)، أو أيضاً بوساطة صيغة صرفية شخصية خاصة (مثل ألسن ساليش [كولومبيا البريطانية])؛

– علامة تعريف (18%).

لا تتعلق هذه الأرقام إلا بالإستراتيجية الأكثر شيوعاً، ذلك أنّ لساناً يمكنه أن يعْرِف أكثر من واحدة إمّا عن طريق أصناف متنوعة من التقابلات الدلالية[23]، أو حسبَ:

– الطبقة التاريخية أو الأسلوبية (مثال الفنلندي وألسن الهند: إمّا بوساطة التحويل إلى اسم، وإمّا بالضمير الموصولي والفعل)؛

– درجة التعريف و/ أو الموقع المحوّل لموصول (مثال البول [غرب أفريقيا]، الجاكالتيك (jacaltec) [غواتيمالا]، العربي).

---

(22) *Résomptif* هو ضمير عائدٌ أقربُ ما يكون إلى ضمير الفصل في اللغة العربية: هذا الرجل هو أخي (المترجم).

(23) وعليه فلدينا في الفرنسي *un homme qui sait/ sache tout* [الرجل الذي يعرفُ/ أن يعرفَ كل شيء]: موصول+ تصريف (فعل مرفوع، أو مع معنى عاقِبيّ، منصوب).



تخضع إحدى الإستراتيجيات، إذ ذاك، أكثر من غيرها، بشكل عام، إلى أقل القيود قوةً.

الوظائف القابلة للتحويل إلى موصول

إذا ما أعدنا مركزاً إلى الموضع الخالي فسيظهر أنّ الاسم الموصول قد حلّ محلّه في موقع آخر. وعليه، فيمكننا أن نَعُدَّ، في كلام مثل *l'homme qu'il voit mange* [الرجل، الذي يراهُ، يأكل]، أنّ البنية *l'homme qu'il voit* [الرجل الذي يراه] حيثُ موقع المفعول به المباشر بعد الفعل *voit* [يرى] المتعدي يظلُّ خالياً، هي تحويلٌ إلى الموصولية للمفعول به *homme* [رجل] في القول التام *il voit l'homme* [هو يرى الرجل]. إلا أنّ هذا التحليل لا يقبل التطبيق دائماً. يمكن للأصل أن يكون فعلاً، ومن هنا يتأتى عائدُ الموصول الاسمي-الفعلي وصلة موصول من دون مكان خالٍ (مثال اليوروبا yoruba [نيجيريا] *kpikpā ti ōle kpā ɔdɛ̄ [būrú]* [قَتْل التي اللصّ يقتل صيّاد [مستقبل~حزين]] "الجريمة التي ارتكبها اللصُّ بحقِّ شخصِ الصّيّاد [كانت شيئاً مُحزِناً]")؛ هناك صلات موصول أخرى هي عبارة عن أقوال تامة أيضاً، إمّا أن يظهر المركز في صميمها بالذات (صِنْف "رأيتُ الرجل-موصول [موجود هنا]"="الرجل الذي رأيتُه [موجودٌ هنا]": النافاهو، الموهافي mohave، الهوبي hopi [أريزونا]، الداغباني dagbani [غانا]، البامبارا [ساحل العاج]، التيبيتي... إلخ)، وإمّا أن تكون لها علاقة تضمين بالمركز (مثل الكوري *kheikhu-ga tha-nun nɛ̄msɛ* [فطيرة-فا يحترق-حاضر رائحة] "رائحة [التي هي لِـ] الفطيرة بصدد الاحتراق") (يمكننا



الحديث عن صلات موصول تضمينية؛ انظر أيضاً التشيريميس tchérémisse [الاتحاد السوفييتي] والياباني).

مع ذلك، عندما يكون المركز قابلاً للإعادة وَفق الوظيفة التي يُمليها الاسم الموصول في الألسُن التي فيها واحد من هذه الأسماء الموصولة، نلحظ أن عدداً من الوظائف يمكن تحويلها إلى موصولية: *l'eau qu'il boit* [الماء الذي يشربه] و *l'eau où il nage* [الماء حيث يسبح]=[الماء الذي يسبح فيه] ما هي إلا تحويل إلى موصولية (أقوال غير مكتملة) للمفعولات المباشرة (*il boit l'eau* [هو يشرب الماء]) أو غير المباشرة (*il nage dans l'eau* [هو يسبح في الماء]). الفاعلُ بشكلٍ عام يقبل التحويل إلى موصولي، مثلاً في الصِّنف "ce (lui) qui" [ذاك الذي]: صلات موصول-أسماء فاعلين أو أسماء مفعولين[24]، مع عدة أزمنة (مثال اللاتيني، البول، شونتال الواكساكا (Chontal d'Oaxaca) [المكسيك]، يمكنها أن تتضمن النفي (مثال الإيوي [التوغو])، بل وحتى المشتقة من مجموعات ذات رابط (مثال التركي *ev-de-ki-ler* [بيت-داخل-ذاك~الذي-جَمْع] "سُكّان البيت") (انظر أيضاً الأمهري [إثيوبيا] أو الباسكي). بدءاً بالفاعل-القائم بالفعل (صلات الموصول مع "qui" [الذي]) مروراً بالـ"غرض"-المفعول (صلات موصول مع "que" [الذي]) وصولاً إلى التتمّات الطَّرَفية، نلحظ تراتبية هابطة: هناك ألسن

---

(24) تشيع هذه البنى الوصفية في الألسن ذات المعجم الفقير والمبّرر بشدة، حيث تكافئ الأسماء البسيطة في الألسن الأخرى: مثال الديغوينو (dieguěno) (المكسيك) ʔ*isk*$^{wi-c}$ (كبير-ذاك~الذي~يكون) "رجل".



(الأسترونيزية، الأفريقية... إلخ) لا تحول إلى الموصولية إلا الوظيفة أو الوظائف العليا، مُعامِلةً الأخرى معاملة التّمّات المباشرة بوساطة لواصق فعلية موجِّهة. بل ليس في المدغشقري صلات موصول مع "que" [الذي]: فمثلاً، انطلاقاً من *manasa ny lamba ny zaza-vavy* (تغسل الثياب الفتاة)، عليه إذن، ولتحويل *ny lamba* إلى موصولٍ أن يجعل منه نائب فاعل لفعل مبني للمجهول: *[madio] ny lamba (izay) sasan ny zazavavy* [[تكون~نظيفةً] الثياب[25] التي تكون~مغسولة بوساطة الفتاة]، وتقابل هذه القيودَ ليونةُ:

- الاستراتيجية الاسم - فاعلية/ مفعولية (participiale): الهايو (نيبال) يمكنه تحويل كل شيء إلى موصولي بوساطة لواصقه "ce qui" [ذاك الذي]، "ce que" [ذاك الذي]، "là où" [هناك حيثُ]، "ce par quoi" [ذاك الذي بوساطته]... إلخ؛

- تحويل المعرِّفات من الدرجة الثانية إلى موصولية، مثال فرنسي *[voilà] les monnaies dont la chute des cours est la plus forte* [[ها هي] العُملات التي هبوطُ أسعارها هو الأشدّ]=[ها هي العملات الأشدّ هبوطاً في أسعارها] (انظر أيضاً الروسي)؛

- تحويل تتمة التشبيه إلى موصولية (العبري والجاكالتيك (غواتيمالا) يمكنهم القول: "*[voici] l'enfant que tu es plus grand que lui*" [[ها هو] الطفل الذي أنت أكبر منه])؛

- تحويل العناصر المعطوفة أو التابعة إلى موصولية، مع

---

(25) *Izay* هو الموصولي (الاختياري، وذو المعنى المقيّد).



ضمير فصلٍ (يمكن للعبري أن يقول *"voici l'homme qui lui et son fils partent"* [ها هو الرجل الذي هو وولدُه يذهبان] أو بدون ضمير فصلٍ: الفرنسي لا يستطيع أن يقول مثل الياباني أو الكوري *"[voici] la rue qu'il court et atteint"* [[ها ه] الشارع الذي هو يجري ويصل] ولا *"[voilà] l'or qu'il jouit quand il voit"* [[ها هو] الذهب الذي هو يفرح عندما هو يرى]؛ لكنه يقول: *[c'est] celle que je sais que tu aimes* [[إنها] تلك التي أعرفُ أنكَ تُحِبُّ]، أو *[c'est] celle dont je sais que tu l'aimes* [[إنها] تلك التي أعرف عنها أنك تحبها] مع *dont* وضمير فصلٍ. يُسهّل هذا الأخير التحليل عندما يظهر (لأنه يملأ الموضع الخالي)، من غير أن يكون، في الألسُن، مع ذلك، شرطَ توسيع التحويلات إلى موصولات: البول (غرب إفريقيا) يستخدم ضمائر الفصل، على النقيض من الإيوي (التوغو) والإنجليزي؛ ومع ذلك فهو أقل تحويلاً للوظائف إلى موصولاتية من هذه اللهجات (بالنسبة إلى بعضها، هو يستخدم لواصق توجيهية (affixe orientateur))، وواضحة أيضاً، في التشفير كما في فكّ التشفير، ووضوحَ ضمائر الفصل).

3.1 الاسم الموصول. أصلُ صلات الموصول

حيثما يوجد ضمير موصولي مقيِّد (غالباً ما يختلف باختلاف الزمن أو النّفي: مثال الأمهري (إثيوبيا)، الكوري، النافاهو)، فهو يتأتى من إحالي أو من عائديّ (مثال الألسُن الأندونيسية)، من استفهاميّ (مثال الجورجي) أو من استفهامي-نكرة (مثال الهيتّيت



(hittite)). بناءً عليه، فهو يُدرج في الكلام معلومةً سالفة بوساطة المبادلة بين لفظين تربطهما علاقة متبادلة: بحيلة بسيطة من "*il a lu un livre; il l'aime*" [قرأ كتاباً؛ هو يحبّه] ننتقل إلى "*lequel livre il a lu, il l'aime* [الذي كتاب هو قرأ، هو يحبه]=[ذاك الكتاب الذي قرأه، هو يحبّه]" والموثقة في الجورجي القديم وفي ألسن الهند[26]؛ والمبادلة تعطينا في الفرنسي *il aime le livre qu'il a lu* [هو يحبُّ الكتاب الذي قرأ]. تُنتِج البنية التراتبية للمعلومة (وجهة النظر 3) إذن قولاً مركّباً (وجهة النظر 1) بصلة موصول مقيِّدة (يمكن لهذه التبعية أن تضمّ بقية كلام الفقرة). مركّبات المُلكية في الفيديك (védique) (مثال *nára sváśvḥ* bons [dont] hommes [des]" "chevaux-[sont les] [رجال [ــٌ] [الذين عندهم] جيّدةٌ [تكون الـ] خيول]=[رجالٌ جيادُهم حَسَنَةٌ] تَفْتَرِضُ، في الهندوأوروبي، إضافة كلام كامل إلى الاسم، من دون اسم موصول. صلات الموصول المُلحَقة والتضمينية) ما هي إلا مراحل من هذه العملية. في المقابل، البدلاتُ خبريةٌ: *il bat bébé, qui pleure* [هو يضرب طفلاً، الذي يبكي] أو أيضاً *j'ai vu un rat qui filait* [رأيت جرذاً الذي يجري بسرعة] أو *tu as le nez qui saigne* [لديك الأنف الذي ينزف] (صلة موصول لا يمكن حذفها)، أو أيضاً *il est là qui crie* [هو يكون هنا الذي يصرخ] (مُتصدِّر).

---

(26) قضية أنّ صلة الموصول المقيّدة تحمل معلومة سالفة (عن معروفٍ سابقاً) موضّح في بعض الألسن (مثل الأيمارا [بوليفيا والبيرو]، حيث توضع له علامة الغرض.



4.1 ضعف استقلال صِلات الموصول

بلا شكّ، ليس صحيحاً دائماً أنّ صلات الموصول لا يمكن أن تكون في صيغة الأمر (انظر الأمبوم [الكاميرون]، المالطي mal-tais، أو أقل شيوعاً، في الفرنسي *c'est une erreur, pour laquelle veuillez accepter mes excuses!* [إنه خطأٌ، على الذي أرجو أن تقبلوا اعتذاري]=[إنه خطأٌ أرجو أن تقبلوا اعتذاري لوقوعه]). إلا أنّ تبعيتها تظهر غالباً بشكل علامات خاصة: رابطة الكينونة (co-pule) (الياباني)، النفي (اليوشي (yuchi) [أوكلاهوما])، الضمائر الشخصية (الهاووسا (haoussa) [نيجيريا])، هيئة–زمن. بل إن الموصولي هو القالب التاريخي لأدوات الإتباع في الهندوأوروبي، الكوشيتي (5 من 19 صيغة من صيغ الفعل التابعة في الأغاو الجنوبي (agaw) [إثيوبيا] مبنية على الصيغة الموصولية)... إلخ، ويُخلَط أحياناً بينه وبينها (مثال اليديش (yiddish) ف مف فا).

2. الجُمَل الصُّغرى الأخرى التابعة

إنها أقوال تابعة ذات مركز إسنادي، بيد أنّ هذه الجُمَل يمكن أن تكون فاعلاً أو مفعولاً مثلَما يمكن أن تكون وحدات بسيطة.

1.2 الصِّنفان

التبعية كخطاب ثانوي: الإتماميات

التنغيم (intonation) (لا يوجد منحنٍ مستقلٌّ فوق جملةٍ صغرى ليست إلا جزءاً من قولٍ مركّب) موجودٌ كونيّاً كعلامةٍ على جمل الاستفهام غير المباشر (صنف الفرنسي *il demande si tu*



viens [يسأل إن كنت ستأتي])، على الجمل التقريرية (مثال بعد *dire* [قال]، *penser* [ظنّ]، *s'inquiéter* [قلقَ]) وإتماميات الترتيب أو الإرادة. لكن أيضاً،

- 35% من الألسُن المدروسة فيها أدوات ربطٍ[27] أو صِيَغٌ خاصة من الأفعالِ (مثل المنصوب في الروماني، السامي، الكوشيتي... إلخ)، من رابطةِ الكينونة التعادلية، من الضمائرِ الشخصية، تغييرُ مكان النبر، أو مجموعة من هذه الإجراءات (مثل الفرنسي .que+subj [أنْ+منصوب] بعد *vouloir* [أراد]، *ordon-ner* [أمَرَ]... إلخ)[28]. تَنتُج أداةُ الرَّبطِ غالباً من "*dire*" [قال]، الذي لايزال موجوداً في الأمهري (إثيوبيا)، حيثُ "*vouloir*" [أراد] و"*empêcher*" [منعَ] هي "dire: laisse-moi" [قول: اتركني] و"dire: je ne laisserai pas" [قول: أنا لن أَدَعَ]، ويحاط بالاقتباس كما هو؛ في ألسن أفريقية (مثل اليوروبا [نيجيريا]، التوبوري tu-buri [تشاد])، الهنديرميكية، الكريول، حيث التقريرُ أكثر جلاءً من

---

(27) بعضها مُلحقٌ بالفعل أحياناً (مثل الباسكي) أو قابلة للإلحاق بوساطة ضمائر شخصية (مثل الغالغادونغو (galgadungu) [أستراليا]) أو علامات الزمن (مثل الغواراني [الباراغواي]). وليست كونياً واقعةً على الحدّ بين العبارتين.

(28) هذه البنية تستبدل، في حال لم يكن هناك تبديل للفاعل، بالصيغة المصدرية للفعل في الألسن التي تمتلكها: كذلك يتقابل في الفرنسي *il veut boire* [هو يريد الشرب] و*il veut que tu boives* [هو يريد أن تشربَ]. على النقيض، الألسن التي ليس فيها المصدري (مثل العربي الفصيح، البلغاري) تُعمِّم البنية ذات الوصلة.



الفرنسي (في مثل *elle est jolie, si tu veux* [هي جميلةٌ، إن شِئت]، نحن "نحذف" *disons que* [فلنقُل] الابتدائي)، فعل "dire" [قال]، المُؤْذِن بخطاب مباشر، هو أيضاً، حتى وهو مُصرّف (مثل الناندي nandi [كينيا])، وصلةٌ "que" [الذي]، غالباً بصيغة متنوعة حسب المعنى. ينحذف "que" أحياناً (إنجليزي) *I know he is here* [أعرف [أنّـ]ـه هنا])؛

- 17% فيها إتمامي اسميّ يقلِّص القولَ المهيمَن عليه بنزع الإسناد عنه déprédicativation: وتتطابق مع *il dit qu'il t'aime* [يقول إنه يحبك] بنْيَة أخرى "il dit son aimer (ou aimant) toi" [يقول حبه (أو مُحباً) أنت] (مثل الفنلندي أو التركي). مع ذاك، 32% من الألسُن ليس فيها من العلامات إلا التنغيم: مثل الصيني *wó yào tā qù* [أريدُ (أن) يذهب(ــَ)]. المُتبقية (16%) لديها إجراءات متنوعة وَفق السياق.

التبعية كتراتبية ضمن سلسلةٍ: الجمل الظرفية

يُقيمُ النصُّ تراتبيةً ضمن سلاسل فعلية، ومن هنا جاءت الروابط أو الصيغ الهيئية، لكن أيضاً تبعية متبادلة للإسنادات، الموسومة دائماً بالتنغيم (مستخدم وحده في 9% من الألسُن)، ولكن غالباً، علاوةً عليه، بوساطة:

- الإلصاق بالأفعال التابعة (33%): "اسم الفاعل" في



المنغولي، علامات التراتبية في الهوا hua، في الواشكوك (wash-kuk) (غينيا الجديدة)، ألسن اليوما (yuma) (المكسيك)، تدلّ هذه العلامات على أن فعلاً آخر يجب أن يَتبَع[29]، وإلى أنّ هناك مرجعيةً مشتركةً مع فاعل الفعل المُتبع أم لا؛

– أدوات ربط (58%) تعملُ، كما أنّ الرابط يعمل في (مجموعة) اسمـ(ـيّة)، في قول بأكمله (=جملة صغرى تابعة ظرفية)، بمعانٍ مختلفة: مثال الفرنسي *quand* [عندما] (زماني)[30]، *si* [إذا] (افتراضي)[31]، *parce que* [لأنّ] (سببيّ)، *pour que* [بُغيةَ] (غائي)، *quoique* [أيّاً ما] (إضرابي)... إلخ. يمكن أن تتناوب الإجراءات وفق الأسلوب: مثال فرنسي *il part, elle pleure* [هو يغادر، هي تبكي] (التنغيم لوحده)/ *dès qu'il part, elle pleure* [لمّا يغادر، هي تبكي] (تنغيم+علامة *dès que* [لمّا]). الجملُ المعطوفةُ (في الفرنسي بـ *et* [و]، *ou* [أو]... إلخ؛ لكنّا نجد أيضاً أفعالاً، مثلما في الإيفيك (نيجيريا)، حيث "و" تُقال "عمل بالإضافة

(29) تسمح هذه البنية للهوا بتحطيم خطّية القول بوسمه التبادلية أيقونياً بوساطة لاحقة، تستدعي بدورها في آخر القول جملة صغرى لاحقةً... والتي لا يمكن إلا أن تكون ابتدائية للقول نفسه!

(30) قد يقع (مثل البربري) أن تكون هناك صيغتان مختلفتان لـ"عندما": واحدة للراهن وواحدة للافتراضي.

(31) أي عبارة مُقدّمة مُدرجة بوساطة "عندما" أو "إذا" تزوّدنا، دلاليّاً، بالإطار الذي، بالنسبة إليه، تحمل العبارة الأخرى معلومةً جديدةً ("عندما ...، إذن ...". "إذا ...، إذن ..."). وهذا ما يبرر أنها تحمل أحياناً (مثال الكيرا [تشاد] علامة المُعرَّف، مثل المُسند إليه (انظر أيضاً المدغشقري dia).



إلى") متماثلةُ الوظيفةِ ويمكنها البقاء إن أُلغيت إحداها، في الوقت الذي تتطلب فيه العبارة التابعة عبارةً متبِعة (البنى التي تعني مثلاً "ركض" و [مثل التركي، ألسن إثيوبيا] هي عبارات تابعة، على الرغم من هذه الترجمة). مع ذاك، ما نلحظه غالباً، ما هو إلا استمراريةٌ من التبعية إلى العطف، ويلعب السياق في ذلك دوراً حاسماً.

2.2 التبعية، تكثيف الفقرة

يمكن لخفض عدد الأقوال في فقرةٍ ما أن يزيد عدد التوابع بوساطة تكثيف المعلومة. وتعرِفُ التوابعُ غالباً بعض القيود: تقليل أصناف المتواليات، الأشكال؛ تغيير النفي؛ حذف علامات المُفاعلين (مثل الكانوري [نيجيريا]، علامات المبجّلين والعلامات الخَطابية (مثل الباسكي والياباني والكوري)، مقاومة عمليات مثل التبئير. ولذلك شرحٌ: لا يمكن بناء التوابع كرسائل تامة، لأنها ليست إلا جزءاً منها. إنّ تطوّر علامات التبعية هذه يقلل من التناقض الذي يمكن أن ينشأ بين هوية المنزلة النحوية (أو تماثل البنية) والتبعية الدلالية. وحسب درجة استهلاك الألسُن الفردية للعلامات في مرحلة ما من التاريخ، المتكرر دائماً، يبدو التماسك قويّاً، نوعاً ما. ومن هنا تأتي أسطورة "الجوار البدائي" (parataxe primitive) أو المحاذاة الركيكة، والتي تُعزى غالباً إلى ما هو بائد زمانيّاً (مثل الهندوأوروبي) أو مكانيّاً (مثل الألسُن الميلانيزية)، في حين أنّ حالات عديدة (مثل اليوكوتس (yokuts) أو الكوبينيو (cupeño)



[كاليفورنيا]) تدلّ على أنّ تراخي الروابط الإتباعية أو ندرةَ التوابع، وهي أبعد ما تكون عن أنها بائدة، تميّز منظوماتٍ محتَضَرة، تختفي أساليبها الأكثر رسميّةً تحت وطأة الألسُن الغربية.




مكتبة
الفكر الجديد

الفصل الثالث

عناصر القول

يربط القولُ بين عناصر من صنفين: معجمية (الألفاظ (lexème)) وقواعدية (الصُرَيفات، على ألّا نخلط بينها وبين المُكوِّنات (formatif)). القائمة مفتوحة، كما يقال، بالنسبة إلى الألفاظ؛ لكن في الفرنسي مثلاً، المنظومة الصغرى لأشهُر السنة مُغلقة، في حين أنّ منظومة الروابط ذات الأساس الاسمي (الصُرَيفات) مفتوحة: *à la demande de* [بطلبِ مِن]، *en référence à* [بالإشارة إلى]... إلخ[1]. يُظَنُّ أن التواتر أكبر، بالنسبة إلى الصُرَيفات؛ ولكنّ النسبة تختلف، حسب المعنى واتّساع المدوّنة، بَلْ يمكن أن تنقلب. المعيار، بالأحرى، هو الآتي: إنّ التعريف بمصطلحات تقنية (مثل مفعول، تعريف) يكفي أو ربما يكفي للصُرَيفات فقط. التنظيم يتضمن العناصر المجموعة مع بعضها.

---

(1) علاوةً على ذلك، إذا ما التزمنا هذا المعيار، فسيكون علينا لزاماً أن نعامل الأرقام كصُرَيفات في الألسن التي تكون أعدادها أقلّ من 10 مثلاً، وكألفاظ في تلك التي تكون أعدادها غير محدودة.



بعضٌ منها إذن قد أتينا على ذكره. إلا أنّ أغلبها يظل بحاجة إلى الدرس التفصيلي.

أولاً- التقابل الفعلي-الاسمي

1. في الأصل، فعل أم اسم؟

إنه خلافٌ قديمٌ جداً، فمنهم[2] من جعله الاسم ومنهم[3] من جعله الفعل. إلا أنّها باطلةٌ، لأنّ الفعل والاسم لا يمكن تعريف أحدهما إلا بالنسبة إلى الآخر! منطقيّاً وليس تاريخيّاً، بعضهم يشتق اسماً من قولٍ فعلي، والآخرون، ومنهم الاسمانيّون القروسطيّون[4] (nominalistes médiévaux)، على النقيض، يجعلون الأولوية للاسم: فسماته داخلية، وليست سياقية مثل سمات الفعل؛ وهو الذي يتحكّم بالمطابقة وقت الضرورة؛ وله قدرة على الدلالة بذاته (autonymie): ضمن اقتباس أو تعريفٍ، ما نقتبسه أو نعرّفه، ليس له

---

(2) على سبيل التمثيل لا الحصر: G. W. Leibniz, *Opera philosophica* (Leipzig: [n. pb.], 1840) (1er éd., 1717), I, p. 229; G. I. Ascoli, *Studi ariosemitici* (Milan: [n. pb.], 1865),§ 22, and F. Müller et W. Wundt (انظر هنا، ص 6 و27 للمراجع).

(3) Indiens, Grecs ومن بعده شوشاردت (H. Schuchardt)، وانظر أيضاً: A. Trombetti, *Elementi di glottologia* (Bologne: [n. pb.], 1923), pp. 271 sq.

(4) انظر أيضاً: Saint-Augustin, *De Magistro*, et Bertrand Russell, *Signification et vérité* (Paris: Flammarion, 1959) (1er éd. Oxford, 1943), في مواضع مختلفة.



حالة إلا اسمية، كما تشير إلى ذلك مثلاً الأداة *le* [الـ] في قولنا: كلمةُ le "vend" [الـ"يبيع"] من "*il vend*" ["هو يبيع"] ليس فيها *s*.

2. الطفل واللسان. اسم، فعل ومعنى

يتزامن انبثاقُ الكَلِم الأدنوي ذي الاسم + فعل عند الطفل فرنسي اللسان (18 شهراً - سنتين) مع أولى الثنائيات الإدراكية: الفصل بين الكلمات-الأحداث والكلمات-الأشياء. علاوة على ذلك، الأفعال أقل تواتُراً من الأسماء، تماماً كما أنّ هناك أحداثاً أقلّ من الأشياء التي تربط بينها هذه الأحداثُ. هل يعكس التقابل الفعلي-الاسمي تنظيمَ التجربة، ويُيَسِّر، مِن ثمّ، تملّك الطفل للسان؟ الحقَّ، حتى لو اكتفينا بالفرنسي، فإنّ الطفل، بقدر ما يقلّد البالغين، يقابل بين الفعل والاسم، ويتعلق الأمر خاصةً وقبل كلِّ شيء بأدوات بناء الكلام. لماذا يُعبَّر عن الحَدَث، الحالة، السلوك، التغيير بالأفعال؛ والكيان، المفهوم، الشيء، الثوابت بالأسماء[5]؟ في بعض الألسُن، كل اسمِ كيانٍ س يمكن أن يشير إلى حالة "يكون س"، بل وحتى إلى حدثٍ، ومن هنا، مثلاً، في الكوموكس (كولومبيا البريطانية)، يأتي التطابقُ الشكلي بين "(il est) ce qui court" [(هو يكون) ذاك الذي يجري] و"il court" [هو يجري]، أو بين "(il est) ce qu'Y voit" [(هو يكون) ذاك الذي ع يرى] و "Y le voit" [ع يراهُ]. من طرف آخر، يمكن أن تتطابق أحداث وأسماء، مشتقة (مثل

---

(5) وهذه وجهة نظر أرسطو: Aristote, *Organon*, I, Catégories (Paris: Vrin, 1969); J. C. Scaliger, *De causis linguae latinae* (Lyon: [n. pb.], 1540), p. 19, et Meillet Antoine, *Linguistique historique et linguistique générale* (Paris: Champion, 1958), p. 175.



tuer < tuerie [مَقتلة < قتل]) أو حتى بسيطة (مثل *rapt* [اختطاف]) من ضمن أشياء أخرى في الجمل الاسمية (الإغريقي الهوميروسي (grec homérique)، الأفيستي (avestique)، الليتواني القديم، الألسُن الساميّة، الأورالية... إلخ)، التي هي أبعد ما تكون عن التعبير عن الثوابت فقط. إنّ فكرة الوحدة بين العالم واللغة، وهو حلم قديم عند أهل المنطق، ناتج إذن عن الخلط بين وجهات النظر 1 و2 و3. إنّ معيار المقابلة الفعلية-الاسمية معيارٌ نحوي-صرفيّ. إن لم يكن كذلك، فكيف للألسن أن تعبِّر عن معنيين متقاربين نوعاً ما (وجهة النظر 2) بخيارين غرضيَّين مختلفين (وجهة النظر 3): مثال *il part bientôt/son départ est proche* [هو يغادر قريباً/ مغادرته قريبةٌ]، متطابقَين، حَسب 1 أيضاً، مع بنيتين متمايزتين؟ إنّ السياق ضمن الكلام، وليس المعنى، هو من يؤسس هذه البنى. وعلى الرغم من تواتره الشديد، فإنّ التقابل الفعلي-الاسمي أحياناً غائبٌ (مثل النوتكا (nootka) [كولومبيا البريطانية])[6] ولا ضرورة، كما هو الحال بين الألفاظ والصُرَيفات، لجعلها تعريفية.

3. الأساس الوظيفي للتقابل

إنّ القول بأنّ ما يؤسس التقابل الفعلي- الاسمي ليست قدرة الفكر على أن يميز بين الأشياء والمُجريات، بل هي العلاقات داخل

---

(6) لا توجد أي علامة فيه للتفريق بين صنفين كبيرين من الألفاظ. حتى الروابط يمكنها أن تأخذ لواحق شخصية: مثل *?u:yuqwa-si-cuχ ha?uk'ap* (رابط~الـ~مفعول - مصدري - أنا~أنت إطعام) "إنه أنت مَن أطعمتُ". وأن تكون هذه البنية النادرة تقريباً وظيفةً للرابط أو كما في الأمثلة المذكورة في هذا الكتاب، حالة انضواء، فإنّ حرية التوليفات هنا شِبه تامة.

القول، لا يعني نفيَ أنّ معنى عنصرٍ من عناصر اللسان يمكنه أن يخصِّصه لبعض الوظائف. والتمييز نفسُه المرتبطُ بالحاجة ذاتِها إلى التراتبية بين المركز والمحيط، والمؤسِّسة للكلام، وظيفيٌّ وليس فئوياً. وليس هذا التمييز بين الفعل والاسم، بل بين المُسنَد وغير- المُسنَد. هذا الأخير، الذي تقوم به، غالباً، وبشكل متزايد، بعضُ العناصر نظراً إلى معناها، كان بدايةً، كعمُعرَّف، العنصرَ الجديدَ، ومِن ثَمَّ الأول الذي يكتسب علامات تميّزه. من هذه العلامات ستُشتقّ (مثال الهندوأوروبي والأورالي) علامات الآخرِ، أي المُسنَد، المركزي ومِن ثَمّ فهو أبطأ في تفرّده بسمات خاصة[7]. تُنتج الخطوة التالية، في معظم الألسُن، الفعلَ، أيْ فئة تواتُرُها كركيزة للإقرار المنتهي تُخصِّص بوظيفة المُسنَد الممثَّل الوحيدَ، من دون أن يكون ممثله الوحيد، مع ذلك[8].

4. تنقّل الحدّ الفعلي-الاسمي

1.4 التدرُّج

يمكن أن يمتاز الفعل على الصعيد المعجمي (مثال *il danse/* *la danse* [هو يرقص/ الرقص])، أو أن يكون مرمّزاً مُسبقاً (مثل *il*

---

(7) يعكس الأصل الاسمي للواصق الفعلية في كثير من الألسن هذه الحقيقة فقط ولا يعني، كما كنا نعتقد غالباً، أقدميّة الاسم.

(8) يمكن للاسم أيضاً أن يكون مُسنَداً. فهو متعدد الوظائف، على النقيض من الفعل، مما زاد في أهمّيته والحاجة إلى علاماته: مثل فائدة الروابط، التفريق بين فواعل حيّة/ مفعولات جامدة في الهندوأوروبي (و، في ألسن كثيرة، دور قرائن الفئات [فئة الاسم وليس الفعل] في تعرُّفِ الفاعل).



lit/la lecture [هو يقرأ/ القراءة]). لكنه أيضاً يمكن أن يكون معيّناً مُسبقاً (جزء من الألفاظ الصينية، غير المميّزة شكليّاً، لا تُستخدم إلا كمُسنَدات)، ويُعرف خاصةً في القول بوساطة موقعه، وعند الضرورة، بوساطة الوجود الإجباري لقرائن (الشخص أو الهيئة أو الإسناد الخاصة). إلّا أنّ هذه الأخيرة أحياناً ليست مميّزة عن تلك الخاصة بالاسم؛ وانظر أيضاً الميزة نصب الفعل/ نصب الاسم في العربي واتّجاهي/ احتمالي في الكيشوا (البيرو)، أو "تصريف الاسم" في الماضي (مثال الغواراني [الباراغواي]، الكوموكس [كولومبيا البريطانية]). فتعرّف الفعل إذن أقل وضوحاً منه في الألسُن ذات الترميز المُسبق، على أنّ أسماء هذه الأخيرة يمكنها أن تعبر أحياناً عن الزمن أو الإيعاز (مثال فرنسي *le futur-roi* [المَلِك المُقبِل]، *prière d'entrer* [رجاء الدخول]؛ والأمر المُلصَق بالتحيات في البربري) أو تعرف نوعاً من التراكُب (في البالو [ميكرونيزيا]، الذي يعْدِلُ ـ"*avec*" [مع] هو لفظةٌ ذات مُلصقات للزمن وللمُلكية في آنٍ معاً).

2.4 الأسماء الفعلية

آلية التنامي

يشير هذا المصطلح هنا إلى زيادة سماكة القول بوساطة تحويل (مع أو بدون عامل خاص لهذه الغاية)(9) البنى ذات المُسنَد إلى

(9) في حال غياب المُعامِل، التنغيم والسياق هما وحدهما مَن يثبتان الوضع الاسمي لمُركّب هو قولٌ: الفرنسي *m'as-tu-vu* [أرأيتني]، الموهاوك (أونتاريو) *ra-to:rats* (هو- يصيد) "صيّاد".



أسماء (انظر في الكتاب فيما يخص صلات الموصول) الثابتة نوعاً ما، القابلة للإلصاق أو التجزيء وَفقَ تعقيدها وَوَفقَ الألسُن.

الاشتقاق الفعلي-الاسمي

حالة التنامي هذه بنزع الإسناد من الأفعال تعطي في 63% من الألسُن وحداتٍ هجينةً، موسومة كأسماء بلاصقتها الاشتقاقية، مع احتفاظها بسمات فعلية:

معالجة المُفاعليّة (actance): في الفرنسي *la crainte de l'ennemi* [خوف العدو] لها معنيان حسب ما إن كان العدوّ يَخافُ أو يُخافُ منه، إلا أنّ الإسباني يقابل بين *temor de* [الخوف من] و *temor a* [إخافة]، الأسماء الروسية المشتقّة تحتفظ بعمل الفعل، الماندينغ (غرب أفريقيا) تحوّل الفاعل والمفعول إلى مالِكَين: قابل للتصرّف به وغير قابل للتصرّف به؛ من طرف آخر، يمكن للأسماء أن تحتفظ بعلامات البناء للمعلوم (مثل الألسُن البولينيزية والبانتو)، علامات المفعول النكرة (مثل الناهواتل [المكسيك]) أو الفاعل (التراكيب الاسمية في ألسن جزر الولاء). علاوة على ذلك، هناك ألسن كثيرة، ومنها الفرنسي، تميز البنى إذا كان الاسم المشتق يعمل في مُفاعِلين: مثل *sa prise de parole* [أَخْذُهُ الكلامَ] (انظر العربي [الغني بالأسماء الفعلية]، أو الإنجليزي *the hunter's shooting of the deer* [قتل الأيل بوساطة الصيّاد]=[قتلُ الصيّادِ الأيّلَ])، وتحتفظ، تماماً مثلما مع الأسماء البسيطة (انظر *Lettres à Sophie*



[رسائل لصوفي]، *Jardins sous la pluie* [حدائق تحت المطر])، بعلامات المُنتَفِع والظرف: *vente au public* [بيع للعامّة]، *ruée vers l'or* [اندفاع نحو الذَّهَب]، حتى لو تعلق الأمر بالعبارات: مثل *son état quand il boit* [حالته عندما يَشرب "المُسكِرات"]؛ يُفضِّل الفُصحاءُ على بعض هذه التحويلات بنىً ذات صلات موصول (والنقاش ذاته في الهنغاري والفنلندي).

معالجة الهيئة–الزمن (aspect-temps): غالباً ما يَبْطُلُ تَقابُلُ الهيئات (مثال: في الروسي *sravnenie* [مُقارنة] تحل محل *sra-vnivanie*؛ وفي الفرنسي *vente* [بَيع] تتماشى مع *vend* [يبيعُ] ومع *vende* [يبيعَ])، (لكن هناك حالات مناقضة، مثل الأيمارا [البيرو])، ويستمرُّ تقابُلُ الأزمنة في 37% من الألسُن المعنيّة، وتنضاف تقابلاتٌ أخرى إليها، خاصةً بالأسماء المشتقة من الأفعال: إجراء/ نتيجة، واقِعة/ طريقة (مثل الإيوي [توغو]، الذي يحوي لاصقين بدل الـ *-ing* الوحيد في الإنجليزي).

الصيغة المصدرية (infinitif): شائعةٌ بشكل كافٍ (42%)، وهي أيضاً أقرب إلى الفعل، وتحتفظ منه بالعمل: مثال فرنسي *[il veut] le prendre/*[il] *le prend* "[هو يريد] أَخْذَه"/ [[هو] يأخُذُه]، لكن *sa prise* [أَخْذه] (انظر أيضاً الفنلندي) ويحتفظ، في الأعم الأغلب، بالصيغة (مثل البول (غرب أفريقيا)، الألسُن الرومانية والسلافية). بل إنّ الصيغة المصدرية في البرتغالي هي أساس التصريف الشخصي في الجُّمل التابعة.



3.4 الصِّفات

هناك أربع حالات موثّقة:

يتعلق الأمر في الواقع (32% من ضمنها ألسن جنوب شرق آسيا، ميلانيزيا، أفريقيا الوسطى، أميركا) بالأفعال الحاليّة statif أو بأفعالِ النوعية (de qualité)، ذات التركيبيّة المحدودة، وَفقَ المُسنَد، إمّا الوحيد، وإمّا (في صلات الموصول المكافئة للنعت الوصفي الفرنسي) الثانوي.

ليس هناك إلا بعض الصِّفات (العمر، الأبعاد [مع أزواج من الأضداد]، الألوان، الحياة الأخلاقية) ومعظمُ مصطلحات النوعية في الحقيقة أسماءٌ: "*belle femme*" [امرأةٌ جميلة] = "*femme de beauté*" [امرأةُ جمالٍ] أو "*beauté de femme*" [جمالُ امرأة] (18% من ضمنها ألسن البانتو).

تتوزّع الوحدات بين فعلية واسمية (22% من الألسُن).

توجد (28%) فئةٌ مستقلّةٌ من الصِّفات الحقيقية، أي من المعرِّفات المعجمية للأسماء (البسيطة أو المُشتقّة من الأسماء أو الأفعال)، مقسومةٌ، مع ذلك، غالباً إلى صِنفين:

- تعريفية (مستخدمة بكثرة في الألسُن السلافية)، تعْدِل اسماً في حالة "الإضافة"[10] وغير قابلة للتفاوت (non graduable) (فـ(جِداً) مُستبعدٌ في "du fémur" = [*artère fémorale*] [شريان

---

(10) وهي متحدّرة منه في الألسن الهندوأوروبية، حيث نجد أمثلةً أخرى للعلاقة بين الحالة والاشتقاق (وبناء عليه فالصيغة المصدرية في الإغريقي المختومة بـ ai هي حالة جرّ قديمة).



فَخِذيّ [="من الفّخذ"]]، على الرغم من أنّ الانزلاق من العلائقي إلى التوصيفي أمرٌ ثابت: مثال *un style assez présidentiel* [أسلوب رئاسي بما فيه الكفاية]؛

– وصفية، مثل *un homme rude* [رجل شَرِس]، عاملةٌ غالباً في الفرنسي[11] (مثل *avide de* [متعطِّش لِـ]؛ ومثله في الإنجليزي *eager to* [توّاقٌ إلى])، ويمكن استخدامها كأسماء: مثل *le beau* [الجميل] (وكذلك في المقابل لدينا *un air canaille* [هيئة وضيع]). في حين أنّا في بعض الحالات لا يمكننا أن نصف قبل أن نُسنِد[12]، فإنّ الصِّفات تساهم في التنامي؛ ولربّما ربطتها علاقة تحوّل بالـ"ظروف": *parfait idiot* [غبي تامّ]=[غبي تماماً]، *blessé grave* [جريح خطير]=[مصاب بخطورة]. نادرةٌ، مع ذلك، هي الألسُن ذات العلامات التي، مثل البولوني، تمثّل تصريفاً مختلفاً، والألسُن التي للصِّفات فيها ما يكفي من التّخصُّص لكي تتغير حروف الجذر في بعضها تِبعاً لعدد الاسم الموصوف (مثل الروتومي [ميلانيزيا]) أو معناه (مثل اليوروك yurok [كاليفورنيا]).

(11) يمكن لهذه الخَصيصة الهامة أن تُستخدم كمعيار؛ الوقائع متنوعة (انظر: L. Picabia, *Les constructions adjectivales en français* (Genève: Droz, 1978)).

(12) بيد أنّه توجد أيضاً استخدامات إسنادية للصِّفات الحقيقية (أحياناً [مثل الماندينغ [غرب أفريقيا]] بصيغةٍ خاصةٍ [وليس بالتنغيم فقط])، مثال فرنسي *le chat, avide, a tout dévoré* [القط، الفَجِع، التهم كلّ شيء]، أو *les lions mangent la viande crue* [الأسود تأكل اللحم النيّء]، حيث تُكافئ توابع ظرفية.



ثانياً- مُحدّدات الاسم: المُسمِّيات، ومُحدِّدات الفعل: المُفعِّلات

نقترح هنا تسمية مُحدّدات الاسم ومُحدّدات الفعل البسيطة بمُسمّيات ومُفعِّلات. وفي مقابلتها الاسمَ بالفعلِ وَفْق القوانين التجميعية فإنها تشكل مع هذا أو ذاك تركيباً مختلفاً عن المجموعات المركّبة ذات الصفة أو جملة صلة الموصول أو الجملة الصغرى الإتمامية.

1. المُسمِّيات

ترتبطُ بشكل أساسيّ بالاسم. ويمكن للمُعرَّف أن يكون أيضاً ضميراً داعماً مرتبطاً بالسياق (مثل *celui de Jean* [الخاص بجون]، أو "celui de moi" =[*le mien*] الخاص بي [="الذي لي"]، وواسع الاستخدام أحياناً (مثل البربري) ويمكن استخدامه بدرجة ثانية (مثل الهنغاري *é*– في *Péter-é-é* "celui de celui de Pierre" [الخاص بالخاص ببيير]). إلا أنّ الضمائر تُستخدم أيضاً لوحدها، محيلةً إلى عنصرٍ من السياق (مثل *il y était* [كان هناك]، وبشكل احتمالي إلى قولٍ بأسره (مثل *c'est juste* [هذا حقٌّ]، إو إلى حالةٍ مثل *ça lui plaît* [هذا يُعجِبه]، مع احتفاظها بوظيفة ضمن الكلام (انظر أيضاً الضمير الموصولي). وهي، من خلال هذه الخاصة المزدوجة في الإحالة إلى شيء آخر والاندماج في البنية، عناصرُ جوهرية للعلاقة النحوية/ الدلالية. فلندرس الآن الأصناف المختلفة من المُسمِّيات غير تلك المؤشِّرة والمادّة.



1.1 التحديد الذاتي للاسم

ضمائر المُلكيّة

يمكن للضمير الشخصيّ أن يُضاف، كما هو، إلى الاسم، مع رابط أو من دونه (مثال الصيني). إلا أنّه في الأعمّ الأغلب (62% من الألسُن) يأخذ شكلاً خاصاً، هو ضمير الملكية المطابق للملوك (الفرنسي "sa *vie*="la vie de lui ou d'elle [حياتـه/ـها "الحياة خاصته أو خاصتها"، أو للمالِك (مثل الإنجليزي *his life* [حياته])[13] أو للاثنين (مثل الصربي الكرواتي). قد يطالُ شيءٌ من التغيير الاسمَ المُعرَّفَ (مثال العبري، التيم tem [فولتا العليا]، البالو [ميكرونيزيا]، الغيلياك [شرق سيبيريا])، أو حتى تغيير الجذر (مثال الغاليبي (galibi) [غويّان]). واحد وثلاثون بالمئة من الألسُن (مثل الأفريقية، الأسترونيزية) تميّز شكليّاً لحظات (المستقبل، الماضي،

(13) تفكيكٌ مشابه لمثل هذا التأويل موجود بشكل صريح في الفرنسي في التعبير عن الفضاء الشخصيّ، بل وقد يكون بشكل ضمنيّ بوساطة تحويل الضمير الشخصي "المُستتر" إلى موصولي، في هذا المثال العجيب الذي استخرجه داموريت وبيشون في: J. Damourette et E. Pichon, *Des mots à la pensée* (Paris: D'Artrey, 1911-1934), t. IV; p. 250,
من رسالة مجهولة الكاتب: *même à mon gré, qui ne suis pas absolument impartial pourtant, il va trop loin* [حتى في خاطري، الذي لستُ نزيهاً تماماً مع ذلك، إنّه يذهبُ بعيداً]= [حتى لو كان بكامل إرادتي، ولستُ نزيهاً تماماً مع ذلك، إنّه يتهادى] انظر أيضاً، في الإنجليزي المكتوب *his Letters, who was her lover yesterday* "ses lettres (à lui), qui était son amant hier" [رسائلُه، التي كان عشيقها بالأمس] (W. M. Thackeray, *The History of Pendennis*, 1850).



الحاضر) في الملكية (مثل الماوري [نيوزيلندا])، صنف استخدام الإنسان (وعليه ففي الموتا mota [هيبريديا الجديدة] هناك ستُّ سلاسل، تتضمّن ما يُمكن أكله، وما يمكن شربه[14]، والنشاطات)، أو درجة التّحكّم أو الأُلفة أو إمكانية التصرف (صيغة لقرابة الدم[15] ± أعضاء الجسم أو أجزاء الكلّ ± الاتجاه المكاني [مثلاً كأن تقول: ["ta gauche" ["يُسراكَ"]]، وصيغةٌ أخرى لباقي الأمور، بما فيها المُلكية التي تُعامل معاملةَ ما يمكن التصرف فيه). العلاقة بين المُلكية والوجود موسومةٌ أحياناً بصيغةٍ تعني "ينتمي إلى". يمكن للمعاني أن تتنوع أكثر مما تتضمنه الملكية لوحدها.

الاسم المُحدِّد في التركيب

ليس المُلكيُّ إلا حالةً خاصة. والعلامة هنا، إمّا السلسلة لوحدها، وإمّا علاوة على ذلك:

– صُرَيفٌ خاصّ، وصلةٌ: مثال فرنسي *l'ami de Paul* [صديقُ بول]؛ علامةُ إضافة: مثال إنجليزي *Paul's friend* [صديق بول]؛ رابطٌ عامِلٌ في حالةٍ: مثلما في الألماني *von* + جرّ؛ تغييرٌ

(14) في الألسن الميلانيزية، غالباً ما يُرافق مُصَنِّفٌ مع ضمير مُلك مُلصَق، اسم الغذاء المملوك: مثل النيمي némi (كاليدونيا الجديدة) *knudoo-n we* (boisson-sa eau) [شراب- ـه ماء=ماؤهُ].

(15) تُتَناولُ هذه الظاهرة "الطبيعية" مع ذلك بشكل مختلف حَسْب الثقافات: في الهويلو (houaïlou) (كاليدونيا الجديدة)، "أب" يُمكن تملّكه أمّا "أمّ" فلا يمكن تملّكها. في النيمي (كاليدونيا الجديدة)، لا يمكن تملّك الاثنين. في الباباتانا (babatana) (جزر سُليمان)، "طفل" يمكن تملّكه. في الرونيل (rennell) (جزر سليمان)، "ابنة" يمكن تملّكها أما "ابن" فلا.



مقطعي للاسم المُعرَّف (انظر مثلاً الألسُن السلتية)؛ تغييرٌ نَغَميّ (مثل الفاتالوكو fataluku [جزيرة تيمور] أو ألسن البانتو)؛

- سَندٌ متطابق مع المركز، كما في "la mer celle du Sud" [البحر ذاك الذي في الجنوب] (مثل الهوسا [نيجيريا]، الهندي hin-di)؛

- ضمير مُلك، والاسمُ المضاف في موضع البدل: مثل الهنغاري Pál barát-ja = "l'ami de Paul" (Paul ami-son) [بول صديق- ـه] أو البالو (ميكرونيزيا) (ami- sə?əli-l a-Paul son le-Paul) [صديق- ـه الـ-بول][16]؛

- الأداة أمام المحدِّد: مثل الألسُن الساميّة؛

- المطابقة الفئوية مالِك-مملوك: مثل الشامالال (chama-lal)(القوقاز)؛

- أكثر من إجراء وَفق السياق: الألسُن الجرمانية.

ويمكن للمعاني أن تكون: مُفاعَلَةً، مُلكاً، تخصيصاً (ce mot de Proust, la colère de Jean) [كلمةُ بروست تلك، غَضَبُ جون]، أصلاً (le type de Nice) [المَرْءُ مِن نيس]، سَعَةً، جزءاً من كُل، هَدفاً، مادّةً، حالةً، شرحاً، وعلاقات أخرى نوعاً ما محدّدة؛ ويمكن للعلامات أن تختلف تِبْعاً لذلك (انظر tasse de thé/tasse

---

(16) يمكن أن تتنوّع صيغة ضمير المُلك (مثل الكوساي (kusai) [ميكرونيزيا]) حسب نوع التملّك: اسم عَلَم، اسم الجنس... إلخ.



à thé/tasse en bois [كأسُ شايٍ/ كأسٌ للشاي/ كأسٌ من خشب].
يعتمد الإتراع بالمُسمِّيات المختلفة على الألسُن وعلى الأفراد: *un autre fort bon ami à moi du centre des Bouches-du-Rhône est douteux* [صديقٌ آخر جيّدٌ جداً لي من وَسط البوش-دو-رون مشكوكٌ فيه].

2.1 المُحصِيات

في الفرنسي هي *chaque* [كُلّ]، *certains* [بعضٌ مِن]، *quelque(s)* [بعضُ]، *n'importe quel* [أيّ]، *autre* [غير]، *aucun* [لا أحد]، *beaucoup (de)* [كثيرٌ (مِن)]، *plusieurs* [عدَدٌ مِن]... إلخ. تتخَصّص بعض الصِّيَغ كضمائر: مثل *rien* [لا شيء]، *chacun* [كلّ واحدٍ]، *personne* [لا أحدَ]. في 76% من الألسُن، المُحصيات الكونية مثل (كُلّ) والوجودية (مثل أحدٌ ما) مُشتقة من أدوات الاستفهام. لكن فيما تبقّى، لا تُوجدُ بالضرورة فئةٌ للمُحصيات: في الكوموكس (كولومبيا البريطانية)، "كُلّ" و"غير" أفعالٌ.

2. الاستتباع

إنه الاسم الذي نقترحه هنا للإشارة إلى المزيج، الخاص بالخطاب، بين الاسترسال والتماسك، والذي بموجبه لا تقعُ بعض المُسمّيات، أو لا تقعُ فقط، على الاسم من الناحية الشكلية، فيمكن أن يكون لدينا:

- تطابق: رشق (projection) متقطّع لوحدةٍ واحدة؛
- أو نقل-انتقاء: إعطاء الفعل علامةً خاصةً بالاسم المجاور، المنتقى بهذه الطريقة.



ندرس هنا علامات الفئة والجنس والعدد؛ لأنها خاضعة للاستتباع في 76% من الألسُن. إلا أنّ غيرها، ومنها الباسطات، يمكن أن تكون كذلك أيضاً[17].

1.2 علامات الفئة والجنس

الفئة

الظاهرة

الألسُن المُسمّاة بذات الفئات هي تلك التي تكوْنُ فيها للتقسيم الكوني للأسماء في مجموعات علاماتٌ بيّنةٌ ومنتظمةٌ: 3 مجموعات في التاوس taos (مكسيك الجديدة)، 24 في البول (غرب أفريقيا)، 40 في النازيوا (nasioi) (جزر سليمان). غالباً ما يكون هناك تطابق، بل يمكن له أن ينسحب على كامل القول، ومن هنا مثلاً يأتي الجناس الصوتي (assonance) في السواحيلي (تنزانيا): *ki-kapu ki-kubwa ki-moja ki-li-anguka* [(مص[18]-سلة مص-كبير مص-واحد مص-ماضٍ-وقع)= "وقعت سلّةٌ كبيرةٌ"]؛

---

(17) بل ويمكننا أن نمدّ مفهوم الاستتباع إلى حالات التطابق بالمُفعِّلات، المعاكسة والأكثر نُدرة (مثل اللارديل [أستراليا]، يتطابق الاسم في الزمان مع الفعل) وإلى الحالات التي فيها إعراب الاسمِ التممةِ هو الذي يتغير وَفق الصيغة الفعلية (مثل الفنلندي). يكون الاستتباع عندها مظهراً أساسياً لتماسك الأقوال اللسانية ولضرورة عدم تجزيء الدراسة. يمكن لحالات الاستتباع هذه، حيثُ لا يُظهِر التحليل إلا وحدةً واحدة، يمكن تقريبها من حالات الألفة والقرابة بين وحدتين.

(18) مص = مُصنِّف (المترجم).



فقدان الحافز الواضح ولكن الملاءمة حقيقيّة

يبدو أنّ وقائع كثيرة تُبرزُ فقدان المنظومة للحافز:

- التنافر الدلالي المتكرر للفئات (وخاصة في أفريقيا): مثل الغورما (gurma) (فولتا العُليا) *kú*–، البول (غرب أفريقيا) *nde*– (فئة تتجاور فيها أسماء الجبال والتوقيت والعين والاحتفال)؛

- ضغط البِنى: مثلاً في البيرماني (أو التايلاندي)، بما أنّ مكان المُصنِّف لا يمكن أن يكون فارغاً؛ فإنّ أسماء الامتدادات المكانية تستخدم علامات خاصة بها، عن طريق التكرار: *ʔèyn tə-* *ʔèyn* [(بيت واحد-مص)= "بيتٌ"]؛

- التجميع المتكرر للفئات في أزواج مُفرد/ جمع، والتي تمثّل أحياناً بقاياها الوحيدة (أفريقيا الوسطى وغرب أفريقيا)، أو أيضاً (نفسها) في منظومات اشتقاق آلية نوعاً ما؛

- تماثل المُصنِّفات مع ضمائر الغائب في العديد من الألسُن (أفريقية، آسيوية)؛

- الاستفاضة في وضع علامة يتضمّنها معنى الاسم نفسه مُسبقاً، أو معنى الفعل الذي تُنقَل إليه أحياناً دلالة الاسم المُختار (أفعال ذات الفئات: 6% ومنها ألسن أستراليا، غينيا الجديدة، أميركا الشمالية): وبناء عليه، في النافاهو (أريزونا)، تقع للعديد من الأفعال تغييرات في جذورها ولواحقها، حسب القوام، الكتلة، موقع المرجِع من الاسم الفاعل أو المفعول، في حين أنه في الفرنسي، *Guy s'écoule* [ينسابُ غِي] مُستَبعدٌ لمجرد معنى ينساب، حتى من دون لواصق.



إلا أنّ دراسةً مستفيضة في الواقع ستسمح بالوصول إلى الحوافز؛ فالمُصنِّفات:

- مُخصّصَةٌ للأرقام وَحدها في بعض الألسُن (مثل البالو (ميكرونيزيا)، الغيلياك [شرق سيبيريا]) بل ولازِمةٌ بوجودها في معظمها؛

- مرتبطةٌ بتحديد الكمّية، كما تبيّنه أسماء المقاييس (كمية، مُدّة)، والتي تُستخدم مثلها[19]، كما في التايلندي، الخمير أو الصيني حيث *yì wăn fàn* (واحدة زُبديةٌ رُزٌ) [زُبديةُ رُزٍّ] لها مثلُ بنية *yì bĕn shū* [واحد (مص) كتاب]=[كتابٌ]؛

- متناوبةٌ غالباً، بالنسبة إلى الاسم نفسه، حَسْب المعنى (مثل "la *kì-kóngó* /[الكونغوويون] *bà-kóngó* "les Congos langue congo [اللسان الكونغولي]" [زائير]؛ في الماليزي -*sa* *ekor-buaya* [تمساحٌ]/ *sa-orang-buaya* [عدّاءٌ]؛ في التوبا toba [الأرجنتين] *ha-ñi-hala* [فاكهة [بحدِّ ذاتِها]]/ *ha-ra-hala* [فاكهةٌ [على شجرةٍ]])؛

- مُتمكّنةٌ في كثير من الألسُن (مثل آسيا) من أن تصفَ تماماً الأشياء، الموزّعة في قوائم متناسقة (طويلة، مُدوّرة، مُسطّحة، مُدبّبة،

(19) لكنها تمتاز عنها، ذلك أنّ المجموعة الرقمية+اسم المقياس يمكن استخدامها في التركيب نفسه الذي يضم مجموعة المُصنِّف+الاسم (مثلما في الجاكالتيك [غواتيمالا]) والكلمة نفسها يمكن أن تكون إمّا مقياساً وإمّا اسماً بسيطاً مع مُصنِّفه : مثل الفيتنامي *môt-nhà-rác* [(علامة تنكير-بيت-خُردة)= "(قَوامُ) بيتِ خُردةٍ"]/ *môt-cái-nhà* [(علامة تنكير-مص-بيت)= "بيتٌ"].



إلخ) وَفق إدراكٍ انتقائيٍّ (بصريٍّ خاصّةً) للسمات المستوعَبة بيُسرٍ أو التي يستعملها الإنسان، أمّا الفئات المُتنافرة فمعيارها بالتحديد هو عدم مُلاءمتِها للأشياء التي تضمّها. وعليه، **فإنّ المُصنِّفات**، وهي أدوات العدِّ الوظيفي للأشياء والمفاهيم، مرتبطةٌ بالتمثيل الإنساني للعدد وبالتفاعل بين العالم والمُجتَمَعات.

الجنس

إنّ التقابل، في الهندوأوروبي، بين جنسين أو ثلاثة (مذكّر ~ مؤنّث/ حيادي، على أنّ المُذكّر مُهيمنٌ وأقلّ وَسماً) هو تقابلٌ قواعديٌّ في المقام الأول؛ إلا أنّ الحقائق الشكلية للتطابق بالجناس الصوتي التي أنتجته، نَتَجت بدايةً عن اختلاف صرفي عَكَسَ، هو بحدّ ذاته (انظر Haudry, p. 33) التمييزَ بين الفواعل الحية/ المفعولات الجمادات. وهذا التمييز باقٍ في أُسرٍ أخرى، حيث يتنوّع بشكل أزواجٍ معقول/ غير معقول (ألسن شرق القوقاز)، أعلى (الرجال، الآلهة، الجنّ الذّكور)/ أدنى (النساء، الآلهة الإناث، الأشياء) (الألسُن الدرافيدية [الهند])... إلخ، مع أنه لا يبقى أحياناً إلا في الضمائر، كالاستفهامية مثلاً (مثل الجورجي، الصيني، الهنغاري). ينشطُ هذا التمييز من جديد في الأمهري (إثيوبيا)، حيث كلّ اسم مُذكّر يمكن وَضعه (بوساطة النقل على الفعل) بصيغة المؤنث، مع معنى التصغير أو الانتقاص.

2.2 علامات العدد

تُشكِّل عادةً جُزءاً، أو بقيّةً، من منظومات الفئات، ويمكن أن يعطي الجمع (مثال غرب أفريقيا) صيغةً خاصة بالأحياء، أو،



بالنسبة إلى الجمادات (مثل الإغريقي القديم، الجورجي التراثي) تطابقاً مع فعل بصيغة المُفرد، بل وحتى بصيغة المؤنث بالنسبة إلى جموع التكسير في العربي، اللسان الذي تعدُّ علامات تصريف العدد فيه معقّدة، مثلما هو الحال عادةً في الألسُن السامية والتشادية والنيلية. يحتل الجمعُ مكانةً مختلفةً في المنظومة حَسْب ما إن كان يقابل المفرد فقط (42%) أو يتنوّع تَبَعياً (مثل الإنجليزي *brothers/ brethren* [إخوة/ أشقاء]) أو بطريقة حيّة:

- جمع/ مُثنّى (مثل الألسُن السامية [والتي تقابل علاوة على ذلك بين أسماء المفرد/ أسماء الجمع]، السلوفيني) بل وحتى (ميلانيزيا، غينيا الجديدة)، جمع/ مُثنّى/ مُثّلث/ مُربّع؛

- جمع/ جمع قلّة (الألسُن السلافية)؛

- محدود وغير محدود، ويمكن لهذا الأخير أن يُحصى أو لا (الباينوك (baïnouk) [السنغال]؛ في 26% من الألسُن (مثل الصيني)، له جمعٌ لكنه ليس إجبارياً، بل ويمكن (مثل الهايو [نيبال]) أن يُستَخدم بمعنى "إلخ".

حالة الاستتباع الأكثر شهرةً (35%) هي المطابقة بالعدد بين الاسم الفاعل والفعل: مثل *les enfants dorment* [الاطفال ينامون] حيث علامة الجمع "-es...ment"، وصوتيّاً [ez...m] (وقد تَوافَقَ أنّ الـ [m] هي أيضاً علامة الصيغة المصدرية). ويمكن أن يتعلق هذا التطابق، عن طريق المطابقة المعنوية (syllepse)، باسم الجمع: مثل *la plupart ont fui* [الأغلبية هربوا]، أو في الفرنسي المحلّي



chez tonton Paul (="lui et les siens") *sont venus* (بواتفان) [عند العم بول (="هو وأهله") جاؤوا]=[جاء العم بول وأهلُه]، بل وحتى (2% ومنها الهوبي [أريزونا]، البايوت الشمالي paiute du Nord [أوريغون]، الشامورّو (chamorro) [غوام]) الربط بين ضمير جمع وفعل مُفرد ممّا يعطي معنى مثنّىً. اثنا عشر بالمئة من الألسُن (منها السومري، الأينو aïnou [اليابان]، الموندانغ (mun-dang والتوبوري [تشاد]، ألسن الأتاباسك (athabasques) [أميركا الشمالية]، الأورالية، الغينية الجديدة) تزوّدنا بحالات من النقل: في جزء من المفردات، الفعل هو من يأخذ لاصقةً أو يُغيّر الجذر للدلالة على جمع الفاعل، أو المفعول أو الاثنين معاً.

3. المُفعِّلات

ليست الصُريفات المدروسة هنا، والقرائن الشخصية عندما تظهر (انظر الفصل 4 من هذا الكتاب) عديمة التوافق دائماً مع الأسماء، لكنها، وفي كل مكان، ترتبط بالفعل[20] غالباً، وتُسهِم في إقامة العلاقة الإسنادية. إنّ الانتقال بين هذه العلامات، وكما سنرى، أكثر غموضاً مما قد يشي به الفصل السّهلُ في فئات.

1.3 علامات الهيئة والزمن

إنّ تناسُبَها مع الفعل، الراجِعَ بلا شكّ إلى حقيقة أنّ ما يجري ضمن مكان زماني-مفهوميّ هو حُكماً قضيّة (وفي الأعمّ الأغلب يقوم بها مُسنَد فعليّ)، أمرٌ جليٌّ للغاية: ويمكن أن تكون

---

(20) أو بما يحلّ محلّه: وعليه، ففي الهوبي (أريزونا)، الرابط "نحوَ" والذي يأخذ مكان فعل الحركة يمكن أن تُلصق به علامة الهيئة.



هذه العلاماتُ ممزوجةً بالفعل (مثل *il a/il eut* [هو يملك/ هو مَلَكَ])، أو مُلصَقةً (مثل *il chante/il chantait* [هو يغنّي/ هو كان يغنّي] (الألسُن الرومانية، الجرمانية، السامية، البانو، إلخ، مع تنويعات مقطعية و/ أو نغمية)، أو حرّةً نوعاً ما (مثل ألسن غرب أفريقيا)، أو عارضة إمّا للفعل وللضمير الشخصي معاً، وإمّا لهذا الأخير وحده والمتغيّر أحياناً (مثل الأيمارا [البيرو]، التاكيلما [الأوريغون] حَسْب الهيئة-الزمن وكذلك علامات المُفاعلية الممزوجة)، أو أيضاً مرتبطة بالسلسلة. إنها تقع مبدئيّاً ضمن التصريف بمعناه الواسع (وليس بالمعنى التقني عند هومبولدت). إلا أنّ هذا التصريف ليس سهل التمييز دائماً (انظر مثلاً الألسُن الساميّة) عن الظاهرة المعجمية، وهي غير إجبارية، وعن الاشتقاق، مع معنى مكثّف، تكراري، سببي، مُتبادَل، انعكساي... إلخ.

يُطلق عادةً على العلامات اسمَ الزمنية عندما يكون ما تدلُّ عليه هو تسلسل أحداث القضية بالنسبة إلى لحظة القول، والهَيئيّة عندما يتعلق الأمر بطريقة انقضائها. إلا أنّ الوقتَ، وحوامله الدقيقة الوحيدة هي بالأحرى المصطلحات مثل في الفرنسي *hier* [البارحة] أو *demain* [غداً][21] (وغالباً ما تكون مصادر للعلامات الزمنية في الألسُن)، مرتبطٌ بالحالة والسياق بقدر ارتباطه بالمُفعِّلات

(21) ومن هنا، فإنّ تفرّد الحالات مثل حالة الهورون (huron) (لسان إيروكواسي ميّت)، حيث بالعكس، علامة الزمن هي التي تسمح بمعرفة المصطلح الدال "يكون مسافة يوم واحد" تَعدِل "البارحة" أو "غداً" (انظر الهندي *ksl* والفرنسي *tout à l'heure* [قبل قليل/ بعد قليل]، المدغشقري *vao*).



(مثال الـ"ماضي" من *s'il venait?* [إذا أتى؟] يَعدِلُ في الحقيقة المُستقبلَ). علاوة على ذلك، حتى في الموضع الذي تُعبِّر فيه **المُفعِّلات بالأحرى عن الزمن، ووسائط أخرى هي التي تتطابق فيه** مع الهيئة (مثلاً يُترجم التدريجي في الفرنسي بـ *être en train de* [يكون في طور] وبـ "être avec" [يكون مع] أو "être à" [يكون في] في لهجات فرنسية محلية، في البرتغالي الأوروبي، الهولندي، الإيوي [توغو]، الأمبوم [الكاميرون]، الآرامي (araméen)، الألسُن التركية (turques)... إلخ)، يمكن أن يكون هناك أكثر من ماضٍ أو من مستقبل حَسْب الهيئة، وليس فقط حَسب العمق الزمني كما في ألسن البانتو والغينية الجديدة. المفاهيمُ الهيئيةُ للحدّ ولنقطة العلّام (أو غياب نقطة العلّام: لاحظ هيئة الماضي المُطلق)، ومعنى الأفعال، تشرحُ كلّها التقابلاتِ: مثل في الفرنسي الماضي المستمر (الجاري)/ الماضي البسيط أو المُركّب (الدقيق)[22]. على النقيض، حتى في الألسُنِ التي فيها (مثلاً الروسي، اليوناني الحديث، البالو [ميكرونيزيا]) كلُّ زمنٍ مشطور حَسْب الهيئة، فإنّ تعريف الهيئة يتم وَفق الزمن المُلازم للقضية، في مقابل الأزمنة التقديرية: الماضي، المستقبل، والمرحلة الخاطِفة التي يمرّ بها المستقبل ليصبح من الماضي، أي الحاضر.

إذن عندما نقول إنّ تصريف لسانٍ ما مبنيّ على الهيئة، فهذا

---

(22) يمكننا أيضاً أن نعالج الصيغة من حيث الهيئة: الصيغة المصدرية (توكيد ضعيف، ومن هنا يأتي استخدامه كتابع)، الشرطي (فرضية، توكيد مُخَفَّف)... إلخ.



يعني فقط أنّ الإشارة إلى الزمن النسبيّ ثانوية بالنسبة إلى التقابلات مُنتهٍ/ غير مُنتهٍ (perfectif/ imperfectif)، حالة/ إجراء (état/ pro- cessus)، بداية/ جريان (inception/ déroulement)، أو بالنسبة إلى علامات الإرادي (volitif)، التمنّي (optatif)، جواب الشرط (poten- tiel)، الناهي (obligatif)، المُبيح (permissif)... إلخ. هناك حالتان من بين حالات كثيرة أخرى تُبرزان العلاقات بين الهيئة والزمن:

– يُعبَّر عن الماضي الاعتيادي، والمستقبل ضمن الماضي، وغير الحقيقي بصيغة واحدة في الإنجليزي (*would be* [قد يكون] = "serait" [قد يكون] أو "était" [كان])، وكذلك في الجورجي والأرمني والألسُن الهندو-إيرانية؛

– المُستقبل، حديثُ العهد في كثير من الألسُن، غالباً ما يكون تعريضياً، مع فعل مساعد "avoir" [فعل المُلك]، "être" [فعل الكون] أو "aller" [ذَهَبَ] (كما في الألسُن الرومانية)، مع "vouloir" [أراد] (في مثل اليوناني الحديث، الألسُن الجرمانية)، مع إحالي (في مثل البربري، الكوري، المندي [ليبيريا])، أو مع علامة أصلية؛ تُحيِّد التقابلاتُ بعضُها بعضاً (البرتغالي، الذي فيه مستقبل مصدري، التشوكش (tchouktche) [شرق سيبيريا]، التونكاوا (tonkawa) [تكساس]، الصومالي والمدغشقري، حيث علامات المستقبل أكثرُ أو أوسع استعمالاً من علامات الماضي، تبدو وكأنها من النوادر)؛ وعليه، فإنّ زمناً ما لم ينْقَضِ بعدُ مرتبطٌ



بصيغة الإيعاز المُلطّفة أو بالهيئة غير الأكيدة[23] (انظر في الفرنسي *tu iras!* [ستذهب!] أو *Et Pierre?* [وبيير؟] – *Il sera sorti* [سيكون قد خرج]).

علينا أن نلحظ في الختام بعض التوافقات: ففي البلغاري، يفترض اكتمال القضية وجود مفعول به بعينه، ومن هنا يأتي التضامن بين مُفعِّلات المُنقضي وعلامات التعريف.

2.3 الأفعال المساعِدة

إنّها عناصر ذات أصل فعليّ، معناها يميل إلى التخصّص، عندما تكون مرتبطة بكلمة مُساعَدة (auxilié)، أو بفعل (ربما تعمل فيه) أو بأي لفظة أخرى مع وصلة أو من دونها، وهذا يؤدي إلى:

إمّا شبه هيئية (para-aspectuel)، يمكن مقارنتها بالمُفعِّلات، مثال فرنسي *il va y aller* [هو يذهب إلى هناك يذهب]=[سوف يذهب إلى هناك] (حيث يظهر الفعلُ نفسه بوضعين مختلفين). يمكننا أن نتوقع بعض المسائل: في كثير من الألسُن، الأفعال التي تعني "بدأ"، "توقف عن"، "ظلّ"، "أكمل" تعطي مُساعدات من قبيل "بدايةً"، "لم يَعُد"، "في طور" (أو "أيضاً")، "كُلّياً". وهناك أخرى حسب الألسُن: مثلاً في الموري (فولتا العُليا)، الأفعال التي تعني

---

(23) لكن ليست بالضرورة في غير المنقضي. يمكن لغير المنتهي، في التمثيل، أن يكون مخصَّصاً لما هو مُكتمِل، ومن هنا مثلاً، يأتي التوافق بين المنقضي والمستقبل في الروسي.



"عرف"، "جهل"، "ركض"، "تعِب" تتطابق كمساعِدات، مع "عادةً" (نفسه في البيرماني)، "مُطلَقاً"، "مُسبقاً"، "خِتاماً" على التوالي؛

وإمّا دِعامات للواصق، وليست بالضرورة "خالية من المعنى"، لكنها نوعاً ما دقيقة حسْب الألسُن. ولذا فإنّ *do* الإنجليزي يستخدم للتقرير القوي، للنفي، للاستفهام، أو لإلحاق كلمةٍ مُركَّز عليها في البداية بالفعل: *so did he talk* "ainsi parla-t-il" [هكذا تكلّمَ]. وهذه المُساعِداتُ حوامِل لِلّواصق لأنّ المُفعِّلات الأخرى والقرائن الشخصية تُنقَل إليها عند الضرورة. تشيع الظاهرةُ في الباسكي، أو في الأفعال المركَّبة: "être" [كان]، "faire" [عمِلَ]، "donner" [أعطى]، إلخ، مرتبطةٌ، في الهندي والفارسي واليوناني الحديث والياباني، باسم أو بصفةٍ؛ كثير من الألسُن الأسترالية والغينية الجديدة تترك الفعل المُساعَدَ مُجرّداً، وهو الحامل للمعنى الأساسي، وتربط كل هذه المُحدِّدات بمُساعِدات يمكن أن تكون معانيها نسبيّاً مُتنوّعة، تتضمن "أخذ"، "وقع"، "رمى"، "ضرب"، "ذهب"، "جلب"، والعديد من الإشارات الدالة على الوضع، واقف، جالس... إلخ، وعلى صِنف جريان القضية. في أقصى الحالات، ثباتُ المساعِدات يجعلها تنتمي إلى التشكيل لا إلى التركيب. وهذا في الفرنسي حال *être* [فعل الكون] و*avoir* [فعل المُلك] في *tu es venu* [أنت أتيت] أو *il a fui* [هو هَرَبَ].



3.3 النفي

تنوّع الآثار

في القول الأدنوي، يقع النّفي على الفعل[24]، الذي يسهم في تحديد وظيفة المُسنَد فيه[25]. كما يمكن معالجة النفي على أنه هيئة أو "ظرف". إلا أنّ تنوّع نقاط تطبيقه تتطلّب معالجة منفصلة. فيما دون الكلام الأدنوي، لا يمكن أن يكون النفيُ إلا لاصقةً ضِمن مُشتَقٍّ: مثل *non-être* [عدم الكون]، لكن، حتى عندئذٍ، فإنّ حقله قابل للمدّ: فيمكننا أن نَعُدَّ أنّ *in* [غير] في قولنا: *indélébile à l'eau* [غير قابل للمحو بالماء] لا يطال فقط *délébile* [قابل للمحو]، بل المجموع كله. أكثر من ذاك، يمكن له أن يقع على مُحْصٍ (مثل *ils ne sont pas tous là* [ليسوا جميعاً هنا])، أو أن يكون قابلاً للنقل، مع تغيير في المعنى أو من دونه، فيما بين أفعال قول مُركَّب (مثال *je crois qu'il ne dort pas* [أعتقد بأنه لا ينام]/ *je ne crois pas qu'il dorme* [لا أعتقد بأنه ينام])، أو الهيمنة على مُجمل القول، خاصة عندما يكون هو نفسه فعلاً، لكن في البداية (مثال الماوري [نيوزيلندا]، الكوموكس [كولومبيا البريطانية]). مع ذاك، فقد تكون هناك قيودٌ تَحُدُّ من حقله. وعليه، فإنه لا يطال إلا الفعل نفسه في بعض

---

(24) مع ذاك، ففي بعض الألسن (مثل الماليزي) هناك استفهامات خاصة بالضمائر، كتلك التي تأتي جواباً نقيضاً لإثبات حقيقي أو مُفترض. من طرف آخر، الموقع هو الأكثر مُلاءمةً ؛ مثال ألماني *sie liebt ihn nicht* [هي لا تُحبُّه] / *sie liebt nicht ihn, sondern Peter* [ليس هو من تُحِبُّ، بل بيتر].

(25) في بعض الألسن (مثل الفنلندي)، يتصّرف هو ذاته كفعل (وهو أحد مصادره، علاوة على الاسم [انظر الفرنسي *pas* = للنفي]).



الألسُن التي يُلصق فيها النفي بالفعل أو يكون الفعل فيها ختامياً.

النفي والإثبات

يمكننا أن نتوقع أنّ وحدةً معقّدة إلى هذه الدرجة ليس لها مع الإثبات أيّ علاقة متبادلة. بين هذا وذاك، هناك في الواقع:

تحييد أو إعادة تنظيم لتقابلات الوقت في 42% من الألسُن: في السواحيلي (تنزانيا) مثلاً، مُفعِّلات الإثبات الستة تعادِلها أربع صيغ منفية؛

(على النقيض) عدم تناظر صِيَغيّ: ولمقابلة الإثبات الوحيد، يمكن للسانٍ ما أن يكون فيه نفيان أو أكثر، من بينها واحد يطال إحدى تلك الحالات الخاصة بالهيئة، وهي أسلوبٌ (modalité): القدرة (مثل الجورجي *ver*، لنفي المُمكن/ *ar*، لنفي غير الهيئي)، الإرادة، الوجوب؛ كما يمكن للنفي أن يتطلب صيغة محدّدة: في البالو (ميكرونيزيا)، يكون الفعلُ المنفيُّ في صيغة المنصوب. أمّا بالنسبة إلى أشكال النفي المركّب كما في الفرنسي *ne ... plus* [لم يَعُدْ ...]، *ne ... pas encore* [لم ... بَعْدُ]، فلا نجد ما يناظرها بدقّة في الإيجاب، ومكافئاتها في العديد من الألسُن عبارةٌ عن بنى غير مشتقة مباشرة من الأقوال المُثبتة؛

عدم التناظر القطبي: لا يوجد مُطابق إيجابيّ للصياغات التعبيرية ذات القطبية السلبية، مثل الفرنسي *il n'a pas levé le petit doigt* [لم يرفع إصبعَه الصغير]=[لم يُحرِّك ساكِناً]، أو مع نفي ما



دقّ وصَغُر l'infime scalaire، التركيب *il ne fait pas le moindre effort* [لا يبذل أدنى جهد]، بما فيها استخدامها السلبي ضمنيّاً، مثلاً بعد *si* [إذا]، أفعال الشك *je doute qu'il change d'un iota* [أنا أشكّ أن يتغيّر قيدَ أنملة]... إلخ، أو في الأسئلة؛

عدم تناظر الائتلافات: في الألسُن، للنفي علاقات صيغية ودلالية مع الإثبات، أقلّ بكثير مما لديه مع الاستفهام (مثال الفيتنامي *không* [="هل" و"لا"]، الإنجليزي *do* [هل]؛

عدم التماثل في العمل: مثل الفرنسي *j'ai un livre* [عندي كتابٌ] ولكن نقول: *je n'ai pas de livre* [ما عندي كتابٌ]؛ ومنه أيضاً، المفعول به النكرة لفعل منفيٍّ يكون مسبوقاً بأداة التبعيض في الفنلندي والباسكي؛ في الليتواني والبولوني، سواء أكان معرّفاً أم لا، فهو في صيغة السّلب؛

تنويعات تراتبية: في 27% من الألسُن، بما فيها اللاتيني، الإغريقي، الأمهري (إثيوبيا)، يأخذ النفي شكلاً خاصاً في التوابع (الإيعازية بل وحتى في التقريرية)؛ بعد أفعال تحمل معنى التعويذ (مثل الخشية) وفي المقارنات، نجد أحياناً آثاراً للسلبية المخصصة للشيء المخشيّ منه أو في الدرجة المتنازع عليها: مثل *on a peur qu'il ne meure* [نخشى من أن يموت] (البنيةُ نفسُها في الجورجي)، *c'est plus qu'il n'en faut* [هذا أكثر مِمّا يجب]؛

عدم تناظر التلاحم: لا يمكننا دائماً، باستخدام ضمير إحالي، أن نستأنف بالإيجاب جملةً منفيةً، كما نفعله في الفرنسي *elle n'a*



هي لم تتكلم مع] *pas parlé à Luc, qui l'aurait bien voulu*
لوك، الذي كان يرغب به تماماً]؛

خُلاصة: تُظهر كلّ تلك الوقائع أنّ النفي ليس الوجهَ المنفيَّ للإثبات، بل هو صياغة أصليّة. مع ذاك، ومن حيث التطبيق، فإنّنا ننفي بالنسبة إلى الإيجابي. ولنفصّل في هذه النقطة الآن.

الوزن التخاطبي للنفي

نلاحظ أن اللسان المحكيّ يُكرِّر غالباً النفي: مثل الإنجليزي *I don't know no one* [لا أعرف ولا أحد]=[لا أعرف أحداً] (حالة مختلفة عن تلك، على النقيض، التي يُحيِّد نفيان فيها بعضهما بعضاً، مثل *pas inconnu* [ليس غير معروف]=[غير مجهول]، أو *il n'y en a aucun qui ne dorme pas* [ليس هناك منهم مَن لم يَنَمْ]). علاوة على ذلك، في 17% من الألسُن (في الأغلب فا ف مف مثل الغواراني [فيه مف=اسم] أو الفرنسي، ولكن أحياناً فا مف ف [مثل البيرماني])، النفيُ مُتقطِّعٌ. وليس من الواضح دائماً أنّ جُزأيه لا يشكلان عندها إلا وحدةً واحدة من أجل المعنى (انظر الموري [فولتا العُليا]، الأفريقانية afrikaans، بل وحتى الفرنسي، حيث *je ne sais* [لا أعرف] [أدبي] بالنسبة إلى بعضهم، أقلّ سلبيةً من *je ne sais pas* [لا أعرف]). وخاصةً، تاريخيّاً، الحاجةُ إلى إبراز النفي هي التي أنتجت، حول الفعل، عنصرين، مثلاً في الفرنسي *ne* + *pas*، أي نفي ما دقَّ وصغُر (="لا حتى ولا")، والـ *ne* رَخْوٌ يسقط في المحكي (*je sais pas*) [لا أعرفُ]، بانتظار، ربّما، أن تبدأ الدورة



من جديد إذا وجب في يومٍ من الأيام أن لا تعودَ *pas*، مسموعةً بما فيه الكفاية، على الرغم من أنها منبورة.

ولأن المستمع يجب أن يفهم أنّنا ننفي، ومن هنا جاء التوازي بين الوزنين الصوتي والدلالي[26]، وجب أن يكون النفي باعتدال (مثل *ne ... guère* [لا يكاد ...])، أو بشدّة: مثل الفرنسي *ne ... pas du tout* [لا ... البتّةَ]، *ne ... absolument pas* [لا ... أبداً مُطلقاً]، والصيني *bing bù* تعني غالباً "على النقيض مما تقول أو تعتقد"، والتغليظ الصوتي بزيادة عدد المقاطع يتطابقُ مع الرفض أو الاعتراض الجدليّ. في حين أنّ التقرير يُعلِم، النفيُ يُصحِّح. إنه يقوم بوظيفة تخاطبية مهمة؛ إنه إذن مُحمّل أكثر بالافتراضات، وأكثر تعقيداً نفسيّاً وأكثر وَسماً في صرفه[27] وكذلك في نحوه.

الائتلاف السكوني للنّفي

تظهر هذه السمة بسببِ أنّ النفي غالباً (مثل ألسن الهند) ما يكون

(26) نادرةٌ هي الحالات المضادة، مثل حالة الكويا (الهند)، حيث يُعبّر عن نفي "استطاع" بوساطة غياب علامة الصيغة: نوع من النفي الأيقوني (رمزية عدم القضية بوساطة النضوب الصوتي الذي يطال الإشارة إلى نطاق صِيَغيّ يمكن توظيفه فيه؟).

(27) تُبيّن البنى الداخلية للمشتقّات، مثل بنية القول، أنه تجبُ سِمات للحديث عما لا يكونه الشيء أكثر من تلك التي تجب للحديث عمّا يكونه. علاوة على ذلك، هناك نوع من التصور التراتبي للقيم يقوم داخل الألسن: الاشتقاق التضادي بإضافة لاصقة سلبية إلى كلمة نعملها نفسيّاً على أنها "إيجابية" شائعٌ (مثل الفرنسي amical/ inamical [ودّي/ غير ودّي])، إلا أنّ النقيض، الذي قد يُفضي في الفرنسي مثلاً إلى laid /inlaid [قبيح/ غير قبيح]، نادر (البوجيس [السيليبس] /"petit" ?baiccu [صغير/ ة؟-[غير- صغير=] كبير]) te?-baiccu:? "[non-petit=] grand.



ناتجاً عن فعل "لا يكون" في الغاليبي [غويانا]، حتى إنّ "لا يفعل كذا" يُقال: "يكون غير فاعل كذا")، ويُتناولُ أحياناً (مثال النيونغوبويو [أستراليا] كأنه ماضٍ غير دقيق، ويُشبَّه، لأنّ الزمن قد عفا عليه، بالسكونيّ. بالنسبة إلى هذا الأخير، يقابل حيوية الزمن: من حيث العلامات اللسانية، إنّ ما لا يكون يبسطُ بشكل متجانس عدم كونه، في حين أنّ ما يكون يجب عليه أن يتشبّث بنقاط علام. كما ويظهر الائتلاف السكوني أيضاً، في مسألة آنّه في نصٍّ ما من لسانٍ ما، تكون الأفعال المنفيّة في الأعمّ الأغلب أفعالَ حالةٍ لا أفعال حدث. بل إنّ نفي قضيةٍ قد بدأت، يشيرُ، أحياناً، إلى عطالة مفعول سببي (يمكن للهندي القول "*je l'ai fait bouger mais il n'a pas bougé*" [أنا حرّكته لكنه لم يتحرّك] أو عدم التحصيل (مثل الروسي *sneg tajal, tajal, no ne rastajal* "la neige fondait, fondait [imperfectif], mais n'a pas fondu [perfectif]" [الثلج كان يذوب، كان يذوب [غير مُكتمل]، لكنه لم يَذُبْ [مُكتمِل]]؛ بنية مُشابهة ماضٍ مُستمر/ ماضٍ مُطلَق في الجورجي)، أو عدم القدرة (مثل الصيني *jì-bù-zhù* [تذكّر-نفي-بقي]=[عدم القدرة على التذكّر]).

4.3 المعامِلات القولية

التقرير، الاستفهام، الإيعاز

يمكننا التوكيد (أو النفي)، لكن يمكننا أيضاً الاستعلام أو الإيعاز. في هاتين الحالتين الأخيرتين، الترقّبُ الأكثرُ دقّةً من نتيجةٍ، يعزِّز العلاقة مع المُستمِع. آثار موقف المُتحدِّث في القول، والتي تُتناول عادةً مع "الهيئة" أو "الظرف" أو مع النفي، يمكن تصنيفها مع



المُفعِّلات، لأنها مُلصَقةٌ بالفعل في كثيرٍ من الألسُن. إلا أنّ حقلها أوسعُ: إنه القول.

العلامات

أوّلُها، كونيّاً، التنغيمُ، إلا أنّ أغلب الألسُن تقرن آثاره مع آثار الصُّريفات الخاصة، المنسية غالباً في القواعد، بل وحتى في النظريات، بسبب علاقتها مع سياق واسع ومع التعبيرية، نقطتان مُهمَلتان. هذه الصُّريفات متنوعة جِداً. التقريرية، هي إمّا إجبارية، في نهاية القول (مثل الموري [فولتا العُليا]، البيرماني، الكوري) أو في البداية (مثل الغاسكوني *que*)، وإمّا مرتبطة بحالات الإلحاح (انظر مثلاً الفرنسي *n'est-ce-pas?* [أليس كذلك؟]). الشّكُّ، ونِسبةُ المُتحدِّثِ غيرِ الشّاهد قولاً للآخرين (صيغة غير الحضوري[28] -non testimonial) موسومان بلواصق (مثل الكيشوا، التركي)، بأدوات ربط (conjonction) (الرواندي، التيلوغو [الهند])، بالتصريف الفعلي (مثل الجورجي، البلغاري، الألباني). جُمعت هذه العلامات أدناه تحت مُسمّى الإحاليات الوسيطة (médiaphorique). هناك علامات متنوعة بشكل كبير أيضاً للدلالة على المفاجأة، السّخط، التثمين (له تصريف خاص في الألباني)، التعاطف (مثل البيرماني)،

(28) يلفُّ هذا المصطلح شيء من الخلط: نقولُ غالباً، على النقيض تماماً، "حضوري" بدل "غير حضوري"، نُريد بذلك أنّ المخاطِب يتحدّث نقلاً عن شهادةٍ أخرى، وليس مباشرةً.



التحسّر، التمنّي (ضمائر شخصية خاصة في الهوايلو [كاليدونيا الجديدة])[29].

يمكن للاستفهام أن يكون شاملاً: تنغيم، لوحده أو مترافق مع:

- صُريفات (الفرنسي *est-ce que* [هل]، الصيني *mă*) حُرّة، مُلصقة أو مُدمجة بالفعل و/ أو الفاعل؛
- تنويع في الترتيب؛
- الفصل السلبي "س (أو) غير (س)؟"؛
- الجمع بين هذه القضايا؛
- هذا أو ذاك، وَفق المعنى والجواب المُرتَقب (مثل الصيني).

العلامات الأخرى، المسمّاة علامات الاستفهام الجزئي (مثل الفرنسي *qui?* [مَنْ؟]، *où?* [أينَ؟]، *pourquoi?* [لماذا])، ليست مُفعِّلات، بل خليط غير متجانس: أسماء، ضمائر، مُسمِّيات، بل وأفعال ("être quoi?" [يكون ماذا؟] في الكوموكس [كولومبيا البريطانية]).

علامات الإيعاز والحَظر كثيرة. وفي الكثير من الألسُن تتنوع بَدْءاً من الدعوة وصولاً إلى الأمر الحادّ.

(29) يمكنها أن تكون غنيةً بالدلالات الضمنية، مثل *yo* الياباني الذي، مع تقريره يوحي بدرجة الألفة وبصنف العلاقة بين الجنسين.



بعض أنواع التقرير قريبة من التوجيهات أو من الأسئلة. وعلى النقيض، يمكن للاستفهام أن يساويَ إثباتاً (مثل *un bébé sait-il parler?* [طفلٌ هل يعرف أن يتكلم؟]. وعليه، فالفاصلُ بين الأصناف الثلاثة مَرِنٌ. وعلى صعيد المحكيّ، المعامِلاتُ القولية، المُنوّعة بمهارة غالباً (مثل التشيكي، السويدي، اللابون (lapon))، تضمن في الوقت نفسه لُحمة الخطاب ومسافةً يريدها المُخاطِب الذي يُنتجه، ومُهلةً تعبيرية (répit expressif) للمُخاطِب.

5.3 الأفعال الوِجهيّة، التوجيهية، الإحالية الوسيطة، علامات الوضع

هذه الأصناف الأربعة من العناصر اللسانية، الضرورية بسبب القدر الذي تسهم به في بناء المعنى، تظهر بشكل مختلف حَسب الألسُن: في بعضها، تكون مُفعِّلات، أي صُريفات مُلصقة بالفعل وتساهم في معنى التركيب الفعلي، وفي أخرى، تكون وحدات معجمية، لا تمت دراستُها إلى القواعد بصلة مباشرة.

تَسِمُ الأفعالُ الوِجهيّة إمّا الرغبة ("أراد")، وإمّا الاعتزام ("حاول")، وإمّا الإمكانية ("استطاعَ من القدرة و/أو من الاحتمال")؛

وتشير التوجيهية إلى أنّ القضية التي يشير إليها الفعل تتحقّقُ، حقيقةً أو مجازاً، نحو الأعلى أو نحو الأسفل، نحو الداخل أو نحو الخارج، أو الذات أو غير الذات... إلخ: إنها تحديداً مِمّا تختصّ به ألسن البانتو، المايا، الغينية الجديدة، القوقازية الشمالية الغربية؛



الإحالية الوسيطة (انظر: Hagège, 1995) تبرز أنّ المُتحدِّث لا يأخذ على عاتقه مسؤولية ما يقوله، ويعزوه إلى مصدر آخر: وهي من أنماط التركي، ومن الإعراب الفعلي البلغاري، ومن الجورجي، ومن ألسن هندَميركية عديدة، وأسترالية... إلخ؛

علامات الوضع هي تلك التي تشير إلى أنّ القضية التي يومِئ إليها الفعل غيرُ حقيقية (ضرورية، مُحتَمَلة... إلخ) أو، على النقيض، حقيقة.

ثالثاً: الـ"ظروف"

لم تُعرَض مع المُفعِّلات على الرغم من اسمها[30]، ذلك أنّ جزءاً منها فقط له علاقة بالفعل. تُسمّى "ظروفاً" في قواعد الألسُن الغربية التقليدية، مجموعة من الوحدات المعجمية غير المتجانسة: تتمّات ظرفية (مثل *où?* [أين؟]، *hier* [البارحةَ]، *mal* [بشكل سيّء])، مُحدِّدات الصِّفات أو الظروف الأخرى (مثل *très beau* [جميل جِداً]، *assez tôt* [باكراً كفايةً])، العوامل في الأسماء (مثل *même Jean dort* [حتى جون ينام])، معمولات الروابط (مثل *dès demain* [منذ الغد])، المعامِلات القولية (مثل *peut-être* [رُبّما])، المُوصِلات بين الأقوال (مثل *en effet* [في الحقيقة]). لا يمكن لأي معيار أن يجمعها: عدم تواترها بشكل مُتجاور تنقُضُه حالات مثل *plus loin* [أبعد من ذلك]؛ حرية الموضع متنوعة جداً

(30) في إشارةٍ إلى احتواء الكلمة مقطعين ad – verbe أحدهما verbe الذي يوهم بشبهه بالفعل (المُترجِم).



في الفرنسي، وتخضع في الصيني إلى القيود نفسها التي تخضع لها أصناف الكلمات الأخرى؛ دور الظروف (والذي يدفع حتى في التقليد النحوي الإنجليزي إلى الحديث عن "الوظيفة الظرفية") لا يطال العناصر مثل *aussi* [أيضاً] أو *presque* [تقريباً]، التي تُعامل كظروف، في حين أنها تشكّل، نظراً إلى خصائصها، فئة خاصة من المُبدِّلات (modificateur). لا تكفي إضافة "فعليّ" و"جُمَليّ" إلى الـ"ظرف" لوصف التقابل بين بعض المُحدِّدات والمعامِلات القولية (وفوق ذلك، يمكن لهذه الأخيرة أن تعمل كمُسنَد في كثير من الألسُن (مثل السامية[31]، الهندَمْريكية، بل وحتى الفرنسي: مثل *peut-être qu'il est ici* [رُبّما هو يكون هنا]، أو *Apparemment que Monsieur ne croit pas au péché originel* [يبدو أنّ السيد لا يعتقدُ بالخطيئة الكُبرى] [فولتير، كانديد]). هناك، بلا ريب، تجميعات صِيَغ. إلا أنّ "الظروف المنتهية بـ-*ment*" في الفرنسي، مثلاً، ليست كُلاً مُتجانِساً: بعضها تعمل فيه الروابط والمبدلات (وليس الكل) كما تعمل في "ظروف" أخرى (مثل *trop lentement* [ببطء شديد]، *jusqu'ici* [حتى هنا]، *plutôt tard* [متأخراً بالأحرى]، لكن ليس *d'ici prochainement* [من هنا قريباً]، أو *dès doucement* [مُنذ بلطفٍ] أو *peu récemment* [قليلاً مؤخَّراً])؛ ولمقابلاتها في الألسُن الاخرى غالباً سمات مختلفة نوعاً ما، وخاصة فيما يخص

(31) في الحالات الأخيرة هذه، في الغالب يقوم عاطف "و" بربط "الظرف الجُملي" بالقول، جاعِلاً بذلك هذا الظرف الجملي يعمل لوحده هو كـ(مُسنَد) لقول.



المُعرِّفات التعبيرية المُسمّاة "الأصوات التصويرية" والتي لا يرتبط أحدها إلا مع فعل واحد من المعجم (الألسُن الأفريقية).

"الظروف"، التي تُدرك بَدَهياً ككلماتٍ مستقلة نوعاً ما في مُقابل كلمات الكلام الأخرى، ليست كونية. ويتباين عددها تبايناً كبيراً، فمن الهوسا (نيجيريا)، الذي يحوي ظرفاً لقول "منذ أربعة أيام"، وصولاً إلى الإيفيك (نيجيريا)، الذي لا يملك إلا بعضها، وهي مرتبطة شكلياً بالمؤشِّرات. البالو (ميكرونيزيا) ليس فيه "ظروف": فبالنسبة إلى "مزيداً"، "مُسبقاً"، "أيضاً"، "بالكاد"، "معاً"، "دائماً"، هناك أفعال كما هو الحال في العديد من الألسُن الهندميركية أو الإفريقية...إلخ؛ وبالنسبة إلى "البارحةَ" و"هنا"، هناك "في اليوم الماضي" و"في هذا المكان". حتى في الفرنسي، فالتعادل بين *maintenant* [الآن] و*en ce moment-ci* [في هذه اللحظة] وبين *ainsi* [هكذا] و*de cette manière* [بهذه الطريقة] يُبيّن العلاقة بين جُزء من الظروف وأحد أعضاء التقابل الفعلي-الاسمي، وهو الاسم، والذي لا تكوْنُ منه إلا صيغة مختصة كمفعول فيه، وفضلاً عن ذلك، يمكن استخدامها في السياق نفسه كاسم (مثل *les gens d'ici* [الناس الذين من هنا])؛ كما نلحظُ أيضاً أنّ بعض الظروف تكون من الفعل كما تكون الصفة من الاسم، مع وجود تطابقات في الصيغة (مثل *il crie fort* [يصرخُ بقوّة]). وعليه، ليس فقط أنّ "الظروف" ليست من السِّمات المُعرّفة للألسن، ولكن، وعلاوة على ذلك، للـ"ظروف الحقيقية" (ومن بينها الظروف الزمانية-المكانية وظروف الطريقة) علاقات مثل علاقاتها



بالأسماء وبالأفعال وبالصِّفات، والتي تُبيّن تماماً ظاهرة الا...ا
السُّلّميّ (dérive scalaire).

رابعاً- الأرقام

1. أصالتها

هذه الوحدات المعجمية متجانسة دلاليّاً، لأنها تُترجِمُ الما
في اللسان، وهو نشاط إنسانيّ مهم (ومن هنا تأتي غرابة إهمالها
في تصنيفات الأولين). إلا أنّها، وظيفيّاً، غير متجانسة، حالها حال
أدوات الاستفهام و"الظروف": مُسنَدَاتٌ (مثل الألسُن الهندميرية)،
فواعل أو تتمّاتُ ضمائر (مثل الإنجليزي *one hundred* [مئة]،
الفرنسي *deux* [اثنان] في مثل *deux sont perdus* [اثنان ضائعان])،
أو مُسمّيات (مثل الفرنسي *les six chats* [القطط الستّ]، الولوف
(السينيغال) *nar-i-nag* [اثنان-من-بقرة]=[بقرتان])، وأحياناً،
بصيغة مختلفة عن صيغة العدّ المنفرد، وغالباً (مثل الروسي
والعربي)، عن الحقائق المعقّدة للمطابقة بين العدد والاسم المعدود
(يميل المُفرد، في حال التنوّع المشروط، إلى أن يكون أكثر تواتراً
مع الأعداد الكبرى [مثلما هو الحال مع الأسماء النكرات وأسماء
الجماد]).

2. أصناف الجَرد

بعض الألسُن (مثل الوالبيري [أستراليا]) كان فيها، قبل
الاحتكاك بالثقافات الأخرى، في المجمل، مفردٌ ومثنى ومثلثٌ (tri-
el) وجمع القلّة (paucal) (والتي تُرجمت بـ 1 و2 و3) و"كثير" على



التوالي، أو كان فيها فقط 1 (الشكيتو (chiquito) [بوليفيا] حسب ما نقله التّبشيريّون) أو 1 و2 (البوتوكِودو (botocudo) [البرازيل])[32].
إلّا أنّ الألسُن التي فيها وحدات ثابتة على الأقل من 1 إلى 20 أو 30 وتلك التي تعبّر عن الأعداد من 1 إلى عددٍ من المئات أو 1000 أكثر بكثير من تلك التي تقترض بدْءاً من 4 أو 5.

3. أُسس التّعداد

إنّها الأعداد التي نعدُّ الأشياءَ الأخرى من خلالها[33]. وفيما عدا الحالات النادرة (السورا (sora) [الهند]، مع 12 و20، الكواهويلتيك (coahuiltec) [المكسيك]، ذات الأسس 3 و20)، فكل ما هو كبير يقبل القسمة على ما هو صغير، كما هو الحال في الفرنسي مع 10، 100، 1000... إلخ. بل وقد تكون أسماؤها مُشتقّةً صرفيّاً منها (مثل الكوتيناي (kutenai) [ألبيرتا]، أو تكون تركيباً مبنيّاً على اسم وحدةٍ أصغر (مثل الهوتينتوت (hottentot)، حيث يقال عن الـ 100، 10 "كبيرة"). وفيما عدا حالات الجرد المنخفض (أستراليا، تاسمانيا، جُزُر الأندمان: الكثير من الجرود من 1 إلى 6 وفق قاعدة 2؛ غينيا الجديدة: من 1 إلى 30 وفق قاعدة 5)، تستخدم الألسُن بشكل

(32) ذكره غرينبيرغ في (Greenberg-Ferguson-Moravcsik)، وذكر وقائع أخرى تمر بنا لاحقاً.

(33) يتعلق الأمر هنا بالمعنى اللساني لهذا المصطلح، وليس باستخدامه لوصف تعداد الرتبة، والذي يأتي تعقيده، في الثقافات التي تستخدمه، من ارتباطه بالكتابة.



عام غيرما قاعدة حَسب أهمّية العدد (الأرقام المنفردة تتبع في كلِّ مكان المنظومة نفسها التي تتبعها الأعداد في السياق). الفرنسي في فرنسا مبني على قاعدة عشريّة، ولكن بين 71 و99، يُضيف، إلى 60 ثمّ إلى ما يقرب من عشر قواعد 20 (*quatre-vingts*) [أربعة عشرينات]=[ثمانون]، 19-11 و19-1. الهاواوي، وقبل الاحتكاك بالإنجليزي، كان يستخدم توليفة من قواعد 10، 40، 400، 4000؛ الأكادي كان يستخدم السوس (60) كقاعدة للأعداد الكبيرة؛ من 40 إلى 2000، الإيوي (التوغو) فيه مضاعفات من 40: مثلاً 197 (*kà* =× *ádrɛ̂* (+) *tákpó-ci-wé* (+) *nɛ̀*) [40 [×] 4 [+] 20 -و- 10 [+] 7]؛ ألسن المايا (أميركا الوسطى) لديها قاعدة من 20 إلى 40، ثُمّ مصطلحات بدائية لكل عشرين جديدة؛ الإيفيك (نيجيريا) فيه من 1 إلى 100 القواعد 5، 10، 15، 20، 40، 80، أي في الوقت نفسه قاعدة خماسية (5) وقاعدة عشرينية (20)، كلتاهما قديمة ومرتبطة بالعدّ الإشاري باستخدام الأصابع: ألسن الكاريبي تستخدم اسم القَدَم، وألسن كاليدونيا الجديدة تستخدم "إنسان" (أيدٍ+أرجُل) للدلالة على "عشرين"، والقاعدة هي 5 أو 10 من 6 إلى 9 في الخمير، البول (غرب أفريقيا)، الامبوم (الكاميرون)، حيث يُقال "نقص أصابع" 1/ 2/ 3 (بالنسبة إلى 10) للأعداد 9/ 8/ 7؛ القاعدة 20 تظهر في الدانماركي، الباسكي، الميكستك (mixtec) (المكسيك) (حيث لدينا علاوة على ذلك قاعدة 15 من 16 إلى 19)، الآينو (اليابان) (انظر: Hurford).



4. العمليات

تزداد بازدياد الأعداد، و يُعَدّ البورت إيسّينغتون (Port-Essington) (تسمانيا)، الذي يضم الجرد 1، 2، 1+2، 4، استثناءً.

1.4 الجمع

عوامله هي المحاذاةُ (مثل سبع عشرة)، حرفُ العطف (مثل واحد وعشون)، الرابطُ (لاحق الرتبة (مثل البداوي (bedauye) [إثيوبيا]، اللوغبارا (logbara) [السودان]) أو سابق الرتبة "على" (مثل الروسي، الروماني، الليتوني، الألباني)، "مع" (مثال الشول (chol) [المكسيك]... إلخ)، أو مصطلحٌ خاصٌّ يعني "أبعد من ذلك" (التاراهومارا (tarahumara) (المكسيك)، "بالإضافة إلى" (التوبي (tupi) [البرازيل]) أو "مالِك" (مثل الكيشوا [البيرو] *čunka-ukni-yoq*[1 01–مالك] "11". غياب الترتيب موسومٌ أحياناً: مثل الصيني *sì-bái-ling-jiú* (100–4–صِفر [= "فراغ"]–9) 409.

2.4 الطّرح

يتضمن وجودُه دائماً وجودَ الجمع، الذي هو عملية "أسهل" من تلك العملية التراجعية. ولا يمكن للنتيجة أن تكون أدنى من العدد المطروح. والعدد المطروح منه قاعدةٌ هو أو أحد مضاعفاته. ويمكن للمُعامِل أن يكون رابِطاً "(بعيداً) عن" أو بشكل أكثر نُدرة (مثل الصومالي)، "من دون". تستخدم بعض الألسُن الطرحَ بشكل واسعٍ مثل اليوروبا (نيجيريا)، حيثُ، بناءً على قاعدة 20، الـ 45 يُقال "5– من (10– من [20×3])". من النادر أن تُجتَزأَ الكسور (الناتجة



بدورها من عملية أكثر نُدرةً وهي التقسيم)، كما هو الحال في الأوريا (oriya) (الهند)، حيث 275 تُقالُ 4/ 1 الـ 100) بعيداً عن 3×100.

3.4 الامتداد

نقترح هذا الاسم هنا للعملية التي تشير إلى عدد من خلال اتّجاهه إلى حدٍّ ما: في الفوكول (vogoul) (سيبيريا الوسطى)، على قاعدة 20 الـ 23 يقال "3 باتجاه 30"؛ وفي بعض ألسن المايا (أميركا الوسطى)، لدينا للـ 41 مثلاً "20-3-1"، أي الأول من العشرين الثالثة.

4.4 الضرب

يفترض وجودُه عموماً وجودَ الجمعِ (باستثناء ألسن اليوما (yuma) [كاليفورنيا]). في الغالب، يُعبّر عنه بترتيب ملائم: في الفرنسي *trois cents* [ثلاث مئة] يقابل *cent trois* [مئة وثلاثة]؛ في الصيني *wŭ-shí* (10−5)=50، لكن *shí-wŭ* = 15. والأكثر نُدرَةً هو وجود التنويعات العروضية.

5.4 الأرقم، وحدات لسانية

يَظهرُ استقلالُها مقارنة بالمرجع الحسابي من خلال وجود أعداد تقريبية (مثال فرنسي *une quinzaine* [ما يقرب من خمس عشرة])، ومن خلال "الأخطاء" المتكررة في أثناء الحساب: الإنجليزي البريطاني *billion* [مليار]، فعلى الرغم من السابقة التي فيه، فإنه يعني 31000 (في الفرنسي *trillion* [مليار])؛ في البانتو، 6 هي في الغالب "3+5"؛ هذه الفروق ما هي إلا الأثر الباقي في



اللسان من الوقائع الثقافية. ويظهر الدمج اللساني للأعداد في أنها تشكّل قاعدة اشتقاق، إمّا للترتيب (مثل 10 ← عاشر)، أو التوزيع، أو التجزيء، أو أسماء المقاييس، وإمّا فيما بينها (مثال خمسة ← خمسون؛ في العربي، العشرات من 30 إلى 90 هي جموع الوحدات). وهذه الوقائع تُظهِر صلات القربى بين الأعداد وبين الجمع والمثنى والمُثلّث، إلخ، وكذلك القربى مع بعض المُسمِّيات، مثل المُصنِّفات. ومثلما هو حال المُصنِّفات، فإنّ الأعداد، ولكن بطريقة أكثر تعقيداً، تعكس فيما تعكسه الممارسة اليومية والطريقة التي تتعامل بها كل ثقافة مع الأشياء القابلة للعدّ.

خامِساً: الانحراف السُّلّميّ للفئات

أظهرت الدراسةُ السابقة، من خلال

- خصائص الأسماء الفعلية؛
- سلوك الصِّفات والـ"ظروف" وعلاقاتها المتبادلة؛
- الاستتباع بين المُفعِّلات والمُسمّيات، والتي هي نفسها في جزءٍ منها من أصل فعليّ (مُساعِدات، علامات الهيئة) أو أصلٍ اسميّ (مثل المُصنِّفات)،

أنّ التقابل الفعلي-الاسمي أمرٌ دائمٌ.

من الأجدر إذن أن نعيد النظر في النظريات، القديم منها والحديث، التي تفرِض فئات مُنفصلة وسمات ثنائية، ونستبدل بها نظرةً سُلّمية: من الاسم إلى الفعل مروراً بالعناصر الأخرى، هناك انحراف على سُلّم مَسلكٍ غامض.



الفصل الرابع

الشخص والمُجتمع واللسان

إنّ تنظيم عناصر القول لا يزوّدنا بكل ما يتعلق ببنية الألسُن، فجزء كبير من هذه الأخيرة مرتبط بشخص القول الآدمي وبالمجتمع الذي يشكل جزءاً منه.

أولاً: الشّخص في اللسان

1. "أنا" وأخواتها

1.1 العلاقة بين الأشخاص

نظرية الـ"غير-شخص"

في النحو التقليدي، نُجمِّع في صميم الأمثلة (paradigme) الوحداتِ التي تعني، في كلِّ لسان، "أنا"، "أنت" و"هو"؛ حتى إنّ "هو" يذكره النحاةُ العبريون والهنود القدامى، قبل غيره على أنّه الشخص الأول. الإغريقي دونيس دو تراس (Denys de Thra- ce) (ق2-ق1 قبل المسيح) لم يقُم إلا بعكس الآية في حديثه عن



"أشخاص ثلاثة، الأول، ينطلق الخطاب منه، الثاني، يوجّه الخطاب إليه، والثالث، موضوع الخطاب" (Teknê, 13). لقد انتُقِد هذا التراث في الكثير من الأعمال وخاصة في مقال يذكر ألسن فيها الشخص الثالث، الـ"غائب" عند النحويين العرب، يكون إمّا صِفراً، أو موسوماً بصيغ غير قياسية؛ ويفرض ترابطين: ترابط الشخصية: أشخاص "أنا، أنت"/ غير-شخص "هو"، وترابط الذاتية: "أنا"/ "أنت". هناك العديد من الوقائع التي تؤكد هذه الفرضية:

- علاقةُ القلب (inversion) (ما عدا إبدال (substitution) التلاعب) بين "أنا"، إشارة المتحدّث إلى نفسه هو، و"أنت"، الاسم الذي يعطيه للمُستمِع، والذي بدوره سيشير إلى نفسه بـ"أنا" ويجيبه بـ"أنت"؛ لكن لا يمكن تسمية "هو" بـ"أنا" إلا إذا ذكرنا خطابه، ويمكن لـ"هو" الإحالة إلى أيّ شيء (هناك حالة قصوى، "هم" في السييرا بوبولوكا (sierra popoluka) (المكسيك) فيه علامة جمع الجماد (inanimé)، حتى بالنسبة إلى الناس)؛

- استخدامُ الغائب، في الألسُن ذات اللواصق الشخصية، عندما لا يكون هناك مُشترِكون (وهي بنية تسمى بالتحديد غير شخصية (impersonnelle))؛

- ليس للغائب صيغة خاصة به إلا في 24% من الألسُن (مثل الجرمانية، السلافية)؛ في 76% يتعلق الأمر، حقيقةً، بالمُصنِّفات (classificateur)، بالعائديات (مثل اللاتيني، الألسُن الألتائية (altaïques)) أو بالمؤشِّرات (مثل المرحلة الرومانية من الألسُن



اللاتينية الجديدة، أو الأليوتي (aléoute) (جُزر بحر البيرنغ)، والتي تملك ما ينيف على العشرين مصطلحاً وفق الموقع بالنسبة إلى الذات)؛

– الاختلافات الشائعة، في الألسُن المتقاربة التي تضم كلمات من جذر واحد للدلالة على "أنا" وكذلك بالنسبة إلى "أنت"، بين المعادِلات المختلفة لـ"هو"؛

– يستخدم "أنت" غالباً لمجموعة غامضة، أي بمعنى عدم التحديد "on" [أنا/ نحن]، والموثّق، بجانب "هو"، في 12% من الألسُن (مثل التوبوري [تشاد]، الغيلياك [سيبيريا الشرقية]، الفرنسي، حيث نجد علاوة على ما ذُكر مختزلاً للشخصية (réducteur de personnalité)، وهو *ça* [هذا] في مثل *ça pense trop!* [هذا يفكِّر كثيراً!]=[أنت تفكِّر كثيراً!]) . وعليه فإنّ استخدام "أنا" يبدو مرتبطاً بالمُتحدِّث وحده، وتنوّع "هو" في عدد من الألسُن يمكن شرحه بأنّ الشخص الثالث، وعلى النقيض من المشاركين في الحوار، والذين يحملون في الخطاب الأسماء "أنا" و"أنت"، له العديد من التسميات المُمكنة.

"أنا" و"أنت" و"هو"

مفهوم الشخص

هناك ألسن، مع ذلك، لا تكفي فيها أسماءُ الخطاب: "أنا" و/ أو "أنت" تميز صِيَغياً المذكر من المؤنث في السامية، الخاسي (kha-



(si (الهند)، التايلندي، الكواساتي (koasati) (لويزيانا)، البيلوكسي (biloxi) (لسان سيوكسي مُنقرض، حتى العمر فيه كان موسوماً في المتكلم والمُخاطَب)، بعض ألسن أستراليا. من جهة أخرى، على الرغم من وجود ضمائر شخصية أو تعبيرات مكافئة لها كونيّاً، فإنّ التقاليد تقيِّد غالباً الاستخدام المباشر لصيغتي المتكلم والمُخاطَب: في آسيا الشرقية، كثير من الألسُن استنبطتها من الأسماء التي تفترض تراتبيةً ما (مثل "أمير"، "سيِّد"، "عمّ" ← "أنت" [الفيتنامي]؛ "خادِم" ← "أنا")، وتفضِّل عليها عموماً، في الحوار، طرائق أخرى، كالتنغيم في الياباني، الصِّيَغ الفعلية للّباقة (المتضمنة "أنت") بل وحتى اختيار فعل التواضع نفسه (المتضمن "أنا")، وكل الطرائق التي تجعل الذات خالدة، بل حتى حين لا تقول "أنا" عادةً في الخطاب. علاوة على ذلك، يمكن لـ"أنا" و"أنت" نفسها، في الفرنسي مثلاً، أن تُحيل إلى غائبين (مثل الحوار التراسُليّ)، أو، على النقيض، عدم تعيين متخاطبين (مثل أنا التعليمية في إذا أنا قلتُ "لا"، فأنا أنفي أو أنا الأدبية، غير المتوجهة إلى أنت معيّنٍ... إلخ)، أو تُستبدَل بشيءٍ آخر: صِيَغ الاحتجاب (occultation) مثل *on, l'auteur de ces lignes* [[أنا/ هو/ نحن]، كاتبُ هذه السطور]، إلخ، نحن التي للتعظيم أو العرض العلمي، بمعنى "أنا"، أو نحن التي للألفة مثل *com- ment allons-nous?* [كيف حالُنا؟]، بمعنى "أنت". ختاماً، هناك استخدامات لـ"أنت" أو لـ"هو" تَعْدِلُ "أنا" (مثل الروسي المحكيّ) وفي بعض الألسُن، هناك عدد من "هو" اللباقة تعدِلُ "أنت". إذن، بإطلاقنا "غير-شخص" على الغائب، يبدو أنّا نقترح، خطأً، كلّ



مجموعة مرجعُها غائب وليس شخصاً. يُبيّن كلُّ ذلك، في الحقيقة، أنّ "شخص" مصطلح غامض، نحوي صرفي في أحد معانيه ودلالي مرجعيّ في المعنى الآخر. وهكذا، وانطلاقاً من وجهتي النظر هاتين، يكون الغائب مُدرجاً بشكل ممتاز: من جهةٍ، تتصرف الضمائر الشخصية، الثلاثة على حدٍّ سواء، كأسماء بالنسبة إلى التطابق)؛ ومن جهة أخرى، "شخص" تعني أيضاً إمّا "فردٌ أكيدٌ حقاً"، وإمّا "كائنٌ بشريٌّ أو غير-شيء"، وبهذا المعنى أيضاً، "هو"، على الرغم من أنه وحده الذي يكون بدلاً، كما يكون ضميراً أو إشارة في الوقت نفسه، وذلك لأنه الوحيد الذي يستطيع، مثل بعض المؤشِّرات، أن يحل محلّ الاسم، يندمج بشكل جيد، كـ"لا أنا ولا أنت" في بنية، سواء أكانت لها صيغة خاصة بالغائب أم لم تكن. بل إنّ المُتحدِّث يمكنه أن يجعل خطابه موضوعيّاً: مثل الإنجليزي العامي *I says* [أنا قالَ]، حيث تتطابق "أنا" مع الغائب (*s*-) للتأكيد على اقتباس ذاتي.

الضمير والقرينة

حتى لو التزمنا المعنى النحوي-الصرفي للـ"شخص"، فعلينا مع ذاك أن نفرّق بين الضمير، وهو صيغة (منبورة عموماً)، ذات استخدام مستقلّ، وتحمل قيمة الإلحاح وغير إجبارية، وبين القرينة، وهي صيغة (غالباً غير منبورة) إمّا مُطابِقة، جزئيّاً أو كُلّيّاً، للضمير، وإمّا مغايرة، تعرفها 43% من الألسُن، حيث ترتبط، أحياناً بالضمير نفسه (مثل ألسن الأوتو- أزتيك uto-aztèque [الولايات المتحدة والمكسيك]) أو بالاسم في الأقوال التعادلية أو الموضعيّة (مثل الكاهويلا [كليفورنيا]، الأيمارا [البيرو]، البوجيس (bugis)



[السيليبس]، الساموييد (samoyède) [سيبيريا الوسطى]، الأكادي)، لكن، في الأعمّ الأغلب، ترتبط بالفعل (الذي، مع ذلك، قد يحدث أن تتحكّم بصائتيّته (مثل الغيدار (guidar) [الكاميرون])). بيد أنّه، في حال الارتباط بالفعل، فإنّ قرينة الغائب، سواء أكانت صِفراً (أي مصطلحاً كامل الأهلية!) أو لا، تُقرن بالمركّب الفعلي، حالها حال قرائن المتكلّم أو المُخاطَب؛ وفي الألسُن التي تشكّل فيها قرينة الفاعل مع قرينة المفعول كلمةً لا يمكن تحليلُها (حالة المزج)، فإنا نجد "je le" [أنا ـهُ] أو "il te" [هو تَ] كما نجدُ "je te" [أنا تَ] أو "tu me" [أنت ي] (مثل التاوس [مكسيك الجديدة]، الغاليبي [غويانا]، الموردف (mordve) [حوض الفولكا]، ألسن الكيرانتي (kiranti) [النيبال]، اليوما [كاليفورنيا]). وعليه، فبالنسبة إلى القرائن كما بالنسبة إلى الضمائر، الغائب مندمجٌ تماماً ببنية الصيغ الدالة على الشخص.

المرجعية الذاتية: "أنا" و"أنت" كفاعلين

قرائن المتكلِّم والمُخاطَب، لكونها غير منبورة غالباً، وتكفي، مع علامة دالة على الجنس أو من دونها حسب الألسُن، للدلالة على من يتلفّظ بها، لا تأخذُ امتداداً تعريفيّاً، على النقيض من الضمائر: في الفرنسي مثلاً، نقول *toi, un homme, tu pleures?* [أنتَ، رجل، أنت تبكي؟]=[رجلٌ أنت، أتبكي؟] لكن لا نقول *je claude cours* [أنا أركُضُ كلود]. الأمثلة المضادة الوحيدة هي بعض الأقوال من الناهواتل (المكسيك) ومن الوالبيري (أستراليا)، لكن ليس *qualis artifex pereo* التي قالها نيرون نقلاً عن سويتون في Suétone, *Vies*



des douze césars, 6, 49 (وتعني حرفياً "يا للفنّان أنا أموت!")، حيثُ الامتداد وصفيٌّ وليس تعريفيّاً، ولا صياغات التعريف الذاتي خارج نطاق الحوار الموجّه للعامّة (مثال، في المأساة الإغريقية παίς Διός ἥκω [أنا قادمٌ ابن زيوس])، أو، غيابيّاً، لكلِّ عابرٍ (مثال Yollug tegin bitidim [الأمير يولوغ كاتبٌ [ذلك]]، نقشٌ على صرحٍ بالتركي القديم)، ولا الإسباني las mujeres somos asi! [النساء نكونُ هكذا!]=[هكذا نحنُ النساء!]، ذلك أنّ الجمع يُضيف إلى "أنا" شيئاً آخر، ولا الإنجليزي الأميركي you people [أنتم الناس]=[أيها الناس] أو you guys [أنتم شباب]=[يا شباب]، والتي صارت في الواقع جموعاً حقيقيةً لـ you [أنت]. هذا القيد المفروض عموماً على امتداد القرائن "أنا" و"أنت" يعود إلى خاصية كونها ذاتية الإحالة: فهما يدلان بشكل شامل على هوية المتحادثين في الخطاب ويعْدِلان الأسماء، ويتطلبان المطابقة مثلها (مثال في الفرنسي tu es belle [أنت جميلة]؛ surprise, je ris [مفاجأة، أن أضحك])؛ وليس لها إذن أن تُطوَّر، وتعمل بالضرورة كفواعل عندما يُعبِّر الفعل عن قضية ذات مُشارِك واحد. ومن هنا، وعلى الرغم من اختلافهما دلاليّاً عن قرينة الغائب، الأدنى تخصيصاً بطبيعتها، فهما قريبتان منها نحويّاً، لأنّ امتدادها عندما يكون ممكناً، فإنّها تعمل أيضاً (مع الامتداد) كفاعل.



2.1 الذات كمَرْكزٍ للإحالة

القول والمُتحدِّث–العلّام

منظومة الإحالة إلى الإنسان

هناك خاصية كبرى للأقوال اللغوية وهي أنّها ترتكِز إلى حالة القول. في الوسط، ذاك الذي يتلفّظ بها، المُتحدِّث: الذّات، سواء سُمّي صراحةً بـ"أنا" أم لا، هو النقطةُ المرجعية. هناك جدلٌ قديم حول أصلِ الضمائر الشخصية، يجسّده مصطلحُ الإحالة (déixis) (إبانة) المُطبّق على عملية تعيين المواضع في العالم: فهل هي مُشتقّة من أدوات الإشارة أم العكس؟ وحتى لو قبلنا أنّ ذاك الذي يقول "أنا" يشير، بوساطة ذاك الاسمِ، إلى المتحدِّث، فإنّ الإحاليات لا يمكن إدراكها إلا بالنسبة إلى مُنتِج الخطاب الذي يحتويها، مثلما هو الحال مع المشيرات إلى المكان والزمان. هذا الأمر واضحٌ في التطور النفسي للأطفال فرنسيّي اللسان: لا ريب أنّ أُطُرَ وجود(ي) هي التي تُدرَك أولاً؛ لكن بمجرّد اكتساب كلمة أنا، فإنها هي التي تتحكّم بتعيين المواضع لما هو غير(ي). ذلك أنّ خاصيةً فريدة من خصائص "أنا"، سواء أكانت صريحة أم لا، هي في الوقت نفسه علاقةُ القلبِ بينها وبين "أنت" وحقيقةُ أنها لا تُحيل إلى مرجعٍ ثابت، ولكنها مرتبطةٌ بفعل التحادث حيث تُلُفِّظ بها، أي بإطار ظاهراتي فريد في كل مرة. ولأنه يتحكّم بالـ"هذا–هنا–الآن" في خطابه الخاص به، يمكن أن نطلق عليه اسم **مُعامِل الإحالة إلى الأنا** (opérateur d'égo-phore) أو الإحاليّ إلى الأنا(égophorique) . لنُحدِّد بهذه اللواحق



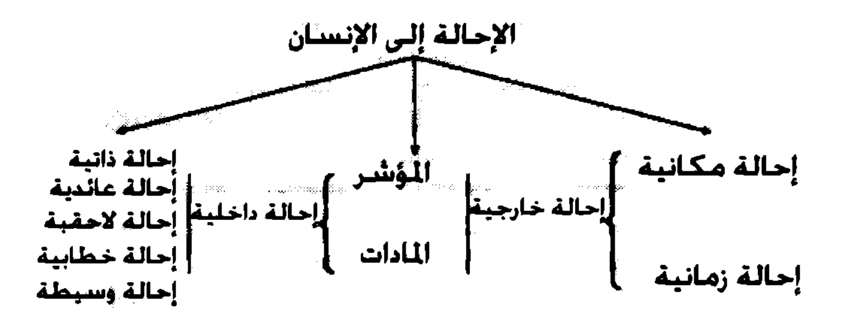
(‒phore) [إحالة إلى]، ومن هنا جاء ‒phorique [الذي يُحيل إلى]، العملياتِ التي تُرسِّخ، في القول،

- المكان (في الإغريقي *chôros*) والزمان (في الإغريقي *chrónos*)؛

- العالم الموجود خارج الذات (في الإغريقي *exô*)؛

- النّصّ الموجود في داخل خطابه (من الإغريقي *éndon*).

مما يعطينا الخُطاطة الآتية:



الشكل 6: خطاطة الإحالة إلى الإنسان

الإحالة المكانية (chorophore)، الإحالة الزمانية (chrono-phore)، الإحالة الخارجية (Exophore)، الإحالة الداخلية (En-dophore).

الإحاليات المكانية والإحاليات الزمانية

يمكن مقارنتها بعلامات الهيئة، هذه العناصر ("الظروف"



بالمصطلح التقليدي) ترسّخ القول عن حالة الذات في المكانِ (يمكن السيطرة عليه ظاهريّاً)، لكن أيضاً في الزمانِ (الذي تخضع له دائماً)، إمّا المعيشان (مثل الفرنسي *ici* [هنا]؛ *maintenant/hier/demain* [الآن/ البارحةَ/ غداً])، وإمّا المُرجآن décalé (*là* [ههنا]؛ */alors la veille/le lendemain* [عندها/ الأمس/ الغد]). البنية الثنائية "ici [هنا]"/ "là [ههنا]" (انظر أيضاً الأدنى/ الأقصى في الكوموكس [كولومبيا البريطانية]، البول [أفريقيا الغربية]... إلخ) يمكن إغناؤها بتقسيم là" [ههنا]" الخاصة بـ"غير-أنا" إلى قريب من "أنت" أو من "هو" (مثل اللاتيني *hic/istic/illic* [هنا/ هناك/ هنالك]، الإسباني، التركي)، إلى ثلاث درجات من البُعدِ (مثل الآينو [اليابان])، أو إلى مرئيّ/ غير مرئيّ، كما في الكيكويو (kikuyu) (كينيا)، والذي يضيف أيضاً حقلاً مركزه "غير-مُتحدِّث" ويشطر المصطلحات الأربعة الحاصلة إلى مُتّسِع/ غير متّسِع، فتصبح ثمانية؛ الإسكيمو في جنوب الغروينلاند، يضيف بدوره إلى ici" [هنا]" تقسيمَ "là [ههنا] إلى "أعلى"، "أسفل"، "داخل"، "خارج"، "حيادي"، ويشطر هذه المصطلحات الستّة إلى مُتّسِع/ غير متّسِع، فتعطي 11 (مع فجوة)، مضروبةً بـ2، حسب ما إذا كان المركز الإحالي هو الذات أو لا، فتعطي 22، والتي من خلال توليفاتها، كما في اللاتيني، مع التخصيصات الإعرابية "في"، "نحو"، "(بعيداً) عن"، "[(مروراً) بـ]"، تعطي 88 مصطلحاً! وفي الأفار (القوقاز) 1229 إشاريّا!

أحياناً (مثل التيكار [الكاميرون])، تنضافُ لواصق فعلية إلى



الإحاليات المكانية والزمانية، وتتنوع حسب قُرب الذات أو حركتها، الحقيقية أو المجازية، إزاءَ القضية (procès). في الأيمارا (البيرو)، يمكن للاصقتين متناقضتي المعنى أن توجدا في المُركَّب الفعليّ نفسه، للإشارة إلى الجيئة والذّهاب من وإلى الذات.

الإحاليات الخارجية

* **المؤشِّرات (ostenseur) (=الإحاليات، الإشاريات)**: إنّها قريبةٌ من الإحاليات المكانية، والتي، تاريخيّاً، تتركّب غالباً معها مثل الفرنسي *ce chat-ci/ce chat-là* [هذا القط هنا/ ذاك القط هناك]، وهي تعيّن، من خلال الإشارة إليها، حقيقةً أو مجازاً، أشياءَ العالم ومفاهيمَه الخارج-خطابية مع أو من دون تشذيب التقابل الكوني بين البعيد (الذي تقسمه ألسن كثيرة، وهنا أيضاً، إلى حاضر/ غائب، مرئي/ غير مرئي (مثل الكواكيوتل [كولومبيا البريطانية]، الغواراني [الباراغواي])... إلخ) والقريب، المدحيّ أحياناً من خلال تثمين الذات-المصدر. يمكن لـ"غير-الأنا" أن يُبنى عبر إعادة استخدام "أنا/ أنت/ هو": في الكاوي (الجاوي القديم)، يتركب المكان والزمان والشخص مع بعضها بمهارة: يلحق بمؤشِّر "هو" *ika* صائتا الآخَرين، *iki* و *iku*، وصائته الخاص به، ومن هنا تأتي *ike* *(ika-i)/iko (ika-u)/ikā*، وهي سلسلة جديدة تعني "هذا ... في الماضي، المُحيل إلى أنا/ أنت/ هو". هناك نقاط علّام أخرى هي (مثل الألسُن الميلانيزية والهندميركية) المنزل، الجهات الأربع، الأماكن الجغرافية، العناصر الكونية المُدرجة في السياق اللساني البيئي (écolinguistique). ختاماً، علينا أن نلحظ أنه بدل المؤشِّرات



أو بالإضافة إليها، يمكن أن يكون هناك نقلٌ للإحالة الخارجية إلى بعض الأفعال، كما في الميكسيتك (المكسيك)، أفعالِ الحالة أو الحركة، التي تحوي ذِكر مكان الأشياء بالنسبة إلى الذات وإلى نقاط العلّام الأخرى.

* **المادّات (extenseurs)**: ناتجة في الغالب عن المؤشِّرات (انظر أدوات الألسُن الرومانية، الماسيدواني (macédonien)، الفنلندي المحكي وأصلها اللاتيني، البلغاري القديم، الفنلندي المكتوب)، وأحياناً أيضاً عن صيغة الملكية للغائب، عن الضمائر أو عن المُصنِّفات. والمادّات التي لها صُريفات، مقطعيةً كانت أو لا (44% من الألسُن)، لها دور مثل دور تلك الناتجة عن عمليات أخرى: التنغيم لوحده، الغرضنة (thématisation)، ترتيب الكلمات. جميعها، وعلى مقياس تحدِّد فيه الذات درجة الامتداد (ومنه الاسم المُقترَح هنا) تُشكِّل بنى ثنائية أو متعددة الأقطاب: معرفة/ نكرة (مثل الفرنسي *une table/la table* [طاولةٌ/ الطاولة])، حيثُ *une* تَفرِض، و *la* تَفترِض)، خاص/ عام، حقيقي/ افتراضي، مرجعيّ/ غير مرجعيّ[1] أو (مرجعيّ) معرفة ~ نكرة/ غير مرجعيّ، انظر مثالاً عن هذه الحالة الأخيرة في الفارسي: *u ketâb- râ/ketâb-i/ketâb-* "[*ø mixânad*] هو الـ/ علامة تنكير المفرد/ علامة تنكير الجمع/ [مجموعة تقابل مجموعات أخرى] كتاب (علامة جمع) يقرأ"]. لا

(1) في الحالة القصوى، غير - المرجعي (أو، في بنية أخرى، النكرة) يعبرّ عنه بوساطة غياب المادّ: في الألسن المُسمّاة مُدمِجة، الاسم المُدمَج بالفعل، يفقد غالباً كلَّ علامةٍ، والمجموع المتشكِّل يُعدُّ تجميعاً أكثر منه تركيباً: مثل الناهواتل (المكسيك)، *ninaka-kwa* (أنا- لحم- يأكُل) [أنا آكلُ لحمِ] (العلاقة بن الإدماج والفهرسة الثقافية).



يوجدُ في لغةٍ ما إقصاء بين هذه الأزواج، ولا، على كلمةٍ من قولٍ ما، بين لفظتين تنتميان إلى أكثر من زوج (مثل الفرنسي *un certain* [بعضٌ] مخصّص ونكرة، أو *le* في *il attend le poisson* [هو ينتظر السَّمَك]: افتراضي ومعرفة).

الإحاليات الداخلية

*** الإحاليات الذاتية (autophorique)** (="المنعكسة" -ré (fléchis):

الإحالة إلى الفاعل أو إلى المفعول، عندما لا تكون غير مُعلَّلة (مثل الكثير من الأفعال الفرنسية الانعكاسية)، فإنّها تعني المطابقةَ (من الإغريقي *autos*) المرجعيةَ التي يقيمها خطاب الذّات بين المصدر والمُستقرّ: مثل *elle ne s'aime pas* [هي لا تحبّ نفسها]. كما يمكن التعبير عن الإحالة الذاتية، ليس بضمير مختصّ، بل بتعبيرات من قبيل "ma (ta, sa) tête" [رأسـ(ـي)، (ـكَ)، (ـهُ)] أو "mon" (ton, son) corps [جسمـ(ـي)، (ـكَ)، (ـهُ)] (مثل الجورجي، الألسُن الأفريقية). والإحاليات الذاتية في كثيرٍ من الألسُن لها أيضاً معنى المتبادل.

*** الإحاليات العائدية واللاحقية:**

إنّها، إمّا فئات موجودة (ضمائر الغائب، المؤشّرات، التراكيب الاسمية) تُستَخدم استخدام الإحالي الداخلي (مثل الفرنسي، حيث يكتسب الطفلُ هذا الاستخدام متأخراً)، وإمّا وحدات خاصة (مثل



البول [أفريقيا الغربية]، اللاتيني، الروماني)، يمكن أن يقع أثرها على بُعدٍ عددٍ من الأقوال (مثل الشوكتاو choctaw [الميسيسيبي]، الباسكي، التركي). لكنها في الأغلب أقرب: **الإحاليات العائدية** تُحيل إلى وحدةٍ، إلى مُركّبٍ أو إلى قولٍ سابقٍ (الإغريقي *aná* "من الأسفل للأعلى"): مثل *l'* [ـهُ] في *où est Jean? – Je l'ignore* [أين جون؟ أجهلهُ]؛ قد يقع أنّ الإحالة تفترض الاستخلاص، مثل *Yu est chinois et j'aime ce pays* [يو صينيٌّ وأنا أحبُّ هذا البلدَ]؛ الإحاليات اللاحقية تستبِقُ عنصراً لاحِقاً (من الإغريقي *katá* "من الأعلى إلى الأسفل")، مثل *l'* [ـهُ] في *quand je l'ai revu, Guy était pâle* [عندما رأيتُه، غي كان شاحِباً]. من الملاحَظ أيضاً، أنّ الإحالة إلى العالم الخارجي يمكن أن تستمرّ ضمن الإحالي الداخليّ (الإحالي العائدي المُتمِّم والذي يُحيل إلى *un bas-bleu* [امرأة مُتحذلِقة] هو *la* [الـ]).

* الإحاليات الخطابية[2]:

لا تكتمِلُ منظومة الإحالة إلى الذات (égophore) إن لم تُضمِّن هذه العلاماتِ الخطابيةَ في خطابٍ (من الإغريقي *lógos*) الذاتِ، محيلةً إلى مؤلّف كلامٍ حقيقيٍّ (مثل *il dit qu'il viendra* [يقول إنه سيأتي]) أو ضمنيٍّ (مثل *elle pense qu'elle est belle* [تظنّ أنها

---

(2) أُدرج هذا المُصطلح (logophorique) في: C. Hagège, "Les pronoms logophoriques", *Bulletin de la société de linguistique de Paris*, vol. 69, no.1 (1974), pp. 287-310.



جميلة]). ستة عشر بالمئة من الألسُن فيها للإحاليات الخطابية، بما فيها المُلكية، وحدات مختلفة عن الضمائر الشخصية، بل وأحياناً للأشخاص غير الغائبين (مثل الإيوي [التوغو]). ومثل "أنا"، تُحيل الإحالياتُ الخطابيةُ إلى مؤلِّف خطابٍ ما؛ ولكن مثل مرجع "هو"، ويمكن لهذا الأخير أن يكون خارج زمان القول ومكانه. ومن هنا تأتي مكانتها الأصلية بين مُعامِلات المرجع: إنّها تعكس تعقيدَ تداخُلِ الخطابات في بعضها البعض.

أسبقية الشّخص المتكلم

على الرغم من أنه قريب من الآخَرَين نحويّاً، إلا أنه يظل مختلفاً: 3% من الألسُن (مثل الفويجيّة (fuégienne)، الباليوسيبيرية (paléosibérienne)، الهايو [النيبال]، الهُوا (hua) [غينيا الجديدة]) تملك القرينة نفسها للمُخاطَب والغائب، وأقلّ من ذلك أيضاً (اللاك lak، الجورجي (géorgien) [القوقاز]) لـ "أنا" و"أنت"، "أنا" و"هم" (الروماني، التصريف الثاني والثالث والرابع). الحالة الوسيطة لـ "أنت" ظاهرةٌ في التيغرينيا (إثيوبيا)، حيث تباينت في صيغتين حَسْب درجة القُرب بالنسبة إلى الذات. وتظهر أسبقية الذات على صُعُدٍ مختلفة:

تقمّص الذات: يمكننا أن نسمي بهذا الاسم[3] مُطابقة التفضيل لديها، حسب الحالة، مع:

(3) بناءً على: S. Kuno et E. Kaburaki, "Empathy and Syntax," *Linguistic Inquiry*, vol. 8, no. 4 (1977), pp. 627-672.



- نفسها هي، ومحيطها الشخصي؛

- المُستمِع؛

- الكائن الآخر، أو الشيء.

ومن بين هذه التجليّات الصّيَغيّة المهمّة، علينا أن نتذكّر:

- الخيار بين الأفعال (على سبيل المثال أفعال الحركة، التوزيع): استخدام "جاء" بدلَ "ذهب" (مثل الهندي، ألسن اليوما [كاليفورنيا]، الميلانيزية) يقتضي أنّ الهدفَ، سواء أكان الذات أم لا، واقِعٌ ضمن تقمّصِها؛ في الفرنسي *j'y vais* [سأذهب إلى هناك] جواباً على *tu viens chez moi?* [هل ستأتي إلى بيتي] يوحي بموافقةٍ مُضطَرِبةٍ، في حين أنّ مُكافئه في الياباني هو الصيغة المتوقعة، لأنّ تقمّص الذات يفضِّله عادة هو نفسه (ومن هنا التواضع إذا كان الخيار النقيض هو الذي وقع بين طرَفَي الثنائيات الَّلذين يشطران في الياباني قائمة هذه الأفعال، وكذلك قائمة "عَلِمَ"، "تعلّم"... إلخ)؛

- خيار التصريفات التقريرية أو الاستخدام المرغوب لغير-الحضوري للمتكلّم: فلا يمكن للذات أن تشك طبعاً بتقريراتها الخاصة بها، إلا إن كان من قبيل التّهكُّم أو ترك مسافة أو عدم الوعي بمُجريات القضية (مثل في الفرنسي *il paraît que je suis fou!* [يبدو أنّي مجنون!] أو *j'ai dû m'endormir* [لا بُدّ أنّي نمتُ])؛

- خيار بناء القول: يقعُ الغرض thème بالضرورة ضمن تقمّص الذات، لكنّه لا يطابقه دائماً: مثلاً *il a appris cela de moi*



[أخذ ذلك عنّي] بَدَل *je lui ai enseigné cela* [عَلّمتُه ذلك]؛ *Guy a peint ce tableau/ce tableau a été peint par Guy* [غي رَسَمَ هذه اللوحة/ هذه اللوحة رُسِمت بوساطة غي]: المبني للمجهول، وهو أبعد ما يكون عن أنه مُجرّد صيغة مقلوبة للمبني للمعلوم، يفترض انخراط الذات في قضية المفعول، وهو ما يؤكّد اللُّحْمة بين النحو والدلالة[4].

قد يقع، مع ذلك، ألّا يكون هناك خيار. فمن هذا القبيل، تضاف دائماً للفعل المتعدي المرفوع في الألغونكي سابقةُ المُخاطَب عندما يُدرَجُ المُستمِع، سواء أكان فاعلاً أو مفعولاً، وكأنه لا يمكن إلا أن تكون الذات قد فضّلته. مثالٌ آخر، لو كانت هناك كُرتان على خطّ واحد أمام ناطق بالفرنسية، فسيقول أنّ الأبعد هي "خَلفَ" الأخرى، في حين أنّ ناطقاً بالهوسا (نيجيريا) سيقول "أمام"، وكأنّ تقمّصَ الذات، المبتعدَ عن مركزها نفسِه، يرتكز على أقرب الشيئين[5]

(4) يمكن للتقمّص أيضاً أن يتطلّب استخدام عدد من الفئات: وبذلك تميّز الألسن الألغونكيّة (الأونتاريو) بين عدد من المؤشرات والإحاليات المكانية حَسْب البُعد عن "أنا" و"أنت"؛ في حالِ غيابها، وإذا كان هناك أكثر من "هو"، فالذي يكون ضمن تقمّص الذات يُجعَلُ غرضاً مباشرةً بإضافة علامة للآخر تُدعى علامة الدونية (والتي عاملها التراث النحوي معاملة "المنصوب" أو معاملة "الشخص الرابع" [وهذا الاسم الأخير يُطلق أيضاً على علامة انتقاءِ [مثل النافاهو [أريزونا]] واحدٍ من مرجعَين إنسانيَّين مذكورَين سالفاً]).

(5) أجرى هذه التجربة هيل: c. A. Hill, "Spatial Perception and Linguistic Encoding: A case Study in Hausa and English," *Studies in African Linguistics*, Sup. 5 (1974), pp. 135-148,
ولن نعجَلَ إذا استخلصنا من ذلك أنّ الهوسا لديه رؤية سحرية لعالم الأشياء تجعلها تحيا!



(بالمقابل، توجد في الهوسا لاحِقةٌ، لنا الخِيَرةُ في استخدامها، لوسم دمجِ المُستمِع أو شخصٍ ثالثٍ، في الفضاء الذاتي للذّات).

الصِّيَغ السّهمية: نقترح هذا الاسم هنا لخلائط القرائن التي تتطلّب الشخصين الأولين، أي "أنا، كَ" و"أنتَ، ي"، لأنّ مثل هذا الدّمج الصّيغي يجعل "عنف" انتقال القضية كالسهم (من اللاتيني *sagitta* [سهم]) من متحدِّث إلى آخر، أكثر إثارة. بيد أنّا نجد في الهنغاري "أنا، كَ" قابلةً للتحليل، وفي أماكن أخرى صيغاً سهميّةً "أنا (أو نحن [حصريّ]) كَ" و"أنا (أو نحن [حصري]) أنتم" (مثل الغواراني [الباراغوي][6]، الغاليبي [غويان]، ولكن لا يوجد لسان فيه "أنت، ي" من دون وجود "أنا، كَ"[7].

أثرُ المُتحدِّث: يظهر في طريقة عمل الكثير من العناصر:

العِبارية (délocutif): أعطينا هذا الاسم[8] لأفعالٍ ليست مُشتقةً من أصول معجمية، بل من خطاباتٍ تفوّهت بها الذات: اللاتيني

---

(6) في هذا اللسان، ما يَعدِلُ "أنتَ، ي" ليست صيغة سهمية، لكن قرينة المفعول به المتكلم غير المبني للمعلوم، تعدِل أيضاً "هو، ي").

(7) نلحظ بالإضافة إلى "أنا، نا" و"أنت، كُم"، مع مزج أو من دون مزج (مثلاً في الفرنسي *tu vous as frappés ?* [أنتَ ضربتكُم؟]) لا تقال بيُسرٍ في أيّ لسان؛ "نحن، (بما فيها) ي" ذُكِرت في الويشرام (أوريغون). في السِيكواني (كولومبيا)، وللتعبير عن "أنا، كَ"، لا تُضاف إلى الفعل المسبوق بسابقة "كَ"، لاحقة "أنا"، بل "نحن (متضمنة)"، وكأنما هي لتخفيفي وطأة فعل "أنا" على "أنت"، لأنّ "نحن (المتضمنة)" هذه تصلُح كغير مُحدَّد "on" [أنا/ نحن/ ...]". عن التضمين والإقصاء.

(8) انظر: E. Benveniste, "Les verbes délocutifs," *Mélanges Spitzer* (1958), repr. dans: *Problèmes*, pp. 277-285.



والعربي *salutare* سَلَّمَ التي تعني "قال: "سلاماً""، في الفرنسي *remercier* [شَكَرَ]، ليست من الكلمة القديمة *merci* "فَضْل" بل من *merci!* الخِطابية، وكذلك *tutoyer* [خاطب بصيغة المُفرَد أنتَ] فهي مشتقة من *tu* [أنت] و*toi* [إيّاك] التخاطبيّة. وعليه، فإنّ فعالية التحدّث تسهم في إنشاء الكلمات.

الأدائية (performatif): إنه الاسم الذي أُطلِق[9] على الأفعال التي تُحيل إلى صَنيعٍ أنجزته الذات لأنها بالتحديد قالته: مثل في الفرنسي *je promets de venir* [أعِدُ بأن آتي]. يمكن لهذا المفهوم المثير للجدل، إذا ما قَصَرنا حقله على استخدام معامِلات الإحالة الذاتية "أنا" والزمن الحاضر ما عدا الغرض (*je te somme de venir* [أنا أطلب إليك أن تأتي] ليست قولاً يتعلق بـ أنا)، أنْ يساهم في إبراز دور المُتحدِّث في إنتاج المعنى، ولا يمكن لهذا الإنتاج أن يقتصر على مدلولات العلامات عند سوسور، وهي الوحيدة التي احتفظ بها التراث البنيوي.

التخاطبية (allocutif): إنها قرائن (في حالة المفعول غير المباشر datif في الألسُن الإعرابية) تسترعي شهادة المُستمِع أو إقراره حسب ما إن كانت موجّهةً نحوه (مثل *je te lui ai flanqué une bonne raclée!* [أوسعتُه لك ضرباً]، حيثُ *te* [كَ]، المسمّى غالباً مفعوليّ الشاهد "*datif de témoin*" والتي تعدل *je te le dis!*"

---

(9) انظر: V.. J.-L. Austin, *How to Do Things with Words* (Oxford University Press, 1962), pp. 4-11.



[أنا أقوله لك] أو *crois-moi!* "[صدّقني]) أو موجهةً نحو الذات (مثل *fais-moi ça proprement!* [افعل لي ذلك بشكل صحيح]: "datif éthique" [مفعوليّ الأخلاق] في القواعد). ويمكن للقول نفسه أن يضمّ هذين الصنفين معاً: الأوكسيتاني (الجيفوداني) *mi lou ti prene* "أنا آخذهُ منك لي". في لسانٍ مثل الباسكي الشرقي، نعثُر على مُركّبات معقّدة نوعاً ما عندا تُزاد قرينة المُخاطَب، والتي تختلف صيغتها باختلاف الجنس، وأحياناً درجة القرابة، إلى كل القرائن الأخرى ضمن- القولية.

التعليقية (suspensif): علامات التنبيه، فاصِمات السلسلة. أعطيت هذه الأسماء هنا لوحدات أو متتاليات (وأحياناً لأقوال كاملة) ذاتِ صيغةٍ ليست بالجديدة (وعليه تجدُ هنا الكثير من المُعامِلات القولية و"الظروف")، إلا أنّ استخداماتها الثلاثة، وقد وُثِّقت الاستخدامات الثلاثة بالنسبة إلى بعضها، هي أثَرُ القائل. يمكن للقائل في الحقيقة:

- إمّا أن يُعلِّق خطابه، عندما يبحث عن كلماته: مثلما في الفرنسي *si vous voulez* [إذا شئتم]، *c'est-à-dire* [أيْ]، *eh bien* [حسَناً]... إلخ، أو لإظهار تردّده: مثلما في الفرنسي *comment?* [كيف؟] في *ça s'appelle un ... comment?* [هذا ما يُدعى ... كيف؟]، التشيكي *zhè-yì-ge* (ce-un-cl.) [هذا-علامة تنكير-مص] "هذا ..." (تستخدم ألسن أخرى (مثل الأيمارا [البيرو] أيضاً المؤشِّرات ككلمات تَرَدُّدٍ)، العربي المغربي يعني؛



- وإمّا أن يملأ فراغاً أو يعزِّز انتباه المستمِع (وظيفة تُدعى "phatique" [تنبيهيّة][10]) وكأنه يعبِّر في خطابه عن غريزة التشبّث التي يمكن لعلم النفس أن يبحث عن جذورها في الطفولة الباكرة: مثال فرنسي *n'est-ce pas?* [أليس كذلك؟] (المستخدم أيضاً كتعليقي)، *d'accord?* [طيّب؟]

- وإمّا أن يُظهِر حرّيته (النسبية تماماً بموجِب القيود النحوية) بفصمم السلسلة، أي بفضّ التجاور: رابط-معمول، فعل-مفعول~اسميّ~مُرتبِط، المُركَّبة: مثال فرنسي *avec*, **sans doute**, *d'autres gens* [مع، **بلا شكّ**، أناس آخرين]؛ *sur*, **mettons**, *tel plan* [على، **لِنَفترِض**، مثلِ هذه الخطةِ]؛ *sans*, **bien sûr**, *inter-venir* [من دون، **طبعاً**، تدخّلٍ]؛ *il a*, **je crois**, *assez faim* [هو، **أعتقدُ**، جائعٌ كفايةً]؛ *à moins*, **peut-être**, *que* [إلّا، **رُبّما**، إذا].

تتمتّع فاصمات السلسلة بنوعٍ من الأهمية في اللسانيات: إنها تعني ضِمناً ضرورة تجاوز دراسة الخطاب كمُنتَج خام معزولٍ عن النشاط القوليّ. ويمكننا أن نقول الشيء نفسه عن استخدامها كأدوات لتجزيء القول عن طريق الانتزاع المُتكرّر، لغايات الإلحاح، لعنصرٍ ما، حتى لو كان مُرتبِطاً: مثال فرنسي *ils sont partis, je dis bien partis* [لقد رحلوا، أقول رحلوا]؛ *il a peur, entends-tu, peur!* [هو خائفٌ، أنت تفهمُ، خائفٌ]=[إنه خائفٌ، أتَفْهم، خائف].

---

(10) أخَذَ رومان ياكوبسون هذا المُصطلح عن مالينوفسكي (B. Malinowski) في: R. Jakobson: "Linguistique et poétique," 1960, repr. dans: *Essais de linguistique générale* (Paris: Ed. de Minuit, 1964).



2. الشخص "الجَمعُ". البنى المُوثّقة

لا تُغيّر العلامات الإعرابية ولا الاستخدام كأدوات ملكية ولا الاقتران بالزمن الأشخاصَ، في حين أنّا إذا وضعناهم في حالة الجمع، فإنّا نُغيّر المرجع (مثلما هو الحال بالنسبة إلى الجمع الاسمي، الناتج أحياناً، تاريخيّاً، من الجمع الشخصي). هناك إذن توازٍ بين تغيير وضعية الذات والتغيّر الصِّيَغي لـ"أنا" إلى "نحن"، وهو أمرٌ كونيّ[11]. ليس "نحن" تجميعاً لـ"أنا"، والصِّنف الذي يكون فيه مُشتقاً منه بوساطة الجمع ليس غالِباً[12]؛ بل إنّ حالة البوشيمان (boc-shiman) (جنوب أفريقيا) حالةٌ فريدة، حيث "نحن" تكرارٌ لـ"أنا". وبما أنّ الغائب ليس معنيّاً هنا[13]، فإنّ التجليات الصِّيَغيّة للطريقة التي تتموضع فيها ذاتيةُ الـ"أنا" صعبةُ الجمع وَسْط مجموعةٍ ما، هي التي تخلق تعقيد المنظومات الموثّقة[14]. إمّا ألّا تكون هناك إلا "نحن"

---

(11) من ضمن علامات الاختلاف، نلحظ أنه قد يقع غالباً للضمير ولقرينة المتكلم الجمع أكثر من المُفرد أن تكون متشابهة أو مُتطابقة (مثلاً الإيوي [التوغو] حيث نحصل على الضمير "نحن" بإلحاق مؤشّرٍ بالقرينة "نحن"، وهو أمرٌ مستحيلٌ مع "أنا").

(12) وحالةٌ فريدة حالةُ كورس المأساة الإغريقية، وهي مجموعة مُتجانسة، تتحدّث مع ذلك بصيغة "أنا" كما يفعله كل عضوٍ في الفرقة مُنفرِداً.

(13) فجمعه عموماً (وليس في كل مكان) هو جمعُ الأسماء و/ أو الإحاليات. لكن في 7٪ من الألسن، ليس للغائب صيغة جمع مميزة.

(14) إنّ ما نتناوله هنا، إلا إذا ذُكِر خلاف ذلك، ليست منظومات القرائن أو المُلكيّات، بل منظومات الضمائر (وَفق إحصائيات ومدونات شخصية، وبعد مُراجعة فورشهايمر (Forchheimer) [1953])، سواء أكانت وحدات شخصية خاصة وشائعة أم لم تكن. وما يصدُق على الجمع (أيّاً كان المعنى [المُتنازع فيه]



واحدة، أو نميّز شموليّاً (inclusif)، الذي يشمل المستمع: "أنا + أنت ± هو (هم)" وحصريّاً (exclusif) يقصيه: "أنا + هو (هم)"[15]:

1.2 "نحن" واحدةٌ (64%)

أصلية

هو جذرٌ مختلفٌ عن جذر "أنا":

"أنت" و"هو" ليس لها جمع (4%): مثل الكوري أو (بالنسبة إلى القرائن) الماساي (massaï) (كينيا).

أو "أنتم" فقط (مثل التاكيلمان [الأوريغون] بالنسبة إلى ضمائر الماضي المُطلق والمستقبل[16] وقرائنهما)، أو "أنتم" و"هم" (مثل الألسُن السّاميّة التشادية) فهي مشتقة من "أنت" و"هو" (8%).

"نحن" و"أنتم" كِلاهما أصلي (27%). مثل الألسُن الرومانية (بل إنّ الإسباني يميّز الأجناس في الجمع: *nosotros* "نحن مُذكّر"، *vosotras* "أنتنّ مؤنّث")، السلافية، النادينى na-dene (كندا)، الجرمانية (لكن الإنجليزي البريطاني *you* = "أنتم" وكذلك "أنت").

= للاشتقاق التاريخي فيما بينهما) يصدق أيضاً على المُثنّى (والأعداد الأخرى)، المذكورة هنا عند الضرورة.

(15) أحياناً (مثل الأوتومي [المكسيك])، لا يكون هذا التمييز إلا في الضمير أو القرينة الفاعل، وليس مع العلامات الإعرابية الأخرى.

(16) وعليه، فيمكن لنماذج الضمائر الشخصية، في الألسن التي تتنوّع فيها حسب الهيئة أو الزمن أو معايير أخرى، أن تعطي بنى مختلفة من وجهة نظر التقابل مُفرَد/ جَمْع.



مُشتقّة من "أنا" بإلحاق علامة جمع بها، والتي يمكن أن تكون:

مطابقة لعلامة الاسم (5%): مثل السومري، الكيت (سيبيريا الوسطى)، الإسكيمو الغربي، الأوريا (الهند).

اختيارية أو غير مُستخدمة مع الأسماء (12%): مثل الصيني الماندراني (*wǒ* "أنا"/ *wǒ-men* "نحن")، الياباني، البيرماني، ألسن اليوما (كاليفورنيا).

خاصة بالضمائر الشخصية لوحدها (8%): مثل الخاسي (الهند)، التاكيلما [أوريغون] بالنسبة إلى قرينة العاقِبِيّ (con-sécutif)، الألسُن الأورالية، التركية، اللويزيانية القديمة، السيبيرية الشرقية.

2.2 زوجٌ من "نحن": شموليّ وحصريّ (36%):

يمكن لهذا التفريق، الموثّق في عديد من البقاع في القارات الأربع بالإضافة إلى أوربا، أن يُنتِج، عن طريق شطرِ، ليس الجمع فقط، بل والمُثنّى والمُثلّث... إلخ عند الضرورة، منظوماتٍ أكثرَ تعقيداً من تلك المنظومات الكثيفة بطبعها، حتى من دون أن تملكها (مثل الفو- نونغ (phu-nong) [لاووس]، مع "أنا"/ "نحن الاثنان"/ "نحن مُتجانس"/ "نحن غير مُتجانس" [فوق الجمع]):

كلاهما أصليّ (14%): مثل التاغالوغ (الفلبين) و، بالإضافة إلى المثنى، الكوساي (ميكرونيزيا)، الساموان، الهاواوي، الفوتونا (futuna) (بولينيزيا)، الهايو (النيبال) (وهذا الأخير بالنسبة إلى القرائن).



أحدهما أصليّ والآخر مُشتَقّ (18%). فإمّا أن تكون للحصريّ صِلةٌ بالغائب (مثل السيوسلاو (siuslaw) [أوريغون]) أو أن تكون له صلةٌ بصيغةٍ أخرى، والشمولي هو المُشتقّ، والشفّاف، لأنّ أساسه هو "أنت" (مثل الكاناوري (kanauri) [شمال غرب الهند]) أو حتى يلصق "أنت"[17] بقرينة "نحن الشمولي" (مثل الغواراني [الباراغواي]). وإمّا على النقيض: هناك مُشتَقٌّ من "أنا" تشكّل قياساً على الجموع "أنتم" و/ أو "هم" من "أنت" و/ أو "هو"، مما قصر الجمعَ الأصليّ، الأقدم، على معنى الشمولي (مُثنّى ~ جمع قِلّة ~ أو جمع): مثل الشينوك (chinook) (أوريغون) بالنسبة إلى القرائن، ألسن السيو (sioux)، النوبي (nubien)، البول (أفريقيا الغربية)، الميكير (mikir) (الهند)، البايوت الشمالي (الإيداهو)، الغيلياك (سيبيريا الشرقية)، السيكواني (sikuani) (كولومبيا) (في حالة هذا اللسان الأخير، يتعلق الأمر بقرينة **الفاعل** الشمولي، لأنّ المفعولَ به، كما يبدو، صيغةٌ مُدمجة "me-te" [ي+كَ]. وهذا الشمولي، يكون هو نفسُه أحياناً أساساً لاشتقاق الحصري (مثل التزيلتال (tzel-tal) [غواتيمالا]، البالونغ (palaung) [بيرمانيا]) أو لِلَفظٍ ثالثٍ، شموليّ كُلّي "أنا + أنت + هو (هم)" السييرا بوبولوكا (popoluka) [المكسيك]، الأيمارا [البيرو]).

(17) هناك تطابق صِيَغيّ قاطع وصريح بين القرائن "نحن الشمولي (مثنّى وجمع)" و"كُما (مُثنّى)" في الكيُوا (kiowa) (أوكلاهوما)، وبين المُلكيّات "نا الشمولي (مثنى)" و"كُما (مثنّى)" في الهايو (hayu) (النيبال).



كلاهما مُشتَقّ:

من الجذر نفسه غير "أنا" أو من جذرين أحدهما "أنا" (6%): **مثل ألسن شمال غرب أستراليا (+ مُثنّى ومُثلّث)؛ هناك حالة استثنائية** وهي حالة الروتومي (rotumien) (ميلانيزيا)، والذي يملك "أنا وبلا شكّ أنت" الذي أعطى مُشتَقّين شموليّين مثنى وجمع، أما الحصرية فهي مشتقة من جذر آخر.

من "أنا" (4%): مثل الكواكيوتل (كولومبيا البريطانية)، حيث علامات المرئي وغير المرئي هي المُلحَقة، الواشو (washo) (كاليفورنيا)، حيث تعطي الحصريةُ، المثنى منها والجمع، نفسُها مُشتقّات شمولية، ألسن غينيا الجديدة، ألسن جنوب شرق أستراليا، الكيشيوا (البيرو)، الأوتومي (المكسيك).

بوساطة إدماج المُستمِع بكل وضوح، أي، بالنسبة إلى الشمولي، إلصاق "أنت" (4%)، إمّا بـ"أنا" (مثل الألسُن الهجينة (pidgins) الإنجليزية–الميلانيزية، حيث تكون البنى شفّافةً: الشمولي = *yu-mi*، الحصري = *mi-fela* (إنجليزي *fellow* "صاحِب")، الألسُن التونغوسية (toungouses) [حوض الأمور الأوسط])، وإمّا بـ"نحن الحصري" (مثل المنغولي الأوردوس [شمال الصين]). في الألسُن الألغونكيّة (أونتاريو)، "نحن الشمولي" = "أنت" + جمع خاصّ، و"نحن الحصري" = "أنا" + مثله.

3.2 حصيلة إحصائية

نحصل على الأرقام الآتية: 48% من الألسُن فيها 6 ضمائر



شخصية (كما في الفرنسي)، 21% فيها 11 (4 "نحن"، 2 "أنتم"، 2 "هم" بسبب المُثنّى والشمولي)، الباقي (2%) تُمثّل منظومات مختلفة منفردة (مثل الإنجليزي، الروتومي).

4.2 مُراكمة الأشخاص

يمكن للمشاركين غير المرتبطين بالجمع أن يكونوا ضمن مركَّبات أساسُها "نحن"، "أنتم" أو "هم". وبدلاً من "ي – كَ"، مثلاً سيكون لدينا "نحن و/ مع كَ": مثل الروسي، الانكوزي (nkosi) (نيجيريا)، الإيوي (التوغو)، والعديد من ألسن البانتو، على أنّ هذا الاستخدام لا يستبعِد، بالطّبع، وجود أبنية الجموع. بل ويمكن لـ"أنتم" و"هم"، رغم أنها ليست مفردةً مُسبقاً، أن توضع لها علامة الجمع، بمعنى "أنتم ومَن لكم"، "هُم وناسُهم" (مثل الزرما (zarma) [النيجر])، أو بمعنى "أنتم الآخرون" (التركي).

ثانياً: اللسان والمُجتَمَع

1. البنى اللسانية والبنى الاجتماعية

1.1 اللسان والمجموعات البشرية

لبعض فوارق المجموعات تعبيرٌ لساني:

التقسيم الثنائي الطبيعي للأجناس واختلاف الأجيال، سمتان يمكن أن نصطلح على علاماتهما اللسانية بالقرائن البيولَهَجية[18] (indices biolectaux). تمتاز النسوة عن الرجال بجملة من القرائن

(18) انظر: C. Hagège, "The concept of Function in Phonology," in: *Phonologica 1980* (Innsbruck: Innsbr. Beitr. Zur. Spr., 1982), pp. 187-195.



البيولهجية، منها:

- الصوائت (مثل الروسي، اللهجات العربية)؛
- قائمة الصوامت (ألسن المجتمعات السيبيرية أو الأمازونية في التقسيم الدقيق للمهام)؛
- حوادث الإدغام أثناء الخطاب السريع؛
- المنحنى التّنغيميّ؛
- المعجم (صيغ التصغير، المصطلحات المُحرّمة، أسماء القربى الخاصة (مثل الغواراني [الباراغواي])؛
- بل وحتى التصريف الفعلي (مثل اليارورو (yaruro) [فنزويلا]).

النساءُ مُكرهاتٌ على التقليدية، لأنّهن في معظم الأحيان مُهيمن عليهن، وفي الوقت نفسه، هُنّ عاملٌ أساسيٌّ في التغييرات اللسانية التي ينقلنها؛ لأنّهنّ يُثبتن حضورهنّ حيثُ يستطِعن. قد يقع (مثل ألسن العجائز، العبارات المسكوكة لتعليم اليافعين [أفريقيا، الأمازون، أوقيانوسيا]) أن يكون هناك فارقٌ مهمٌّ يَضعُ في مقابل الاستعمالِ الشائعِ استعمالَ بعض الأجيال. من جهة أخرى، (مثل الأينو [اليابان])، تتنوع الضمائر الشخصية بشكل كبير وَفق أعمار المُخاطَبين.

الموقع الجغرافي والمُحيط: في الفرنسي مثلاً، نُطق (r)،



الصوائت e/ε، والأصوات الأنفية... إلخ)، المعجم، تواتر التسميات، تواتر التوابع (مثلاً القدرة المُتباينة على استعمال *dont* [الذي/عن ...] يمكن أن نُطلق عليها اسم **القرائن اللهجية الاجتماعية**[19] (indices sociolectaux). في الواقع، إنها تعكس الوسَطَ المِهنيَّ، العائليّ، الثقافي، المحلّي (اللهجات)، ودرجة التبدُّل والتمدُّن. اللسان ليس معرفةً عن العالم، إلا أنّ هناك درجاتٍ متفاوتةً في المعرفة اللسانية.

2.1 التعبير عن التراتبيات الاجتماعية

مُتعدِّد

في المجتمعات ذات التراتبيات العالية، العلاقة بين الأفراد (رُتبة الآلهة أو الأسطوري، الطبقة، العائلة، العمل، الثروة) تظهر في:

- إمّا (مثل أفريقيا، الهند، أستراليا) في أسماء الأعلام، مصطلحات القُربى، الحقيقية أو المجازية، المُناداة (مثل مناداة الزوج بمثل "أبو أو أم فلان" [التكنية]) خاصةً؛

- وإما علاوة على ذلك في أسماء المفاهيم أو الأغراض الشائعة، ذات الأشكال المتنوعة (مثل الجاوي (javanais)، التيبيتي، التايلاندي) حسب المكانة الاجتماعية، في المُعامِلات القولية (مثل

---

(19) يمكننا أيضاً الحديث عن قرائن سياسية لهجية [نفسه] بالنسبة إلى العلامات اللسانية لإثبات هويةٍ مجموعة وطنية، يبين أن الألسن ليست فقط أدوات تواصل، بل إنّ بناها محلّ استثمار رمزي للأفراد والمجتمعات (انظر في: Hagège-Haudricourt أمثلةً غاسكونية، إنجليزية، إسرائيلية، فيتنامية، إيروكية).



البيرماني)، التخاطبيات، الأفعال في القول المُستقلّ: تتغير صيغته وَفْق ما إذا كنا نوقِّر مرجع الفاعل-الغَرَض أو لا، أو المُستمِع: مثل الياباني، الكوري، والناهواتل (المكسيك) (مع ذلك، في هذا اللسان، تضامن السكان الأصليين يُقوِّض صيَغ الإجلال، المعقّدة بما فيه الكفاية [باستخدام الإحالة الذاتية، كما في ألسن الهند]).

بوساطة الضمائر الشخصية

إنها هي الناقلات الأساسية لعلاقات:

السلطة مقابل التضامن: في العديد من الألسُن، في صميم مؤسسات مثل الجيش، رجال الدين، المدرسة، البيت (الحياة المنزلية) أو الإدارة، يوجِّه الأكثرُ قوةً صيغةً مختلفةً عمّا يتلقّاه، في حين أنّ الاستعمال المتبادل لطاقم بعينه يفترض وجود أو البحث عن علاقة تضامن، على الرغم من أنّ الأمر قد يتعلق أيضاً بعلاقة حميمة، يضع فيها المُهيمِنُ نفسُه الرامِزةَ[20].

اللباقة: وهي مرتبطة بالحالة السابقة، الاحترامُ، المسافةُ المطلوبة نوعاً ما حسب الظروف، تسِمُها الضمائر الشخصية في 58% من الألسُن، ثلاثةُ أخماسها تستخدم الجمع استخداماً رمزيّاً[21]

(20) انظر: V. R. Brown et A. Gilman, "The Pronouns of Power and Solidarity," in: T. A. Sebeok (ed.), *Style in Language* (cambridge (Mass.): MIT Press, 1960), pp. 253-276.

(21) تتضح هذه العلاقة بين الوضع بصيغة الجمع وبين الاحترام أيضاً في الألسن (مثل الأمبوم [الكاميرون]، الموري [فولتا العُليا]) حيث تعني الكلمة نفسُها "وَقّر" و"كان (أو جعل) كثيراً".



(مثل الفرنسي *tu es brutal /vous êtes brutal* [أنت عنيف/ أنتم عنيف])؛ أما الباقي فتستعمل إمّا "هو" أو مكافئاً له من أصل اسميّ (مثل الإسباني، البرتغالي الأوروبي، البولوني، الليتواني (lituanien))، وإمّا "هم" (مثل الألماني، الدانماركي)، وإمّا حتى الدرجات الثلاث "أنت"، "أنتم" أو "هو" حسب الظروف (3% من ضمنها الإيطالي والغيلياك [سيبيريا الشرقية])، وإمّا أيضاً اثنين من "أنت" (1% منها التيغرينيا؛ بل إنّ بعض اللهجات الأمهرية (إثيوبيا) فيها ثلاث من "أنت"، وإمّا أخيراً توريات تحقيرية لـ"أنا"، إطرائيةً لـ"أنت" (مثل الفيتنامي التقليدي). يُنظَر إلى خرق هذه الاستعمالات كأنه نوع من الإهانة (مثل الفرنسي *tu* [أنت] العنيفة [سائقو السيارات] أو المُهينة [الشرطي متوجِّهاً إلى مُشتبه به]؛ انظر في بعض العاميات الوالونية (wallons) الاستغناء عن "أنتم"). يمكن لصيغ التبجيل أن تؤثّر على تطوّر بنى الأشخاص: في الإيسلندي (islandais) والفيروِيني (féroéen) واللهجات البافارية والنرويجي، تَخصُّصُ الجمع مثل "أنتم" باللباقة سارع في انحسار المُثنّى، الذي أخذت صيغتُه معنى الجمع؛ "أنتم" السويدي، أداة غير مُستقرّة في مجتمع نبيل غابرٍ حيث توجد صيغ كثيرة للالتفاف على التوجّه المباشر[22] بالحديث، انتهى به المطاف أن أذعنَ أمام "أنت".

(22) لاحظ أيضاً الهنغاري tetszik "il plaît de" [يُرجى...] والمفترض به أن يدرأ التردّد بين صيغتين مهذّبتين للغائب، إحداهما فظّةٌ، والأخرى رسمية جِداً.



3.1 اللسان والمُحيط المادي-الثقافي

احترازات منهجية:

نلحظ أنّ هناك ترابطاً متبادلاً بين وقائع لسانية وعوامل

إمّا مادية (مثلاً، في بعض الألسُن الدرافيدية [الهند] والأسترالية، طول الرأس (ازدياد في عدد مخارج الأصوات؟)/ غنىً بالصوامت اللسانية)؛

وإمّا ثقافية خاصّةً:

- سمات حافظة للألسن الجَزَريّة المعزولة (مثل الإيسلندي) عندما لا تتدخل عوامل أخرى في إضعافها (مثل الهاواوي)؛

- غنى نغميّ للألسن المحكية في مناطق شاسعة منبسطة حيث يمكن لترنيمات الصوت أن تصل بعيداً؛

- التوازي بين التنوعات اللهجية ونمط حياة البداوة أو الحضارة (مثل العالم العربي)[23].

علينا، مع ذلك أن نبتعد عن كثيرٍ من التكهّنات[24]. كما أنّ

---

(23) انظر: V. C. Hagège, *Profil d'un parler arabe du Tchad* (Paris: Geuthner, 1973).

(24) وعليه، فلِيس لأنّ الفرنسي، حيث نُضطرّ إلى قول السّيدة الوزير (*Mme le Ministre*)، أقلّ غنىً من التشيكي بعدد أزواج أسماء المِهَن، تكون النّسوانية أقل انتشاراً في المُجتمع الفرنسي! ومن التخمينات الأخرى: يرى فان جينيكين (Van Ginneken)، شميدت (Schmidt) وميّيه (Meillet): لاحظ أيضاً مار (Marr) نفسه) سمةً من سمات التخلّف الاجتماعي، وعلى التوالي، في استعمال الألسن المُتعدّية (الغرضنة "الأنثوية" الخالصة للمفعول، موقع الأحداث الطيّع)، وفي =



علينا أن نبقى، نوعاً ما، بعيدين عن المبالغات التأويلية التي تدفع إلى البحث بانتظام عن أسبابٍ اجتماعية ثقافية، مثلاً لقضية أنه في الناهواتيل (المكسيك) يبنى "نموت" مِثل "نخرج" وليس مثل "نرتعش"، في السامو (فولتا العليا) "تأتأ" مثل "قتَل" و"نَسيَ" مثل "عَضَّ"، في الكاموهي (كاليدونيا الجديدة) "نسي" مثل "ضَرَب" و"ابتهج بـ" مثل "عضَّ"، أو في الغواراني (الباراغواي) "نامَ" (الخاص بالأحياء) و "أمطَر" (قدرة طبيعية) مثل "رَكَض" (في حين أنه في الجورجي، "نامَ" يُبنى مثل "جاعَ" وأفعال أخرى "غير مبنية للمعلوم"). لا غَرو أنّ هذه الوقائع تفاجئ وتطعن في صحة الدلالة الحَدْسية، إلا أنّها في جزءٍ منها تفتقر إلى المُبرِّر. تبقى الكلماتُ، في حين أنّ العلاقاتِ الاجتماعيةَ تتغيّر، وعلينا أن نحذر من الخلط بين التاريخ والتزامن: في البولوات (puluwat) (ميكرونيا) وفي الأوردو (ourdou) (الباكستان)، الزوجة هي "من تكون في البيت"، حتى عندما تعمل في القرية كما في وقتنا الحاضر؛ في الونامبال (wunam-bal) (أستراليا)، استخدام "ذهب" كفعل مُساعد لـ"شَرِبَ" يعود إلى حقبة المشي نحو الساقية بعد تناول وجبة جافّة، لكن المجموع يعني اليومَ "شَرِبَ" وليس "سوف يشرب". علاوة على ذلك، يمكن للبنى ألّا تكون مرتبطة بحاجات: الشبكة المعقّدة لمصطلحات القربى

= الترتيب مُعرِّف- مُعرَّف وفي الإبقاء على المثنّى؛ ويربط بعضهم انحسار المفعول الثاني الاستهدافي في الهندوأوروبية بانحسار القربانات الشعائرية؛ وصرّح بعضهم، رغم كلِ التكذيبات، بأنّ الألسن المتعدّية ذات الفعل غير الموجّه (التعبير نفسه مثلاً لـ"فلان ضرب" و"فلان ضُرِب"، بقولٍ، خارج السياق، سيكون غامِضاً) هي ألسن مجتمعات مقيَّدة وقليلةَ التعقيد، حيث يعرف الناس بعضهم بعضاً بما فيه الكفاية لمعرفة من يفعل ماذا.



في الواليبيري (أستراليا) توحي بالأحرى بذوق فِكري شبيهٍ بذوق الرياضيات التقليدية في الغرب؛ على النقيض، ليست الثغرات بحدٍّ ذاتها حاسمة: الواليبيري، والذين ليس لديهم أرقام أصلية خاصة بهم، يستعيرون دونما صعوبة أرقام الإنجليزي.

الإناسة المركزية للأكوان اللسانية

مع ذلك، يتضح من بعض المناطق الأفضل بناءً:

تراتبيّات: يمكن للنحو والصرف، رغم الاستهلاك ورغم المثبّطات المتكرّرة، أن يحويا بعض آثارها:

أصناف الكلمات: السُّلّم القِيَمي (axiologique échelle) للكائنات في اللسان: مثلاً الكاوي (الجاوي القديم) فيه ثمانية مادّات حسب ما إذا كان مرجعها (جبال، أجرام سماوية)، قِدّيساً، مُعلّماً، بَطل، مَلِكاً، رجلاً، حيواناً مُشخصناً، جماداً؛ الديربال (dyirbal) (أستراليا) يضع أغلب الثدييات، الأسماك، الزواحف، الحشرات ضمن فئة الرِّجال، وأغلب الطيور، المرتبطة بالأرواح الأنثوية، ضمن فئة النساء، ما عدا بعض الأشياء مثل طيور هزّاز ذنبه المختلفة، الرجال في الأساطير.

بنية القول: إنها تُحدّد بشكل جليٍّ، في بعض الألسُن، أسبقية الرجل، وأولاً المُتحدِّث

*** ترتيب حق الصدارة للفاعلين:** في النافاهو (أريزونا) ("أنا" < "أنت" < إنسان بالغ < طفل < حيوان كبير ثمّ صغير < شيء حيّ

> مفهوم)، وفي الألسُن الألغونكية (الأونتاريو)، إذا كانت الدرجة التي تُمثّل الغرض هي الأدنى، يُضاف إلى الفعل المرفوع المبني للمعلوم، ولتجنب مُخالفة الترتيب عبر تقديمه، صُريفاً ناقِصاً، أو يُبنى للمجهول (لاحظ أيضاً النيونغوبويو والنغاندي (ngandi) [أستراليا]): في هذه الألسُن، الترتيب الطبيعي هو نفسه الموجود مثلاً في الفرنسي *je le bats* [أنا أضربه]، لكن إن أردنا قول "*il me bat*" [هو يضربني]، فبما أنّه لابُدّ من بقاء "أنا" في الصدارة، يجب تحاشي ذلك عن طريق (+inversif ou passif) "je lui battre" [أنا له ضَرَبَ (+ناقض أو مبني للمجهول)]. وبهذه الطريقة، يلتقي النحو بالدلالة، ويظهر جليّاً التوازي بين وجهات النظر الثلاث: الفاعل الأعلى في التراتبية، والمُختارُ بالضرورة ليكون الغرض، يتطابق مع الفاعل، سواء أكان القائم بالفعل أم الواقع عليه الفعل، لكنه لا يمكن أن يكون مفعولاً به، لأنه يجب أن يظلّ في الصّدارة، وأنه في هذه الألسُن، الترتيب ليس مف فا ف ولا مف ف فا.

*** تقلُّبات محور الشخصية:** من بين 21% من الألسُن ذات النحو المُختلط، ما يقرُب من النصف (وخاصة الألسترالية، والأوقيانوسية، والهندميركية) فيها بنية مفعولية (المفعول به موسوم) عندما يكون القائم بالفعل هو المُتكلِّم، وبنية فاعِليّة (القائم بالفعل موسوم) عندما يكون جماداً. يتأرجح الحدّ الفاصل بشكل مختلف بالنسبة إلى المُشاركين الآخرين: فوَفق اللسان، يُخرِجُ هذا الحدُّ، أو لا،



من التركيب المفعولي المُخاطَب، الغائب، أسماءَ الأعلام، أسماء القربى، أسماء البشر، أسماء الحيوانات. وما تفعله هذه الألسُن ما هو إلا الاحتفاظ بعلامة واضحة لواقعةٍ كونية: احتمال أن يكون فاعِلاً لا مفعولاً به يتضاءل بدءاً من الذات، وهي عادة القائمة بالفعل ومِن ثَمّ ليست عُرضةً لأن تكون موسومة على هذا النحو (ذلك أنّا نَسِمُ ما هو غيرُ متوقَّع)، لكنها تُوسَم عندما، بسبب "شذوذ" ما، يقع عليها الفعل، وصولاً إلى الجماد، وهي الحالة المناقضة، مروراً بـ"أنت" ومختلف أشكال "هو"[25]. من طرف آخر، كذلك الجماد لا يمكن أن يكون فاعلاً لفعل متعدٍّ من دون أن تلحق به لاحقة الحيّ (الهيتّيت)[26]، أو يمتاز عن القائم بالفعل بوساطة علامة الآلة (مثل التونجي [أوقيانوسيا]، الباسكي) أو بوساطة قيود الرُّتبة (مثل الأفار [القوقاز]).

الإناسة الإعرابية لايزال دور الجسم الإنساني واضحاً في تسمية المكان حيثُ علامات الحالات "أمام"، "خَلفَ"، "داخِلَ"، "فوقَ"، "تحتَ"... إلخ تأتي من الأسماء "وجه"، "ظَهْر"، "رأس"، "قَدَم"... إلخ (مثل أريقيا وأوقيانوسيا).

---

(25) والأمر ذاته ينطبق على المُلكيّ عندما تكون له علامة القائم بالفعل: مثلما في الكاهويلا (كاليفورنيا)، " je suis ton X (nom) [أنا أكون س (اسم) ـكَ]" يتطلب، تماماً مثل ["tu me Y (verbe)" أنت ني ع (فعل)" علامة ناقضٍ، غائبة في المقابل في "tu est mon X" أنت س ي] وفي"je te Y أنا ـكَ ع" انظر: H. Seiler, *cahuilla Grammar* (Banning (calif.): Malki Museum Press, 1977).

(26) انظر: V. E. Laroche, "Un "ergatif" en indo-européen d'Asie-Mineure," *Bulletin de la société de linguistique de Paris*, vol. 57, no. 1 (1962), pp. 23-43.



حَسبَ الوَسَط المادي الثقافي، لا تؤشِّر الألسُن، أي لا تَسِمُ صِيَغياً، الصِّفات نفسَها. وعليه، فالمُجتمعات الغربية بنت بما فيه الكفاية من نقاط العلام غير الذات بُغية ألّا تشير ألسنتها إلّا إلى القريب والبعيد، على النقيض من الإسراف في "ظروف" المكان حيثُ اللسان هو الذي يجب عليه خلق نقاط العلام؛ حالةٌ أخرى من حالات التأشير هي حالة أسماء الأماكن التي، لِما أُضفي عليها من الأهمية البيئية والمِهَنية، أُجيزت تماماً كي لا تتطلّب روابط: في الكثير من ألسن سكان الغابات والصيادين وساكني الجبال... إلخ (مثل أفريقيا، أوقيانوسيا، أميركا)، يُقال "ذَهَبَ غابة (أو دغل)"، "مضى صيد"، "توجّهَ جبل"[27]؛ وتساهم العلاقة بالبيئة في شرح بنى الضمائر الشخصية: البورت-ساندويش (Port-Sandwich) (هيبريد الجديدة) يميّز شمولياً وحصرياً (مُثنّى، مُثلّث، جمع) في المتكلّم بل وحتى في المخاطب والغائب حَسْب التضامنات بين مجموعات الذات ومجموعات المُستمِع: في أثناء النقاشات المُمِلّة والحروب، من المُهمّ أن يوضع كلٌّ في مكانه (حليف، عدوّ)؛ هناك أيضاً حالات قيود حسب درجة القربى: في اللارديل (lardil) والأراندا (aranda) (أستراليا)، علينا أن نختار، بالنسبة إلى "كلانا" و"كلاكُما"، بين

(27) وقد يقع أن يقابلَ لسانٌ ما بين علامةٍ تشير إلى عملٍ غير ذي بالٍ أو غير متوقّع، وبين غياب العلامة، الذي يشير إلى عملٍ غير مُبوّبٍ: مثل الموروي (فولتا العُليا) *b kɪ́ngà wéoog-ɪ́* (هم ذَهَبَ حقل- في) [ذهبوا إلى الحقل] /*b* *kɪ́ngà wéoogó* [ذهبوا يزرعون].



صيَغٍ متباينة، وَفْق ما إن كانت الرابطة رابطة أقران من جيل واحد أو قربى عصَب هي التي تربط بين المراجع؛ حتى في صميم المعجم، تنعكس الصِّلةُ بالبيئة في مناطق متنوعةٍ جداً: أسماء الرَّنّة في اللابون، جاموس الزيبو في البول... إلخ.

2. المجتمعات كأماكن لابتكار-بناء الألسُن

1.2 الألسُن الهجينة والكريولية

التهجين اللساني هي تجربة مخبر طبيعي: تعوّض الألسُن الهجينة انقطاع التواصل العائد إلى تعدد الألسُن الظرفيّ (لغات التجارة بين مستخدمي ألسن مختلفةٍ) أو المفروضِ (البَعث اللساني (caïnoglossie) [ابتكار لسان بعدَ الفَقْدِ] عند العمال الذين كان يقتادهم في الماضي، وخاصةً كعبيدٍ، إلى مزارعَ، أربابُ عملٍ، كانوا يخلطون القبائل عن عَمدٍ)[28].

ثلاث سمات أساسية للسان الهجين

الاقتصاد: الكثير من السِّمات المعروفة لأصناف مختلفة من الألسُن مجموعةٌ في لسانٍ هجين:

خَفْض أو فقدان:

- السِّمات السديدة؛

---

(28) الحالة الأكثر نُدرة هي العزل مثل اللسان الهجين (البِدجين) الإنجليزي في جُزُر الاليبتكيرن (Pitcairn) [جنوب المحيط الهادي] والتريستان دا كونها (Tristan da cunha) [جنوب الأطلسي].



- التجميع (الميل إلى المقاطع المفتوحة وإلى الانسجام)؛
- المناوبة؛
- الاستتباع؛
- الروابط؛
- الفئات-الأنواع؛
- الهيئات (لاحظ فيما يخص هذه النقاط الأخيرة، الفاناغالو (fanagalo) [جنوب أفريقيا] والبوليس-موتو (police-motu) [غينيا الجديدة] في مقابل الاكسهوسا (xhosa) والموتو (motu)).

الثَّبات: التنغيم لوحدِه يُميّز الأسئلة (لاحظ في الفرنسي الدارج *tu viens?* [تأتي؟])؛ ويُتجنَّب الانقطاع (مثل إعادة نطق - *im* [الإنجليزي *him*] علامةِ التّعدية في اللسان الهجين الميلانيزي *bringimapim* [بالإنجليزي "*bring him up*" رَبّاه]؛ السياق يدلّ على الوظائف، لعدم تنوّع الصِّيَغ (ومثله في الكريولي: مثال موريسي *[nu mãže/nu pei]*(mauritien) ["نحن نأكل"/ "بَلَدُنا"]).

التكرارات، طريقة طبيعية للابتكار: إلحاح، تكرار (الأمر الذي، بالنسبة إلى الاستفهام، يمكن أن يعيد خلق انقطاع)، تدرُّج، تخفيف (الأفعال)، كثافة، جمع (الأسماء).

التّحليلية: غياب الخَلط؛ تجاور وحداتٍ مستقلّةٍ، من دون تداخل؛ تجزيء شبه حركيّ لمراحل القضية، أكثر مما هو في الإيوي (ومثله في الكريولية: مثل الهاييتي *l fek sot rive keyi ũ kok vĩn*



bã mwẽ ([هو لا~يفعل~إلّا خرجَ وصلَ قطَفَ جوزة هند أتى أعطى لي]=[لقد قطف لي للتوِّ جوزةَ هند]) (*bã* [من الفرنسي القديم *bail-ler* [منحَ]] يَعدِلُ "à" [لِـ] في سياقات أخرى).

التبرير: غنيّة بالتركيبات أو بإعادة الصياغات الوصفية للقضية (مثل البيشلامار [الهيبريد الجديدة])، وكالألسُن الأخرى (الأوقيانوسية، التيبيتية، الهندميركية، الأفريقية) ذات المفردات المُبرّرة، توضح الألسُن الهجينة مدى محدودية الاعتباط (limita-tion de l'arbitraire): مثل الضِّد المبني على جذر واحد (اللسان الهجين الغيني الجديد *gut/nogut* بدل مكافئيهما الفرنسيّين غير الشّفافين *bon/mauvais* [حسنٌ/ سيِّئ])، التعبير عن العائدات الذاتية بـ"رأس أو جسد الـ".

تعاليم

مفهوم بساطة لسانٍ ما

إنه موضوع جدال قديم. إنّ السمات التي نَحسِبها "بسيطة" يُحدِّدها حَدْس اللسانيِّ غالباً، بالطريقة التي يقوم بها لسانه الأمّ. أمّا بالنسبة إلى الأفكار الثقافية المسبقة حول هذا المفهوم فإنّها مغلوطة: بعض المُجتمعات التليدة (مثل غينيا الجديدة، الأمازون، أفريقيا الوسطى) تتكلّم ألسن ذات نحو وصرف معقّدين جداً. أحد المعايير يمكن أن يكون إذن هو الاقتصاد عن طريق تقليل السمات النادرة أو الشاذّة المرصودة عند الأجانب الذين يتعلمون الفرنسية، أيّاً كان لسانُهم، وبطريقة نصف واعية، في نشأة الألسُن الهجينة اللوزو-



أفريقية، التي لم تُولد في أفريقيا، بل في البرتغال، حيثُ كان يُجلَبُ العمّال[29]. وبنوعٍ من تسريع عملية التطور الطبيعي، كان البرتغالي الذي يُعلِّمونه يخضعُ لمراجعةٍ انتقائية مثل تلك التي نفرضها على أنفسنا لدى الحديث إلى الأطفال أو إلى الأجانب (مثل *lui partir déjà* [إيّاه ذهاب مُسبقاً]). ويمكن مراقبة هذه المراجعة في الألسُن الآيلة إلى الزوال وفي الألسُن الهجينة المولودة حديثاً، والتي تُماثِلُ بين تعلُّمِها، بإجراءات النشأة التربوية اللسانية نفسها، وبين تَعلُّم الطّفل لسانه الأم.

سمات مُهيمنة وسمات مُتنَحّية

ولأنّ الألسُن الهجينة لا تَمتَحُ، بسبب الضرورة التواصلية المُلحّة (urgence communicative)، إلا من السمات الأولى، أي الأقل حِملاً لمحتوى ثقافي والأكثر انتشاراً، فإنها تُساعد بشكل سلبيّ على تَعرُّف السمات المتنحّية: في القواعد، مثلما في علم الأصوات، (الطقطقة، العدّ الخُمسي، شبكة مُشبعة بالإحاليات المكانية والإحاليات الخارجية والمُصنِّفات، والضمائر الشخصية الشمولية والتفخيمية، بنية علامات إعرابية غنية جداً، فَرط بالاستثناءات والشذوذات... إلخ) هذه السمات هي إمّا في تراجع في الألسُن ذات الانتشار الواسع والتي تمتلكها، وإمّا مقصورة على ألسن مجتمعات تقليدية، بعيدة عن تيارات التبادل التجاري الكبرى. ومعيار التواتر النِّسْبي يُظهِرها على أنها سمات مُعقّدة.

---

(29) انظر: V. A. J. Naro, "A Study on the Origins of Pidginization," *Language*, vol. 54, no. 2 (1978), pp. 314-347.



من اللسان الهجين إلى اللسان الهجين مروراً بالكريولي جدلية النحو والصرف

لايزال الحدّ الفاصل بين اللسان الهجين والكريولي موضوعَ أخذٍ وردٍّ. إنّ المكان في دورة حياةٍ، والتي توثّق مراحلها معاً في البقعة الجغرافية نفسها، معيارٌ أكثر دقّة من الانتقال عن طريق الأم، الذي يُسقِط ترتيب الكريولية، لأنها ألسن أمّ، من ألسن بداية الدورة (مثل اللسان الهجين الكاميروني، المتأثر جداً بالإنجليزي الذي يمكن أن نسميه الإنجليزي المُهجّن) ويَعُدُّ الألسُن الهجينة ألسن أكثر تطوّراً. مع أنه لا يحلّ كل المشاكل (هناك [مثال الريونيوني (réunionnais)] وهي ألسن تُعرّف ككريولية، لكن لا نعرف لها سابقاً هجيناً)، ويُدرِجُ هذا المعيارُ سماتٍ يمكن قياسها:

على الصعيد المعجمي، إثراء المُفردات التقنية والتفرقة بين مقامات الأسلوب؛

على الصعيد القواعدي،

أحياناً:

- تصيير الروابطِ مُساعِدَةً (مثل الهاييتي *pu m pu kuri vit* من الفرنسي *pour* [من أجل]) "عليَّ أن أركُضَ بسرعةٍ"؛

- جمع اسميّ ناتج عن جمع ضمير الغائب (الهاييتي، الكريولي الفرنسي في غويانا ولويزيانا، البابيامنتو (papiamentu) (كوراساو)، الجامايكي، السورنامي، الغولاه (gullah) (جنوب كارولينا) وجورجيا])؛



- استخدام وصلة ذات أصلٍ فعلي (البيشلامار [الهيبريد الجديدة] *bloŋ* من الإنجليزي *belong* "ينتسب إلى") أو أصلٍ مُلكي (الشينووك (chinook) الذي كان منتشراً [بين الهنود الحمر في القرن التاسع عشر]، الأفركانية)؛

- علامات الجمل الموصولية (مثل التوك بيسين (tok pisin) [غينيا الجديدة]).

وغالِباً:

- ولادة مُسمِّيات مثل المادّات (الكريولية الأنتيليّة، الجامايكي، الهاواوي، الغولاه)؛

- تحول الظروف الاختيارية أو الكلمات الأخرى إلى وَضع المُفعِّلات الإجبارية (في الغالب في التركيبات المتنوعة جداً: مثل السيشيلي (seychellois)): العربي التشادي *χalas* "أنهى" والبيشلامار finis ← مُكتمِل، الكابفيري (*lo* capverdien) (من البرتغالي *logo* "بَعدَ" ← غير مُكتمِل؛ وكذلك الهاييتي *ap* ← غير مُكتمِل، هو من الفرنسي *après* [بعْدَ]، بوساطة تقعيد فئة، ما هي إلا ضمنية قبل التحويل إلى كريولي، لأنّ الفرنسي لم يعد البتّة لساناً ذا هيئات فعلية.

يمكننا أن نلحظ هذا التطور أيضاً (مع أنه لم يكن هناك انقطاع كما في حالة الألسُن الهجينة) بين اللاتيني والألسُن الرومانية، في وقت تطور الألسُن التحليلية إلى تركيبية (والمبرّزة إلى غير المُبرّزة) نفسِه: صيغة المستقبل، مثلاً، التي كانت تحليلية في مرحلة ما قبل اللاتيني،



تركيبية في اللاتيني: *cantabo*، انفصلت في الروماني: *cantáre avyo*، وأُعيد وصلها في الفرنسي *chanterai* [سَيُغنّي] وفُكِّكت في اللسان الهجين: [apγe šãte]، وأُعيد تركيبها في الكريولي الهاييتي: *m'ap-chante* "سوف أغنّي". وكذلك فإنّ تحويل الألسُن الهجينة إلى كريولية يقطع باتجاه معاكس، أيْ من النحوِ إلى الصرفِ، الطريقَ الذي سَلَكه من الصرف الكثيف في الألسُن الأساسية إلى نحو الرُّتبة في الألسُن الهجينة. تتشكّل أقسام الكلام فيه، وبسبب الإدغام والحذف، الخاصة بالخطاب السريع، وهو المُحرِّك الرئيسي لتطوّر البنى اللسانية (لاحِظ الهاييتي، البابيامنتو (papiamentu))، تعطي صورة عن نشأة منظومةٍ صرفية.

يمكن للتحول إلى كريولي أن ينطبق على لسانٍ ليس بالهجين بحدّ ذاته (لاحظ إنجليزي الأميركيين السود في ليبيريا تحت تأثير الكريو(krio) [في حين، وعلى النقيض، إنجليزي السُّود العامّي يفقد كريوليّته عند احتكاكه بإنجليزي البِيض في الولايات المُتّحدة]). ويمكن لتحويل لسان هجين إلى كريولي أن يترافق مع تأثير الأساس، اللسان المحلّيّ الذي تتبقّى بِناه، مثال: علامات التعدية في الألسُن الهجينة الميلانيزية كما في الألسُن الميلانيزية؛ الرابط *bã* ذو الأصل الفعليّ في الهاييتي كما في ألسن الكوا (kwa) التي كان يتحدّث بها العبيد المُجنَّدون في غرب أفريقيا. ختاماً، يمكن لِبنية الكريولية، عندما تصبح ألسناً وطنيةً، وأحياناً مكتوبة، أن تحمل سِماتٍ رمزيةً، متخليةً عن تلك الدرجة الصِّفر من الاستثمار الثقافي التي تميّز الألسُن الهجينة.



2.2 العمل الإنساني في بنية الألسُن[30]

في حِقَبٍ مختلفةٍ، وخاصة في القرن العشرين، تدخّل النّاس في بنية الألسُن، ليس عن طريق تقييس قاعدة أو ترقيتها وحسب، بل وحتى عن طريق تخطيط القواعد: مثل الجنس في النيرلاندي، الإعراب الاسمي والفعلي في الفنلندي، الحركات الإعرابية في الإستوني، مكان اللواحق الانضوائية في التشيكي، العديد من النقاط الصرفية في العبري الإسرائيلي. يتعلق هذا العمل أيضاً بالبنى المعجمية: تحديث المفردات، وخاصة المعرفيّة والمُختصة (اللغات التقنية (technolecte) وفصول أخرى من التوليد)، الدفاع المشروع ضدّ "غزو" المصطلحات الأجنبية (مثل فرنسا الكيبيك)، وأكثر عموماً، التحكّم بالعامل الخارجي الأساسيّ لتغيّر بنى الألسُن، أي الاقتراض[31].

في كلِّ هذه الحالات، الألسُن التي يتولّى الإنسانُ أمرَها،

---

(30) لِعرضٍ أكثر تفصيلاً، انظر: C. Hagège, "Voies et destins de l'action humaine sur les langues," Inter. génér à: I. Fodor et c. Hagège, eds., *La réforme des langues: Histoire et avenir* (Hamburg: Buske, 1982).

(31) ليس الاقتراضُ حدثاً عرضيّاً مُزعزِعاً، بل هو سمة من السّمات الفارقة في حياة الألسن، التي تتحدّث بأغلبها مجتمعات غير معزولة. إنه يطالُ البنى المعجمية (الفنون الحربية، التقانات، الحياة الفكرية، الأرقام الترتيبية)، وأحياناً بشكل غير مُباشر (مثل التوريات البهلوانية الغابرة في العبري [ilit "élite" [نُخبة]، من ili "supérieur" [عليّ]]، التركي [مثل okul "école" [مدرَسة]، من oku "قرأً"]... إلخ) ؛ ويطالُ أيضاً النحو وبنى الكلمات (مثل الرابط الإسباني في ألسن أميركا اللاتينية، اللواصق الطاجيكية بالعربي في بخارى [أوزباكستان]، الروسية في اللهجات الأليوتية (aléote) [بحر البيرينغ]، الإنجليزية في الشيكانو (chicano) لدى مكسيكيّي جنوب غرب الولايات المتحدة).



مُصمَّمة، مهما كان فِعلُه في العمليات الطبيعية، مثل حقل التطبيق، لاذي يمكن أن يجعل من اللسانيات، شريطة أن تأخذ بالحسبان الحاجات الحقيقية لأولئك الذين يتكلّمون، شيئاً آخر غير البحث المُجرّد، والغريب عن العالم.



الثبت التعريفي

إحالة إلى الذات (égophore): مصطلح توسّع في استخدامه كلود هاجيج، ويشير إلى كل ظرف زمان أو مكان أو كل إشاريّ أو أداة، أو كل مصطلحات المرجعية التي تنتظم حول مركز تمثيل يُشكِّله المشاركون في الحوار، والمرتبطون بعلاقة القلب التي تجعل كل واحد منهم يسمي نفسه (أنا) ويسمي الآخر (أنت).

إحالة زمانية (chronophore): كل إحالة إلى الزمان في الخطاب، وقد تكون ضميراً أو قرينةً.

إحالي لاحق (cataphorique): هو كل ضمير (أو قرينة) يحيل إلى اسمٍ مذكورٍ لاحقاً في الخطاب، وهو ما يقابل الإحالي السابق، مثل قولك: رأيته، كتابَكَ مرمياًّ فوق الأريكة.

بيولَهَجيّ (biolectal): كلُ قرينة لسانية في الخطاب تدلّ على سمة أو خصيصة عضوية لصاحب الخطاب، كالعمر أو الجنس أو غيرها.



عائدي (anaphorique): هو كل ضمير (أو قرينة) يحيل إلى اسمٍ مذكورٍ سابقاً في الخطاب، وهو ما يقابل الإحالي اللاحق، مثل قولك الكتاب اشتريته.

عِباري (délocutif): كل قول مشتقّ من الخطاب هو عباريّ. ويُنسب العباريُّ إلى بنفينيست الذي أراد به كل مشتق خطابي من الناحية الدلالية لا من الناحية الصرفية. فالفعل سَلَّمَ الذي جاء من (ألقى السَّلام) هو فعل عباريّ.

محمول (attribut): في النحو الغربي، المحمول هو كل اسم أو صفة أو حال يربطه الفعلُ بالفاعل. ومفهوم المحمول موروث من الفلسفة التي تطلقه على كل ما للشخص أو للشيء من سمات أو صفات لصيقة.

مُصنِّف (classificateur): لاصقة تُضاف للدلالة على الفئة الاسميّة التي تنتمي إليها الكلمة المُلصقة بها، وهي من خصائص الألسن البدائية التي لاتزال تحتفظ بها مثل ألسن البانتو.

مُفاعِل(actant): بالمفهوم القواعدي، المُفاعِل هو عنصرٌ نحويّ اسميّ يفرضه مبدأ الاقتضاء لبعض الفئات المعجمية كالفعل، بشكل أساسي، والاسم، والصفة، وحرف الجر ... يأخذ المُفاعِل مكانه في المخطط المُفاعليّ الذي يصف التنظيم النحوي الضروري لبعض الكلمات التي تتمتّع ببعض المقتضَيات كي تغدو مُشبَعة، ويتِمّ معناها. وعلى هذه العناصر



أن تحدِّد قضيّةً، أو محتوى دلاليّاً للمُسنَد قادراً على تحويل الغَرَض، سواء أدلّ على إجراء (استفاقَ، عَمِلَ، تنحنَحَ... إلخ) أم على عمل (كَسَر، أعطى، أنشَدَ... إلخ).

هيئيّ (aspectuel): الهيئة مفهومٌ قواعديّ غالباً ما يرتبط بالفعل ويقابل الزمن. فإذا كان الزمن يضع سيرورة الفعل في خطٍّ متتابع يتضمن الماضي والحاضر والمستقبل؛ فإنّ الهيئة تعبّر عن طريقة جريان الفعل أو انقضائه (منتهٍ، مستمرّ، مؤقّت، متكرِّر...).




مكتبة
الفكر الجديد

ثبت المصطلحات

إتمامية	complétive
إحاطة	circumposition
إحالة إلى الإنسان	anthropophore
إحالة إلى الذات	egophore
إحالة خارجية	exophore
إحالة داخلية	endophore
إحالة زمانية	chronophore
إحالة مكانية	chorophore
إحالي	déictique
إحالي خطابي	logophorique
إحاليّ ذاتيّ	autophorique
إحالية وسيطة	médiaphorique

performatif	أدائيّ
intercurrence	استتباع
modalité	أسلوب
collectif	اسم الجمع
singulatif	اسم الجنس
gérondif	اسم الفاعل
participial	اسم فاعلي/ اسم مفعولي
relatif	اسم موصول
nominalistes	اسمانيون
prédicatif	إسنادي
signal	إشارة
génitif	إضافة/ إضافي
flexionnelle	إعرابية
cosmologies lin- guistiques	أكوان لسانية
agglutinante	إلصاقية
protraction	امتداد
diffusion zonale	انتشار مناطقي
dérive scalaire	انحراف سُلّميّ

libertaires	انفلاتيين
injonctif	إيعازي
apposition	بدل
paucal	بضع/ جمع قِلّة
caïnoglossie	بعث لساني
belgicisme	بلجَكة
structure	بنية
biolectal	بيولَهَجيّ
indexation	تأشير
motivation	تبرير
partitif	تبعيض
manifestation	تجلٍّ
contrôle	تحكّم
nominalisation	تحويل إلى اسم
corrélation	ترابط
ordre de préséance des acteurs	ترتيب حق الصدارة للفاعلين
ordre naturel	ترتيب طبيعي
ordre des mots	ترتيب كلمات



syntagme	تركيب
synchronie	تزامن
synchronique	تزامنية
causativation	تسبيب
typologie	تصنيفية
typologie aréale	تصنيفية مناطقية
factivation	تصيير
equatif	تعادليّ
diachronie	تعاقب
transitivité	تعدية
suspensif	تعليقي
apotropaïque	تعويذي
assertion	تقرير
assertif	تقريري
empathie	تقمّص
teknonymie	تكنية
lococentrique	تمركزية محلية
accrétion	تنامي



phatique	تنبيهي
spéculations	تنظيرات
adjectivation	تنعيت
intonation	تنغيم
affirmation	توكيد
postposition	جارّ لاحِق
dialectique	جدليّة
périphérisation du patient	جعل المفعول في المحيط
proposition	جملة صُغرى
circonstancielle	جملة ظرفية
assonance	جناس صوتي
parataxe	جِوار
statif	حاليّ
exclusif	حصريّ
testimonial	حضوريّ
atone	خامد
rhème	خَبَر
infraction	خَرْق



oratio	خطاب
allocutif	خطابيّ
atonymie	دلالة ذاتية
sémantico-référentiel	دلالي- مرجعي
biactantielle	ذات مُفاعِلَين
relateur	رابط
copule	رابطة الكينونة
code	رامزة
focaliser	ركّز على
morphosymbolisme	رمزية صرفية
phonosymbolisme	رمزية صوتية
préfixe	سابقة
pertinence	سَداد
pertinent	سديد
rapide (discours)	سريع (خطاب)
statique (affinité)	سكوني (ائتلاف)
echelle axiologique	سُلَّم قِيَميّ



alvéolaire	سنخي
support	سند/ داعم/ دِعامة
sagittale (forme)	سهمية (صيغة)
inclusif	شمولي
vocalique	صائتيّة
morphème	صُريف
morphème inver-sif	صُريف ناقِض
relative (la)	صلة الموصول
type	صِنْف
acte	صَنيع
phonétique	صواتية
phonologique	صوتي
phonétique	صوتيات/ صوتياتي/ صواتيّ
phonème	صُوَيت
forme	صيغة
antonyme	ضِدّ
urgence communi-cative	ضرورة تواصلية مُلحّة
résomptif	ضمير فصل



isolante	عازلة
coordonnant	عاطف
consécutif	عاقبيّ
anaphorique	عائدي
délocutif	عِباري
relationnel	علاقيّ/ علائقيّ
marque	علامة
obviatif	علامة دونية
phonologie	علم الأصوات الوظيفي
essif	عِلّي
thème	غَرَض
thématisation	غرضنة
hétéroclite	غير قياسي
atone	غير منبور
briseur de chaîne	فاصم سلسلة
agent	فاعل حقيقي
puristes	فصحاء
préglottalisé	قبل- مُزمَّر



indicielle	قَرَني
indice	قرينة
servitude subjectale	قسر فاعلي
procès	قضيّة
inversion	قلْب مكانيّ
grammaire	قواعد
grammatical	قواعدي
enoncé	قول
parole	كلام
universaux	كونيات
suffixe	لاحقة
affixe	لاصقة
orientateur (affixe)	لاصقة توجيهية
intransitivation (du procès)	لزوم (القضية)
langue	لِسان
langue à clics	لسان طقطقي
pidgin	لسان هجين



ecolinguistique	لساني بيئي
langage	لغة
technolecte	لغة تقنية
sociolectal (indice)	لهجية اجتماعية (قرينة)
extenseur	مادٌّ
infime scalaire	ما دقّ وصَغُر
physico-culturel	مادي- ثقافي
aoriste	ماضٍ مُطلق
modificateur	مُبدِّل
motivé	مُبرَّر
homocentrique	مُتَّحِدة المركز
locuteur-repère	مُتحدِّث-علّام
extraposée	مُتصدِّر
satellite	مُتعلِّق
récessif (trait)	مُتنحّية (سِمَة)
déterminant	مُحدِّد
ergatif	محدود التعدية
limitation de l'arbitraire	محدودية الاعتباط



quantificateur	مُخْصِ
attribut	محمول
attributif	محموليّ
périphérique	محيطي
réducteur de per-sonnalité	مُختَزِل الشخصية
autoréférence	مرجعية ذاتية
focalisé	مُركَّز عليه
codifié	مُرمَّز
incorporante	مزجية
imperfectif	مُستمِر
datif	مُستَهدَف/ مفعول غير مباشر
nominants	مُسمِّيات
prédicat	مُسند
sujet	مُسند إليه/ فاعل
participant	مُشارك
indicateur	مُشير
terme	مصطلح/ لفظ/ رُكن
classificateur	مُصنِّف



sonant	مصوّت
factitif	مُصيِّر/ ناصب لمفعولين
opérateur énon-ciatif	مُعامِل قولي
lexique	معجم
sens	معنى
actant	مُفاعِل
actantiel	مفاعِلي
actance	مفاعلية
emphatique	مُفخّم
verbants	مُفعِّلات
patient	مفعول به
complément	مفعول/ تَتِمّة
complément cir-constanciel	مفعول فيه
accusatif	مفعولية
conceptuel	مفهوميّ
tonic	مقوّاة
lieu-patient	مكان مفعول
perfectif	مكتَمِل



formatifs	مكونات
bénéficiaire	مُنتفِع
rétroflexe	مُنثنية
répit expressif	مهلة تعبيرية
attesté	موثّق
connecteur	موصِل
indexé	مؤشَّر
accent	نبر
efficacité communicative	نجاعة تواصلية
syntaxe	نحو
syntaxique	نحويّ
morphosyntaxique	نحوي- صرفي
déprédicativation	نزع الإسناد
tendances implicationnelles	نزعات تضمينية
tendance	نزعة/ مَيل
phylogénie	نَسالة
pédogenèse linguistique	نشأة تربوية لسانية



mi-ergative	نصف متعدية
articulation	نُطق
qualifiant	نعت
paradigme	نموذج/ مِثال
nucléaire	نووي
aspectuel	هيئيّ
acception	وجه دلالي
latif	وِجهيّ
modaux	وِجهيّة
biogénétique	وراثة حيوية
poids interlocutif	وزن تخاطبي
descriptif	وصفي
conjonction	وصلة
situatif	وضعيّ
fonction indicielle	وظيفة قَرَنيّة



المراجع

Benveniste, Émile. *Problèmes de linguistique générale*. Paris, NRF, 1966.

Bopp, F. *Vergleichende Grammatik des Sanskrit, Zend, Griechischen, Lateinischen und Deutschen*. Berlin, 1833-1857.

Coyaud, Maurice. *Essais de typologie linguistique.* Saint- Sulpice- de- Favière. Éd. Jean Favard, 1980.

Finck, F. N.. *Die Haupttypen des Sprachbaues*, Leipzig, 1909.

Forchheimer, P. *The category of Person in Language*: Berlin: W. de Gruyter, 1953.

Greenberg, J. H. "Some Universals of Grammar with Particular Reference to the Order of Meaningful Elements". in: Greenberg (ed.). *Universals of Language.* MIT Press, 1963, pp. 58- 90.

Greenberg, J. H., Ferguson charles A., Moravcsik Edith A. (eds.), *Universals of Human Language*, Stanford, Stanf. Univ. Press, 1978, 4 vol.



Hagège, claude *Le Problème linguistique des prépositions et la solution chinoise (avec un essai de typologie à travers plusieurs groupes de langues)*, Louvain, Éd. Peeters, 1975.

- "Le rôle des médiaphoriques dans la langue et dans le discours." *Bulletin de la Société de linguistique de Paris*, t. Xc, fasc. 1, 1995, pp. 1- 13.

Hagège, claude et Haudricourt André, *La Phonologie panchronique*, Paris, Puf, 1978.

Haudry, Jean, *L'Indo- Européen*, Paris, Puf, 1979.

Humboldt, W. von, *Über die Kawisprache auf der Insel Jawa*, Berlin, 1836.

Hurford, J. R., *The Linguistic Theory of Numerals*, cambridge, CUP, 1975.

La Grasserie, R. de, "De la classifcation des langues", *Internationale Zeitschrift für die allgemeine Sprachwiss.*, 1910 (1re version 1890).

Lewy, E. "Der Bau der europäischen Sprachen." *Proc. of the R. Irish Academy*, 1942.

Lohmann, J., *Philosophie und Sprachwissenschaft*, Berlin, 1965.

Meillet, Antoine, *Linguistique historique et linguistique générale*, Paris, champion, 1958 (1re éd. 1920).

Pott, A.- F., *Jahrbücher der freien Akad. zu Frankfurt*, 1849.

Ramat, P. (ed.), *La tipologia linguistica*, Bologne, Il Mulino, 1976.

Schlegel, A.- W., *Observations sur la langue et la lit-*



térature provençales, Paris, 1818.

Schlegel, F., *Über die Sprache und Weisheit der Indier*, Heidelberg, 1808.

Schleicher, A., *compendium der vergleichenden Grammatik der indogerma-nischen Sprachen*, Weimar, 1861..

Seiler, H. (ed.), *Language Universals*, Tübingen, Narr, 1978.

Steinthal, H., *charakteristik der hauptsächlichsten Typen des Sprachbaues*, Berlin, 1860.

Tesnière, L., *Éléments de syntaxe structurale*, Paris, Klincksieck, 1959.

Trubetzkoy, N. S., *Grundzüge der Phonologie* (1938), Göttingen, Vandenhoeck & Ruprecht, 1958.



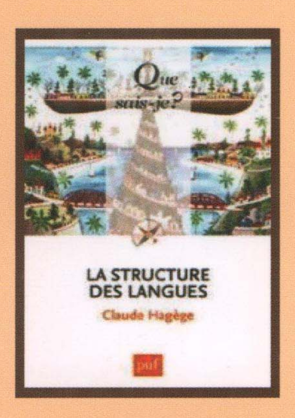

مكتبة
الفكر الجديد

الفهرس




مكتبة
الفكر الجديد

بنية الألسُن



- أصول المعرفة العلمية
- ثقافة علمية معاصرة
- فلسفة
- علوم إنسانية واجتماعية
- تقنيات وعلوم تطبيقية
- آداب وفنون
- لسانيات ومعاجم

إنّ مفهوم بنية القول، مثلاً، لا يختلف من لسانٍ إلى آخرَ، من حيث ضرورة وجود رُكنين، أحدهما هو ما نقول عنه شيئاً والآخر هو ما نقولُه، وتجمع بينهما قضية. فالذي يختلف حقاً هو نظرةُ كلّ حضارةٍ إلى كل مكوِّن على حِدة، ومِن ثَمَّ نظرتُها إليهما معاً في إطار القول. فهذا الكتاب يعالج مفهوم بنية القول، مثلاً، لا يختلف من لسانٍ إلى آخرَ، من حيث ضرورة وجود رُكنين، أحدهما هو ما نقول عنه شيئاً والآخر هو ما نقولُه، وتجمع بينهما قضية. أنّ الذي يختلف حقاً هو نظرةُ كلّ حضارةٍ إلى كل مكوِّن على حِدة، ومِن ثَمَّ نظرتُها إليهما معاً في إطار القول. فما الموضوع والمحمول، والمُسند إليه والمُسنَد، والفاعل والفعل، والمبتدأ والخبر، والمُخبَّر عنه والخَبَر، وغيرها مما لم نطلع عليه في حضارات أخرى، إلا التمثيل اللساني للعنصرين المركّبين وللعلاقة بينهما.

- **أحمد حاجي صَفَر**: مدرس اللغة العربية واللسانيات في جامعة قطر كلية الآداب. له العديد من الترجمات منها: **كتاب علوم الاجتماع الجديدة، بين الجماعي والفردي** (لفيليب كوركوف)، صدر في بيروت عن دار الكتاب العربي 2013.

- **كلود هاجيج**: لغوي فرنسي ولد في قرطاج، تونس عام 1936، وانتخب عضواً في كوليج دو فرانس في عام 1988 وحصل على العديد من الجوائز لأعماله منها الميدالية الذهبية الفرنسية الشهيرة لكونه يتقن العديد من اللغات منها: *Halte à la mort des langues*, Éditions Odile Jacob, 2001.





المنظمة العربية للترجمة



الثمن: 17 دولارات
أو ما يعادلها